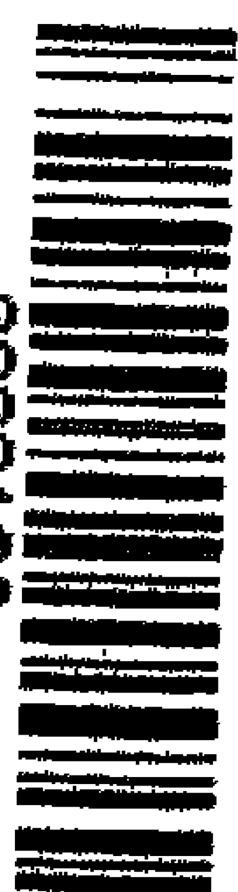
مكتبة التربية الإسلامية

الكتاب الأول

حسن عبد العال

التربية الإسلامية
في القرن الرابع الهجري

دكتور ابراهيم عصمت مطاوع
دكتور عبد الغني عبود
دكتور عبد الغني عبود



ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

التربية الإسلامية

في القرن الرابع الهجرى

تأليف

دكتور حسن عبد العال

اشراف

دكتور ابراهيم عصمت مطاوع

دكتور عبد الغنى عبود

تقديم

دكتور عبد الغنى عبود.

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

رسالة قدمت الى كلية التربية جامعة طنطا للحصول على درجة ماجستير فى التربية ـ ونوقشت صباح الخميس ٢٢/١٢/١٩٧٧ ، ومنحت الدرجة بدرجة (ممتاز) ٠ وكانت لجنة المناقشة من الأساتذة الدكاترة : ابراهيم عصمت مطاوع ـ محيى الدين صابر ـ حسن الفقى ٠

بسم اللہ الرحمن الرحیم

"رَبِّ اشرح لی صدری. ویسّر لی امری
واحلل عقدۃ من لسانی. یفقھوا قولی"

قرآن کریم

(طٰہٰ: ۲۵-۲۸)

تقديم

بقلم : دكتور عبد الغنى عبود
أستاذ التربية المقارنة والادارة التعليمية المساعد
بكلية التربية جامعة عين شمس

لهذه الرسالة فى قلبى منزلة خاصة ، لأكثر من سبب :

فهى ـ أولا ـ الابنة البكر بالنسبة لى ، من بين الرسائل الجامعية ، التى أشرف عليها ، أو أشترك مع غيرى فى الاشراف عليها •

وهى ـ ثانيا ـ تمس موضوعا كبيرا ، تمنيت كثيرا بحثه ، من زوايا مختلفة ، ثم أخذت على عاتقى بحث بعض جوانبه ، تاركا لغيرى ، وتحت اشراف ، ووفق مخطط معين فى رأسى ، بحث بعض جوانبه الآخر ، وموضوعها من الموضوعات المتصلة بهذا البعض الآخر ، من جوانب هذا الموضوع الكبير ـ موضوع التربية الاسلامية •

وهى ـ ثالثا ـ شاء الله أو شاء حظى أن تقع بين يدى باحث ، لم يكن غيره ليستطيع أن يقوم بما قام به الأستاذ حسن عبد العال ـ لأسباب كثيرة ، ربما أشرت الى بعضها فيما بعد •

ومن ثم كانت الرسالة فاتحة خير بالنسبة لى ، لأنها أثبتت لى فى الاشراف قدرات ، ما أحسب أنها لى حقيقة ، ومن أجل ذلك قلت (شاء الله لى) أو (شاء حظى) ، عن قصد أو عمد ، ودون مبالغة فيما قلت •

وهى ـ رابعا ـ ترسم خطا جديدا فى دراسة التربية الاسلامية ، أردت اليه ، وأخذته من خلال دراستى للتربية المقارنة ، وتخصصى فيها • وما أحسب أن أحدا كان أقدر من الأستاذ حسن ، على ترجمته الى واقع حى ، ظهرت من خلاله دقة المنهج وأصالته ، كما ظهر من خلاله أنه المنهج الأمثل ، لدراسة هذه التربية الاسلامية •

وهى ـ خامسا ـ وسادسا ـ وسابعا .. ولو استطردت فى الحصر ، ما انتهيت منه .

* * *

ولنعد الى قصة هذه الرسالة من بدايتها ، فهى قصة حبيبة الى نفسى ، لا يمكن أن أنسى تفصيلاتها ، مهما دقت .

وتبدأ القصة ظهر أحد أيام السبت ، من شهر مايو ١٩٧٦ ، حيث كنت جالسا فى مكتب أستاذى الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع ، عميد كلية التربية جامعة طنطا ، وكان مشغولا بالنقاش مع بعض موظفى الكلية والعاملين فيها وطلابها ، فلم أعر ما يدور اهتماما ، على أساس أنه لا يعنينى ولا يتصل بى .

وفوجئت بأحد الواقفين ، يأتى بورقة ، مؤشرا عليها من الدكتور مطاوع ، تحيل هذه الورقة الى .

وكان هذا الواقف ، الذى أتى بهذه الورقة ، هو الأخ حسن عبد العال .

أما محتوى الورقة ، فهو خطة لدراسة التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى .

وأما سبب اختيارى ، فلا يعلمه أحد الا الله .

ربما كان وجودى ساعتها ، هو الذى أوحى للدكتور مطاوع باحالة الأمر الى ، مع أنى لست من أعضاء هيئة التدريس بتربية طنطا ـ من باب المجاملة .

وربما كان يعلم اهتمامى بموضوع التربية الاسلامية ، فأراد أن يستفيد بهذا الاهتمام .

ولكن الشيء الذى لا شك فيه ، هو أنه قدرى ، أو (حسن حظى) ، كما قلت فى مطلع هذا التقديم .

يقول حسن لى ـ فيما بعد : ما أن قرأت التأشيرة ، حتى صعقت ، لأنى لم أكن أتصور أن أجد شيئا عند الدكتور عبد الغنى عبود ، ولكنى ـ تأدبا سكت .

واخذت حسن الى غرفة الاتحـاد ، التى كانت خاليـة ، وبدات أناقشه ، فيما قرأه حول الموضوع ، والسبب فى اختيار القرن الرابع الهجرى بالذات ، والمنهج الذى سيسير عليه ، وعدلت له كثيرا من المفاهيم ، التى كانت فى حاجة الى تعديل ٠

ثم كلفته أن يقرأ قائمة بالكتب ، حددتها له ، وطلبت اليه أن يقابلنى يوم السبت التالى ، لنتناقش فى أول كتابين منهما ٠

وفوجئت به فى السبت التالى ، يأتى الى وقد قرأ أربعة كتب ، ولم يكتف بقراءتها ، بل لخصها أيضا ٠

وهنا فقط ، بدأت نوعية هذا الباحث تتضح أمامى ـ فقد وقفت ـ عمليا ـ على مدى جديته واصراره وصبره ٠٠ وذكائه ٠

واخذنا نتناقش فيما كتبه ، وما يمكن أن يفيده منه فى بحثه ، وبدأنا نعدل فى الخطة ، وهكذا ، حتى وصلت الخطة ـ بعد عدد من اللقاءات ـ تتبلور ، وتستقر على الشكل الذى سجلت عليه ، فى شهر يونيو ١٩٧٦ ـ أى بعد شهر من القراءات واللقاءات والمناقشات والتعديلات ، وهى مدة قياسية ، اذ تصل هذه المدة عندنا ـ فى تربية عين شمس ـ الى عام كامل ، فى بعض الأحيان ٠

وكنا قد اتفقنا على أن المنهج المستخدم فى الدراسة هو المنهج الاستردادى ، بوصفها دراسة تاريخية أساسا ، وعلى أن الاسترداد يعنى التركيز على ما كتب وقيل فى القرن الرابع الهجرى ذاته ، لا على ما كتب عن هذا القرن الرابع ، فى عصور تالية ٠

كما كنا قد اتفقنا على أن بداية الرسالة لا بد أن تكون مدخلا أيديولوجيا ، يقف بنا بسرعة على الاسلام ، حتى يمكن ـ فى ضوئه ـ فهم ما حدث فى القرن الرابع الهجرى ، من تطور عام ، ومن تطور فى نظام التربية أيضا ، لأنه ـ بدون هذا المدخل الأيديولوجى ـ يغدو التاريخ العام للقرن الرابع الهجرى ، وتاريخ تربيته ، كما لو كانا يدوران فى فراغ ٠

وقد أخذت هذه المسألة جزءا كبيرا مما دار بيننا من مناقشات تالية فى البحث ، ولكنه ـ فى النهاية ـ سلم ، بأن الجديد فى الدراسة ، هو هذا المدخل الأيديولوجى ٠

وأتاني حسن في شهر سبتمبر من سنة ١٩٧٦ ، وقبل سفره الى اليمن ، في اعارة اليها ، بثلاثة الفصول ، التالية لهذا المدخل الأيديولوجي ، وكان فيها اكثر من المطلوب ، وكانت رائعة ، فطلبت منه اختصارها الى النصف على الأقل ، وحذرته من أن كثيرا مما ورد فيها ، رغم روعته — سيتغير بعد كتابة الفصل الأول ، الخاص بالمدخل الأيديولوجي •

وسافر حسن الى اليمن ، وأخذنا نتصل من خلال المكاتبات بيننا ، ثم أتى على نفقته الخاصة ، وبجهود كبيرة بذلها ، في عطلة منتصف العام ، وقابلني في قريتي ، حيث كنت أقضي هذه العطلة ، وأجرى ما أردت من تعديلات ، وأضاف الى الفصول الثلاثة فصلا رابعا — وكان السير في الدراسة مما يطمئنني ويسعدني ، الى أبعد حد أتصوره •

وعاد حسن من اليمن ، في شهر مايو ١٩٧٧ ، بالرسالة كاملة ، فيما عدا فصلها الأول ، فقرأتها ، ووجدت أنها بلغت ذروة كمالها ، مع توقعي أن كثيرا مما ورد فيها ، سيغيره حسن بنفسه ، بعد كتابة الفصل الأول •

وصحت توقعاتي ، فقد اضطر حسن — بمحض اختياره وارادته — الى اجراء التعديلات على الرسالة ، فكتبها من جديد ، بعد معالجته للفصل الأول •

ثم جاءني بالرسالة كاملة ، لا ينقصها الا المقترحات — في الفصل الأخير ، وكان ذلك في رمضان ١٣٩٧ (سبتمبر ١٩٧٧) ، الذى قضيت نصفه في قريتنا ، وكان يتوقع أن اقرأها له ، ليأخذها مع بقية الفصول ، ولكن تأشيرتي عليها كانت : (أرجو أن تتحول هاتان الصفحتان ، الى عشرين صفحة على الأقل) • وكان الكلام صدمة نفسية له ، لم يكن يتوقعها ، ولكنه — بعد مناقشته — سرعان ما اقتنع ، لدرجة أنه — فيما بعد — قال : ان العشرين صفحة ضاقت به ، وانه — لو ترك لنفسه العنان — لتمادى في الكتابة — بمتعة — الى ما شاء الله •

هذه هي قصة هذه الرسالة •• وقصة صاحبها معي •• وما سردتها عبثا ، وانما سردتها عن قصد ، فهي الطريق الشاق ، الذى يجب أن يسير فيه الباحثون العلميون ، ليصلوا الى ما ينشدون من حقيقة •

* * *

وفي القصة نرى الاصرار ، وهو أول سمة من سـمات المشتغلين بالبحث العلمي ٠

فلقد حذرته ـ منذ البداية ـ من البحث التاريخي ، لمصاعبه ، ولكن صمم على آلا يركب الا الصعب ٠

وحذرته ـ منذ البداية ـ من التربية الاسلامية ، لأنها تحتاج الى نوع خاص من الرجال ، ولما رأيته واحدا من هؤلاء الرجال ، سلمت له بتكملة مسيرته ٠ وهي تحتاج الى نوع خاص من الرجال ، لأن لها طبيعة خاصة ، فاذا أراد الباحث أن يقول فيها جديدا ، فعليه أن يبحث عن منهج جديد ، وأسلوب جديد ، يرتاده ويستخدمه ، ويصل من خلاله الى هذا الجديد ، والا وقع فيما وقع فيه كثير من الدارسين والباحثين والعلماء ، الذين عاب عليهم حسن نفسه فيما بعد ، وأراد أن يشير الى فساد منهجهم ، فقلت له : نحن لا نجرح ، وانما نحمد لكل مجتهد اجتهاده ، حتى ولو كان في هذا الاجتهاد أوجه قصور ، ويكفي هؤلاء الرواد الأوائل انهم مهدوا لنا الطريق ٠

يضاف الى ذلك ، أن من أراد أن يخدم التربية الاسلامية ، فعليه أن يقوم بتعصير لها ، وهذا ما دارت حوله المقترحات ، في الفصل الأخير من الرسالة ٠

وقضية التعصير في حد ذاتها مشكلة ، لأنها تحتاج الى براعة خاصة ، اذ قد يؤدي بالبـاحث الى (التلفيق) ، ليظهر أن التربية الاسـلامية شبيهة بالتربية المعاصرة ، أو أنها أكثر منها قدرة على حل مشكلات العصر ، كما قد يؤدي به الى أن يضر ، من حيث يريد هو أن ينفع ٠

فهي مشكلة ، لأنها تحتاج الى فهم واسع للتربية الاسلامية ، وفهم واسع للتربية المعاصرة أيضـا ، وأمانة وذكاء في معالجة قضـايا ، لم يسبق أحـد الى دراستها ٠٠ بطريقة علمية ٠

وفي القصة كذلك نرى الصبر ، وهو السمة الثانية من سمات المشتغلين بالبحث العلمي ٠ ويكفي تدليلا على صبره ، لجوءه ـ كما نرى في البحث ـ الى مراجع عديدة ، قديمة وحديثة ، ليستخرج منها معلومات محدودة ٠٠ قليلة ٠

وقد قلت فيما سبق ، كيف أن هذا الرجوع الى مراجع عديدة ، مثل عبئا أول الأمر على حسن ، فقد أراد أن يضـع كل ممتع يراه ، في صلب رسـالته ، ولكنني أصررت على أن يختصر ، لأن الباحث ليست وظيفته (نقل) المعلومات

التى تعجبه ، وانما وظيفته (توظيف) هذه المعلومات ، وبراعة الباحث الحقيقية تبدو فى هذا (التوظيف) ، لا فى ذلك النقل •

وكان هذا التوظيف صعبا عليه أول الأمر ، وكان قلبى معه ، فلقد جربت الأمر كله ، فى أثناء اعدادى للماجستير ــ نفس مرحلة الاعدد العلمى ، التى مر بها حسن •

وعملية التلخيص ، واعادة الكتابة مرة ومرة ، كلها عمليات جربت ثقلها على النفس ، ومدى الصبر الذى تتطلبه ، وأشهد لقد كان حسن فيها أستاذا ، وهو بعد تلميذ ، يقطع أول طريقه العلمى الطويل •

ويكفى تدليلا على صدق ما أقول ، أن جمع المادة العلمية للرسالة ، وكتابتها، واعادة كتابتها ثلاث مرات ، لم تستغرق كلها أكثر من سنة ، ولولا الصبر الذى تميز به ، لاستغرق أى تعديل من هذه التعديلات ، هذه السنة •

وفى القصة كذلك نرى الرغبة فى التعلم ، والرغبة فى التعلم سمة أساسية ــ ثالثة ــ من سمات المشتغلين بالبحث العلمى ، وأذكر أننى تعلمت من حسن الكثير ، وأقرر ــ هنا ــ أننى عندما قلت له ذلك عدة مرات ، كنت أقولها حقيقة ، ولم أكن أقولها على سبيل المجاملة ، فالقريبون منى يعرفون عنى ، أننى أبعد ما يكون عن أن أجامل ، وكل ما تعلمته من خلال ما مررت به من أزمات ، بسبب فقدى القدرة على المجاملة ، هو أننى صرت أسكت على ما لا يعجبنى ، لأن كلامى قد يؤدى الى هجوم ، ولكننى لم أستطع أن أروض نفسى ــ حتى الآن ــ على أن أجامل نفاقا ، ويبدو أننى لن أستطيع ترويضها ، لأن القدرة على المجاملة ، يبدو أنها استعداد نفسى أساسا ، لا دخل للتعلم فيه •

وأذكر أننى ما ذهبت الى طنطا مرة ، وكان حسن بها ، الا وكان حسن أول من يقابلنى ، وآخر من يودعنى ، وأننا ما اجتمعنا ، حتى ولو فى الطريق ، الا وكان محور حديثنا هو مشكلة علمية من المشكلات التى تعترض طريقه فى البحث ، أو أية مشكلة علمية أخرى ، تتصل بموضوع من الموضوعات التى سجل فيها زملاؤه فى الدراسات العليا •

كانت لقاءاتنا كلها علمية ، وكانت اجتماعاتنا كلها علمية ، وكان المزاج الذى يدور فيها حول العلم أيضا ، وكان يعتقد أنه هو المستفيد ، ناسيا أننى كنت استفيد أيضا ، ربما بقدر أكبر من القدر الذى يستفيد هو به •

ولقد صار مألوفا فى كلية تربية طنطا ، أن يبحث السائلون عنى هناك ، من خلال حسن عبد العال ، أو على خليل ، المعيد بتربية طنطا ، فهما ـ كما سميا هناك ـ كانا ظلى ـ كما صار مألوفا أن يطلق أستاذنا الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع على ثلاثتنا ، اسم (السمنار المتنقل) •

وفى القصة ، نرى الاحترام المتبادل بين الطالب وأستاذه ، فكل منهما طالب علم ، وكل منهما جدير بأن يحظى بما يليق به من احترام •

وفى القصة نرى •• ونرى •• ونرى •• من المعانى ، التى يجب أن يتحلى بها طالب العلم وحامله ، أو يكون بين الشيخ ومريده ، على حد ما كان يحب أن يعبر ، ربما لنزعته الصوفية الغالبة عليه ، وربما لأن هذا التعبير أليق بجو رسالته ، أو لأنه تردد كثيرا فى هذه الرسالة •

ومن أجل ذلك كله ، كان سرد هذه القصة منذ البداية •

* * *

بدأت معرفتى بالأستاذ حسن عبد العال اذن على طريق الدراسة ، وبدون رغبته فى التسجيل للماجستير ، فى الموضوع الذى اختاره ، لم يكن ممكنا التعرف عليه ، فزحمة العمل فى جامعاتنا المصرية ، لا تسمح لنا نحن أعضاء هيئة التدريس، بالتعرف على أحد جديد ، حتى ولو كان من تلاميذنا ، الا فى مثل هذه الظروف •

فمعظمنا على سبيل المثال ، قلما يستمتع بالجلوس فى منزله ساكتا ، فهو اما أن يقرأ أو يكتب ، أو يناقش فى قضية علمية •• حتى مع ضيوفه ، ولو لم يكونوا علميين •

ومعظمنا يذهب الى عمله ، بادئا بالمدرج الذى سيحاضر فيه ، خارجا منه الى مدرج آخر ، أو الى كلية أخرى ، ليحاضر فيها ، وقد يمر بالمكتبة ، للحصول على مراجع لموضوع يبحث فيه ، وهو قلما يصعد الى مكتبه ، ليستمتع بالجلوس فيه بعض الوقت •

ومألوف فى الجامعات المصرية ، أن ترى الزميل لا يقابل زميله طول العام ، لا لسبب الا لأن كلا منهما مشغول ، ولأن مواعيد محاضرات هذا ، غير مواعيد محاضرات ذلك •

وهذا الانشغال الى هذا الحد ، أمر منطقى ، فى بلاد توسعت فى افتتاح الجامعات ، دون أن يكون لديها رصيد يذكر من هيئات التدريس ٠

ولذلك نرى الواحد منا يقضى أياما فى القاهرة ، وأياما أخرى فى الجامعات الاقليمية ٠

أى أن الواحد يقضى حياته جاريا ، ومسافرا ٠

والعائد قد يكون ماديا ، ولكنه من هذه الناحية تافه ومحدود ، فى بلاد لا تعرف قدر العلميين ، فتدعهم يهاجرون الى البلاد المتقدمة ، أو يذهبون الى البلاد العربية ليريقوا ماء وجههم ، ويقللوا هناك من قدر مصر ، ومن قدر العلم أيضا ٠

والعائد الأدبى فى هذه العملية هو الأكبر ٠

ويتمثل هذا العائد الأدبى ، فى أن الانسان يجد لديه وقتـا ، ليستجيب لصديق ، فى كلية من الكليات الاقليمية ، يطلب منه أن يعاونه ، فتتوثق عرى الصداقة بين الصديقين ٠٠ ويكون شكر ٠

كما يتمثل هذا العائد الأدبى ، فى أن الانسان قد يجد فرصة ، يقدم فيها عونا ، ففى كليات التربية الاقليمية ، كمـا لمست من خـلال تجربتى فى طنطا والزقازيق وشبين الكوم ، خامات علمية ممتازة ، لا ينقصها الا أن تجد التوجيه ، وتجد الصقل ٠

وعدم وجود هيئات تدريس فى هذه الكليات ، يضيع على المجتمع المتعطش الى العلميين ، ما فى هذه الخامات من امكانيات ومواهب ٠

وقد يجد الانسان ، فى خامة من هذه الخامات ، كما وجدت أنا فى حسن ، وفى زملائه ، بعض الاشباع ، وعائدا أدبيا ، أهم بكثير من العائد المادى ٠

والمهم أننا تعودنا أن نقدم النصح ، ونمد يد العون ، دون أن ننتظر الشكر ، فقد ألفنا أن نقابل سائلين ومستفسرين ، وأن نعطى السائل ، ونرد على المستفسر ، وأن تنقطع العلاقة بيننا وبين السائلين والمستفسرين ، ليحل محل السائلين والمستفسرين القدامى ، سائلون ومستفسرون جدد ٠

وهذه فى حد ذاتها تسبب لنا سعادة ، لأننا نحس ـ من خلالها ـ بأن لنا رسالة ، يقر بها المجتمع ، ويسعى الينا من أجلها أبناؤه ٠

ولقد كانت تجربتى مع حسن ، فى هذا المجال ، تجربة من نوع جديد •

لم تكن المسألة معه مجرد حاجة تراد وتقضى ، وتنقطع الصلة ، حتى تجد حاجة جديدة •

كانت (الانسانية) و (العلاقات الانسانية) ، ومجرد (الرغبة فى اللقاء) ، دوافع اللقاء الأساسية بينى وبينه ، وكانت (الحاجة) هنا هى الهامشية •

وتذكرت على الفور قيما هى أصيلة فى الاسـلام ، قضى عليها عندنا ، بعدنا عنه •

كما تذكرت قيما قديمة فى مجتمعنا ، قضت عليها حضارتنا المزعومة ، والمادية التى قدمت الينا من الغرب ، فهجمت علينا هجوم الجراد ، لتحطم كل جميل فى هذا المجتمع •• فى حقيقة الأمر •

ولم يكن غريبا ـ لذلك ـ أن تتطور علاقتى بحسن بسرعة ، من أستاذ / تلميذ ، الى صديق / صديق •

وتطور العلاقة على هذا النحو بسرعة ، امر غير مالوف فى مجتمعنا المصرى اليوم ، بعد أن حطم الجراد الغربى والماركسى كل جميل فيه ، بحيث صار تطور العلاقة على هذا النحو عملا غير لائق بالأستاذ ، لأنه ينزله من عرشه ، ويحطم عليه زجاج برجه العاجى ، كما انه صار عملا غير لائق بالتلميذ ، لأنه يدل على تطاوله وتشامخه ، بينما هو يجب ان يتصف بالامعية والذلة •

ولكن امكانية وجود هذه العلاقة الجديدة فى حد ذاته ، يدل على ان الاسلام لا يزال بخير ، لأنها قيم اسلامية اصيلة ، كما يدل على أن فى مجتمعنا حضارة ، وان غطاها هذا الجراد ، لأنها قيم حضارية ، نراها مالوفة تمـاما ، فى البـلاد المتقدمة •

وأعترف بأننى سعيد بمعرفتى بحسن ، فمعرفتى به زادتنى ، ولم تنقص منى شيئا •

وهى لم تنقص منى شيئا ، لأن كرامة الأستاذ لم تقلل منها صداقته لتلميذه، بل على العكس ، زادته هذه الصداقة كرامة ، وزادته فضلا ، واحمد الله أنه من خلال المناقشات التى دارت وتدور بين الطرفين ، تتأكد استاذية الأستاذ ، ولم

يحدث مطلقا أن كان هذا الأستاذ فى مستوى أقل من المستوى الذى ينشده تلميذه له ٠

ومن خلال خبرتى الشخصية ، فى عدة جامعات مصرية ، صرت متأكدا من أن اولئك الذين يتعالون على تلاميذهم ، ويشمخون بأنوفهم ، انما هم يفعلون ذلك ، لا ليبقوا للأستاذ مكانته ، وللأستاذية شموخها ، وانما هم يفعلونه تجنبا للمناقشة ، التى تظهر الجهل (الفاضح) ، الذى (يتحلى) به بعض (الأساتذة) ٠

ولم يكن عبثا أن يكون (تواضع العلماء) مضرب المثل فى التواضع ٠

أما ما زادتنى اياه هذه المعرفة ، فقد كان كثيرا حقا ٠

لقد زادتنى معرفة بنفسى ، وثقة بها ٠

وكانت هذه المعرفة مما صقلنى صقلا ٠

كما كانت هذه المعرفة من الأسباب القوية ، التى رسخت قدمى على الطريق الشاق ، الذى أردته لنفسى ، وهو طريق ٠٠ التربية الاسلامية ٠

فمن خلال الحوار معه ، رأيت أن هذا الطريق لا بد أن يقتحم ٠٠ وبقوة ٠

* * *

وقد تعودنا نحن المسلمين اليوم ، أن نسمع (التربية الاسلامية) فينصرف تفكيرنا مباشرة الى (التربية الدينية) ٠

والتربية الاسلامية شىء ، والتربية الدينية شىء آخر ٠

التربية الاسلامية تعنى نظاما متكاملا للتربية ، يشمل فلسفة التربية وأهدافها ، ومناهج التعليم وطرق التدريس ، والادارة التعليمية والادارة المدرسية ، وغيرها ، من وجهة نظر الاسلام ٠

وشأن التربية الاسلامية فى ذلك شأن التربية اليهودية ، والتربية المسيحية، او التربية الرأسمالية والتربية الشيوعية ، حيث نرى فى كل منها نظاما تربويا متكاملة ، تتحدد ملامحه وفق أيديولوجيا الحياة فى كل مجتمع ٠

أما التربية الدينية ، فهى تعنى بعض آيات القرآن الكريم تحفظ وتستظهر، وقد تشرح وتفسر ، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة ، وبعض التراجم لرجال الاسلام ، وما الى ذلك •

فالتربية الاسلامية شيء ، والتربية الدينية شيء آخر ، وان كانت بينهما علاقة •

وقد كان للقول بأن التربية الاسلامية هى هى التربية الدينية ، آثار خطيرة ، منها أننا نحينا الاسلام ، كاطار أيديولوجى متكامل ، عن حياتنا العامة ، وصار الاسلام عندما مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، تحفظ وتستظهر فى المدارس ، وتتردد بأسلوب أو بآخر فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، وتتردد على نحو آخر ، فى المآتم ، وعلى أبواب المقابر •

أما الاسلام ، كأسلوب حياة ، فقد اختفى من حياتنا العامة ، وصار المسلمون المعاصرون ، أكبر دعاية ضد الاسلام ، وصاروا بذلك عبئا عليه ، بدلا من أن يكونوا عونا له • وكل ذلك لو حللناه ، لوجدنا أنه يعود الى غياب مفهوم شامل واضح للتربية الاسلامية ، غيابا كان من نتيجته أن حل محله مفهوم التربية الدينية ، أو صار يدل عليه ، بحيث يقال (التربية الدينية) ، ويقصد بها (التربية الاسلامية) ، أو يقال (التربية الاسلامية) ، وبقصد بها (التربية الدينية) •

وتبلغ هذه المأساة ذروتها ، حين ينتقل هذا الفهم الخاطىء الى المتخصصين .. فى التربية ، بحيث صار مألوفا أن نجدهم يتحدثون عن (التربية الاسلامية) ، فاذا بحديثهم ينصب على (التربية الدينية) ، فتكون النتيجة أن يرسخ فى (الضمير العام) ، ذلك القول ، الذى زرعته الصليبية العالمية فى المجتمعات الاسلامية ، والذى يدور حول أنه لا يوجد ما يسمى بالتربية الاسلامية •

وقد ذكرت هذه الحقيقة ، فى تقديمى لسلسلة (الاسلام وتحديات العصر)، وهو تقديم يسبق فى كل كتاب من كتب هذه السلسلة ، تقديمى للكتاب ذاته • وقلت فى هذا التقديم : ان ذلك كان هو ما دفعنى الى دراسة التربية الاسلامية ، دراسة علمية أكاديمية ، خدمة للعلم الخالص ، وخدمة للدين الاسلامى ، المفترى عليه من أعدائه عن قصد ، والمفترى عليه من أبنائه عن جهل وقصور •

ولم يكن غريبا أن تقع عينك على كتاب ، يحمل عنوان (التربية الاسلامية) ، فاذا بمحتواه لا يتصل من قريب ولا من بعيد ، بالتربية ، وانما هو يتصل بعض اتصال بالاسلام •

ولا شك فى أن حسن النية يكون موجودا لدى من ألف هذا الكتاب أو ذاك ، عن (التربية الاسلامية) ، ولكن حسن النية ذاته قد يؤدى الى اضرار ، أكبر من ذلك الاضرار الذى ينتج عن سوء النية • ذلك أن سوء النية يفضح صاحبه ، فيأتى ما يقول به ــ فى النهاية ــ بعكس ما يشتهى • أما حسن النية ــ مع الجهل ــ فانه يقود الى شرك •

وكانت هذه الحقيقة ماثلة فى ذهنى ، عندما أرادت جامعة طنطا ، بالاشتراك مع بعض الهيئات الاسلامية ، والهيئات المهتمة بالاسلام بها ، عقد مؤتمر للتربية الاسلامية ، وشرفتنى بضمى الى المؤتمر ، وكان حسن ظنها بى أكبر ، فألقت على عاتقى مسئوليات أساسية فيه ، فقلت فى أول اجتماع عقد لهذا الغرض ، فى مارس ١٩٧٦ ، على ما أذكر : يجب أن نضع فى أذهاننا جميعا اننا اذا لم نقل ما يجب أن يقال ، فاننا سنضر الاســلام ، ولن ننفعــه ، وشرحت لهم قصــدى مما أقول ، فاقتنعوا بوجهة نظرى تماما •

كذلك كانت هذه الحقيقة ماثلة فى ذهنى ، فى ذلك الاجتماع الموسع للمؤتمر الذى ضم السادة محافظ الغربية ، ورئيس جامعة طنطا ، وممثلين عن جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية ، والذى عقد فى مكتب رئيس الجامعة ، فى يونيو ١٩٧٦ ، عندما وجدت أن الكل (يستعجل) الدراســات والتوصيات واتخــاذ القرارات : اننى غير مستعد اطلاقا للمشاركة فى مؤتمر (يستعجل) القرارات والتوصيات ، لأن وضعى كواحد من العلميين المتخصصين ، يفرض على أن أدرس، لا أن أستعجل •

وكان الكلام عنيفا •• ولكنه كان مطلوبا •

ويكفى أنه أعاد المجتمعين جميعا ، الى الطريق الأكاديمى الذى كنا قد اتفقنا عليه ، والذى كاد (التسرع) ، أن ينحرف بنا عنه •

وقد كانت لى مثل هذه الوقفة مع نفسى ، فلقد تعجلت وأعددت كتابا كاملا متكاملا ، عن التربية الاسلامية ، وكدت ادفع به الى المطبعة ، لولا توقفى عن ذلك فى اللحظة الأخيرة ، واكتفيت بتلخيصه فى ستين صفحة ، نشرتها فى المجلد الثالث من (الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس) ، الذى صدر فى يناير ١٩٧٦ • والكتاب الأصلى لا يزال حبيسا عندى •

وقد قلت فى تقديمى لسلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ، ان السلسلة انما تصدر على طريق دراستى للتربية الاسلامية ، لا على طريق غيرها .

وعندما تكتمل المادة العلمية المتصلة بهذا الكتاب ، سـوف أعيد كتابته وتنظيمه ، ثم أدفع به الى المطبعة ، بحيث يخرج فى النهاية ، على نحو يرضى ضميرى العلمى ، كما يرضى ضميرى الدينى أيضا ، وبحيث ينفع الاسلام ولا يضره.

أما كتاب (فى التربية الاسلامية) ، فهو مجرد مقولات ، نشرت فى مجالات مختلفة ، وفى مناسبات مختلفة ، عن الموضوع ، رأيت جمعها فى الكتاب ، ولكنها ليست هى الكتاب الذى أتحدث عنه .

وقد يلحق بهذا الكتاب السابق ، جزء ثان ، يسير على نفس الخط ، ولكنه سيكون غير هذا الكتاب الذى أتحدث عنه ، والذى سيكون عنوانه باذن الله ، هو (الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام).

وقد كانت هذه المعانى كلها واضحة فى فكرى ، عندما أراد الأستاذ حسن عبد العال ، أن يدرس (التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) .

ونبهته الى مخاطر دراسة هذا الموضوع ، وصعوباته ، ولكنه أعلن استعداده للدراسة ، رغم كل المخاطر والصعوبات ، وكان عند قوله ، وكان أهلا لما قال .

* * *

وعندما شرفنى الأستاذ الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع ، عميد كلية التربية جامعة طنطا ، بالاشتراك فى الاشراف معه على بعض الرسائل الجامعية ، ومنهـا رسائل تتصل بالتربية الاسلامية ، ومنها رسائل بعيدة عن هذا المجال ـ قلت له، وأعلنتها ، أننى فى بداية حياتى العلمية ، وأننى غير مستعد اطلاقا لاجازة رسالة، مالم تكن عند مستوى علمى معين ، لا تهبط عنه .

وقلت له أيضا ، وأعلنتها كذلك ، أن تشـددى فى الرسـائل ، المتصلة بالتربية الاسلامية ، سيكون أكبر ، لما سبق أن ذكرته .

وحمد لى أستاذى الدكتور مطاوع هذا المسلك ، وأذاعه .

وكنت أنتظر أن يخفف هذا المسلك من العبء الملقى على ، فاذا به يأتينى بالمزيد والمزيد من طلاب البحث ، ولكنها كلها ـ وأشهد ـ كانت نوعيات ممتازة ٠

وكان المستوى الكريم والمشرف حقيقة ، الذى وصلت اليه رسالة حسن ، وتعطش المجال (الاسلامى) ، الى مثل هذه الدراسات العلمية الجادة ، مما دفعنى الى التفكير فى نشر هذه السلسلة من الرسائل ، المتصلة بالتربية الاسلامية ٠

ورحب أستاذى الدكتور مطاوع بالفكرة ، بل وصاحبنى الى دار الفكر العربى ، للاتفاق على نشر السلسلة كلها ، تحت هذا العنوان الذى اتفقنا عليه ، وهو (مكتبة التربية الاسلامية) ، ووجدت الفكرة لدى المسئولين عن الدار ، ما وجدته لدى الدكتور مطاوع من ترحيب وتشجيع ٠

وطالما تحولت الفكرة الى سلسلة ، فان المنطق يقضى بترتيب أفكارها ، واصدار كتبها حسب منطق هذه الأفكار ـ وهذا هو ما أفعله فى سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ٠

غير أن لهذه السلسلة الجديدة ، ظروفا تختلف عن ظروف سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ٠

ان سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) سلسلة أتولى أنا اصدارها ، ومن ثم يمكننى التحكم فيها ، واخضاعها لمنطق التفكير الذى أفكر به ٠

أما سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) ، أو سلسلة (رسائل جامعية ، فى التربية الاسلامية) ، كما كنت قد اقترحت أن تسمى ، فانها سلسلة تخضع لظروف مغايرة ٠

ذلك أننى أتصور ، كما وضحت للقريبين منى فى كلية تربية طنطا ، من المهتمين بموضوع التربية الاسلامية ، أن تسير الدراسات (أو الرسائل المسجلة) حول الموضوع ، فى محورين ، أولهما محور فلسفى ، والثانى محور تاريخى ٠

فأما المحور الفلسفى ، فهو يدور حول الأساس النظرى ، أو الفلسفى ، الذى تقوم عليه التربية الاسلامية ، وأما المحور التاريخى ، فهو يدور حول تتبع هذا الأساس النظرى أو الفلسفى ، كما تمثل واقعا حيا ، عبر التاريخ الاسلامى الطويل ٠

ومن ثم تدور الرسائل الفلسفية حول : فلسفة التربية الاسلامية فى القرآن الكريم(١) ، وفلسفة التربية الاسلامية فى الحديث الشريف(٢) ، وفلسفة التربية الاسلامية عند الفقهاء ، وفلسفتها عند المتصوفين ٠٠ الخ ٠

كما تدور الرسائل التاريخية ، حول : التربية الاسلامية فى القرن الأول الهجرى ، والتربية الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى ، والتربية الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى ، والتربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى(٣) ، والتربية الاسلامية فى القرن الثامن الهجرى ، وهكذا ٠

وقد نستهين بهذا المحور الثانى ٠

الا أن استهانتنا تكون فى محلها ، لو كانت الدراسة تقف عند حد تسجيل الواقع التربوى فى كل قرن من هذه القرون ، اذ سيكون منطق الاستهانة هنا هو : وماذا نستفيده نحن اليوم مما كان يحدث فى القرن الأول الهجرى ، أو القرن الثانى أو القرن الثالث ٠٠ الخ ؟

ولكن هذه الاستهانة لن تجد لها محلا ، لأن كل قرن من هذه القرون ، حافل (بالمتغيرات) ، كما أنه يزودنا بكيفية استجابة الاسـلام ـ والمسلمين ـ لهذه المتغيرات تربويا ، مما يمكن أن يكون (نورا) ، يبدد لنا ظلمات حياتنا المعاصرة ، اذا نحن أردنا فعلا الأخذ بالتربية الاسلامية ، وكنا فى ذلك ـ بالفعل ـ جادين ٠

والرسالة التى بين أيدينا خير شـاهد على ما أقول ، خاصة فى فصليها ، الأول والأخير ٠

ومن ثم لا أكون مبالغا اذا قلت : ان هـذا المحور التاريخى قـد يفوق فى أهميته ، المحور الفلسفى ، وقد يكون أكثر صعوبة فى معالجته ، وهذا ما نراه واضحا ، فى هذا الكتاب الأول من هذه السلسلة ٠

---

(١) هو الموضوع الذى سجله بالفعل ، الأستاذ على خليل ، المعيد بكلية التربية جامعة طنطا ، فى يناير ١٩٧٧ ، والذى كاد ان ينتهى منه ، والذى ينتظر ان يكون الكتاب الثانى من هذه السلسلة ٠

(٢) هو الموضوع الذى سجله بالفعل ، الأستاذ عبد الجواد السيد بكر ، المدرس فى مدرسة بسيون الثانوية ، فى مايو ١٩٧٧ ٠

(٣) هو الموضوع الذى يتناوله هذا الكتاب الأول ٠

واختيار موضوع من هذه الموضوعات ، ســواء التابعة للمحور الفلسفى ، والتابعة للمحور التــاريخى ، أمر لا يمكن أن يفرض على الدارس ، وانما يختار الدارس من هذه الموضوعات ، ما يتفق مع ميوله واهتماماته ، وخلفيته الثقافية •

ولا يقتصر هذا الأمر — أمر حرية اختيار الدارس — على التربية الاسلامية وحدها ، وانما هو ينطبق على الدراسات العليا كلها ، فى التربية الاسلامية وفى غير التربية الاسلامية ، بل فى التربية وغير التربية ، من فروع التخصص ، فى مختلف الكليات الجامعية •

ومن ثم كانت التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى هى الكتاب الأول من هذه السلسلة ، بينما يمكن أن تكون (التربية الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى) هى الكتاب الخامس أو السادس •

ومن ثم أيضا ، ينتظر أن تكون (فلسفة التربية الاسلامية ، فى ضوء القرآن الكريم) ، هى الكتاب الثانى ، بينما تكون (فلسفة التربية الاسلامية فى الحديث الشريف) هى الكتاب الرابع أو السابع مثلا •

وهذا ما قصدته ، حين قلت : ان لهذه السلسلة منطقها الخاص بها •

* * *

وفى (التربية الاســلامية فى القرن الرابــع الهجرى) — موضوع هــذا الكتاب — نرى ، على عكس ما ادعى الكثيرون ، نظاما تربويا متكاملا ، لا يقل فى تكامله وكماله ، عن التربية المعاصرة ، فى الشرق وفى الغرب على السواء ، فله فلسفته وأهدافه ، وله ادارته وتمويله ، وله مناهجه وطرقه وأساليبه ، وله مدرسوه وطلابه •

ويستمد هذا النظام التربوى المتكامل ، كل ما يتصل به من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، شأنه فى ذلك شأن الاقتصاد الاسلامى ، والسياسة الاسلامية ، ونظام الأسرة فى الاسلام ، وغيرها •

ورغم أن موضوع هذا الكتاب تاريخى ، الا أن الأستاذ حسن ، قد حرص على أن يربط القرن الرابع الهجرى تربويا ، بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وهو المنهج الجديد ، الذى أخذت على نفسى عهدا أن أسهر عليه • وربما كنت متأثرا فيه بمنهج الدراسة المتبع فى التربية المقارنة ، وهو هو نفسه منهج الدراسة المتبع فى تاريخ التربية ، حيث يرتبط نظام التربية فى المنهجين ، بالشخصية القومية للمجتمع ، أو بالأيديولوجيا السائدة فيه •

وقد اقتنع به حسن ، فسار عليه ، كما اقتنع به زملاؤه ، الذين شرفونى برضاهم بالتتلمذ على يدى ، عن رضاء واقتناع كاملين ٠

وبهذا المنهج وحده ، يمكن فهم التربية الاسلامية ، والمنطق الذى تشكلت فى ضوئه ، ثم تطورت على هداه ، كما يمكن فهم ذلك الاختلاف القائم بينها وبين غيرها من التربية ، فى القديم والحديث على السواء ٠

وبهذا المنهج وحده ـ أيضا ـ يمكن الوصول الى نظام تربية اسلامى عصرى ، يقابل حاجات أى بلد اسلامى جاد فى الوصول الى نظام تربية اسلامى ٠

ونتيجة لاقتناعنا بهذا المنهج ، كان عدم رضانا عن الدراسات السابقة فى التربية الاسلامية وكانت نظرتنا اليها على أنها مجرد دراسات تمهد السبيل للدراسة الحقيقية ، ولكنها ليست هى تلك الدراسات الحقيقية ٠

ونتيجة لاقتناعى شخصيا به ، كان موقفى من توصيات مؤتمر التربية الاسلامية الأول ، الذى عقد فى مكة المكرمة ، سنة ١٩٧٦ ، والذى قلت لبعض اخواننا السعوديين ، الذين ساعدوا فى تنظيم المؤتمر ، وساهموا فى أعماله ، متسائلا : ماذا يحدث ، لو أننا رفعنا عنوان التوصيات (المؤتمر الأول للتربية الاسلامية) ، ووضعنا مكانه (المؤتمر الأول للتربية الشيوعية) ، أو (المؤتمر الأول للتربية الرأسمالية) ، أو (المؤتمر الأول للتربية اليهودية) ٠٠ الخ ؟ ٠

وفهم الاخوة قصدى ، ومن ثم لم يردوا على التساؤل ، لأن التوصيات كانت تتسم بالعمومية ، ومن ثم كانت تنطبق على الاسلام ، انطباقها على غيره ، ومن هنا فقدت أية قيمة علمية لها ٠

وأخيرا اعترفوا ، بأن تسرعهم قادهم الى هذا المنزلق ٠٠ الخطير ٠

* * *

وأخيرا ٠٠ يروق لبعض المسجلين فى موضوع التربية الاسلامية ، ممن سبق أن أشرت اليهم فيما قبل ، أن يسمى هذا الاتجاه الجديد (مدرسة) ٠ وكلمة مدرسة كلمة (كبيرة) ، أدرك مدى خطورتها وتبعاتها ٠ وكلما أبديت تحفظا على هذا القول ، نتيجة لذلك ، كان رد الفعل هو الدفاع عن الكلمة ، والدفاع عن الاتجاه ، وأنه ليس مجرد اتجاه عارض وانما هو فكر أصيل ، ومنهج أصيل ، تستحق الدراسات به أن توصف بأنها نابعة من مدرسة علمية فعلا ٠

وعلى قدر ما كان هذا الكلام يسعدنى كان يقلقنى ، فهو يلقى على عبئا ، أرجو أن أكون له أهلا .

ومن ناحيتى شخصيا ، فاننى متفائل ، لأنى أرى الاتجاه ــ أو المدرسة ــ يتحمله شباب ، آمنوا بالله ، وآمنوا بالاتجاه ، وآمنوا بهذا البلد ــ الذى وفر لهم الفرصة ليصلوا الى قمة ، وكان حظهم خيرا من حظنا ، فقد وجدوا من يمد لهم يدا ، ومن ثم لم يكن أمامى ، سوى أن أدعو الله بما دعا به سيدنا موسى ربه ، عندما كلفه بالرسالة :

ــ « قال : رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من أهلى . هارون أخى . اشدد به أزرى ، واشركه فى أمرى . كى نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . انك كنت بنا بصيرا » (قرآن كريم : طه ــ ٢٠ : ٢٥ ــ ٣٥) .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور عبد الغنى عبود
١٩٧٨/٢/١

شكر وتقدير

وقد انتهيت من اعداد هذا البحث ، أشعر ـ حقيقة ـ بخالص الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل ، لأساتذتي الذين مدوا كل عون ومساعدة لى ، ولم يبخلوا لحظة ما ، بتوجيه مفيد ، أو بنصيحة تلزمنى طريق الصواب ، أو بارشاد كنت أحوج ما أكون اليه ٠

شكرى وتقديرى لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور/ابراهيم عصمت مطاوع، عميد كلية التربية جامعة طنطا ، ورئيس قسم أصول التربية بها ، وقد أرشدنى وزملائى الى أهمية دراسة التربية الاسلامية وضرورتها ، ثم أشرف على اعداد البحث منذ بدايته ، وقد لقيت منه كل العون ، عالما وأستاذا وأبا ، فجزاه الله عنى وعن طلابه وأبنائه خيرا ٠

شكرى وتقديرى لأستاذى الفاضل الدكتور عبد الغنى عبود أستاذ التربية المقارنة والادارة التعليمية المساعد بكلية التربية جامعة عين شمس ، وقد أشرف على أعداد هذا البحث بروح المسلم ، الحريص كل الحرص على أن يبدو وجه الاسلام المشرق ، وأن تبرز قدراته فى مواجهة كافة التحديات ٠ وقد كان لنصحه وتوجيهاته ومؤلفاته ، أثرها فيما توصلت اليه من نتائج ٠

وشكرى وتقديرى لأستاذى الجليلين اللذين قبلا مناقشتى وحرصا على توجيهى نحو الصواب ٠

وأخيرا خالص التقدير والشكر لأولئك الذين مدوا لى ـ عن رضا وطيب نفس ـ يد العون والمساعدة ٠

وأرجو أن أكون ـ بما قدمت من عمل ـ أستحق فعلا ما بذله الجميع من جهد ٠

والله ولى التوفيق

حسن ابراهيم عبد العال
نوفمبر ١٩٧٧

مقدمة البحث والهدف منه

مقدمة البحث :

ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية وسط أفكار متناقضة متضاربة عن الذات الألهية ، فكانت مهمته الأولى هى « اظهار هذه الذات كما يجب أن تظهر وتستقر فى النفس البشرية ، لتدور حولها ٠٠ كنواة ـ بعد ذلك ـ فكرة الاسلام عن الفرد وعن المجتمع ، ثم لتظهر بعد ذلك الايديولوجيا الاسلامية متكاملة » (١) ، وكان على الاسلام « أن يجرد الفكرة الألهية من اخلاط شتى من بقايا العبادات الأولى ، وزيادات المتنازعين على تأويل الديانات الكتابية »(٢) ٠

وصحح الاسلام فكرة الألوهية ، فأتت كاملة ، وحولها انتظمت فكرة الانسان والمجتمع والكون ٠

وكانت التربية هى الوسيلة التى اتخذها الاسلام ، لاحداث ذلك التغير الأيديولوجى فى النفوس ، فالتربية الاسلامية « جهاز اجتماعى ، يعبر عن روح الفلسفة الاسلامية من جهة وهذا الجهاز هو الذى يحقق تلك الفلسفة من جهة أخرى ، فطن النبى عليه السلام منذ أول ظهور الاسلام الى أهمية التربية فوجه النظر اليها وأمر بتعليم القراءة والكتابة ، ولم يكد القرن الثانى الهجرى يطلع حتى كان ثمة جهاز تربوى متغلغل فى كل ناحية من نواحى المجتمع الاسلامى ٠٠٠ وقد ازدهرت الحضارة الاسلامية ، بسبب دقة هذا النظام وانتشاره ، فكانت تلك التربية محققة لروح الاسلام »(٣) ٠

ولم تكن هذه التربية فى عصور الاسلام المختلفة تقف بمعزل عن التطور الحضارى الكبير الذى تم فى العالم العربى فى ظل الاسلام ، بل على العكس من ذلك

---

(١) عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦ م ، ص ٢٧٣ ٠

(٢) عباس محمود العقاد : الله ـ مطابع الأهرام التجارية ـ ١٩٧٢ ، ص ١٣٣ ٠

(٣) أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام (دراسات فى التربية) ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٥ ، ص٧ ـ من المقدمة ٠

« كانت التربية الاسلامية ـ فى عصور القوة ـ تواكب هذا التطور كله وتشد من أزره ، بل كانت تسبقه فى بعض الأحيان »(١) .

وقد عرف الاسلام « التربية بمعناها الشامل » ، « كما عرفها بمعناها المتكامل » ، « كما عرف التربية المستمرة مدى الحياة » « قبل أن تعرف التربية الحديثة ذلك كله ، بحوالى ثلاثة عشر قرنا من الزمان »(٢) .

وعرف المؤسسة التربوية منذ اللحظات الأولى لبدء نزول الوحى على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم . فكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم أول مؤسسة تربوية ، حيث كان المعلم الأعظم يجمع القلة القليلة ، التى آمنت به سرا فى هذه الدار ، يستخلص نفوسها ، ويعلمها آيات القرآن التى يتنزل بها الروح الأمين على قلبه ، ويشكلها أيديولوجيا بما يتفق وتعاليم الاسلام الحنيف .

ثم توالت بعد ذلك مؤسسات التعليم التى لم تكن جامدة بل كانت مرنة متطورة ، مستجيبة لحاجات الزمان والمكان ، « فعندما هاجر المسلمون من مكة الى المدينة ، فتحت ثانى مدرسة فى الاسلام وهى المسجد »(٣) . وقد قامت المساجد « فى عصور الاسلام الأولى ، مقام المدارس والجامعات »(٤) .

وحينما اقتحمت المسجد علوم أجنبية ، فرضت نفسها على الدراسة فيه ، جنبا الى جنب مع العلوم الدينية والعربية ، وتعقدت الدراسة فى المساجد ، بحيث صارت تستدعى دراسة تمهد لها النشء « كانت الكتاتيب ـ مؤسسة التربية الاسلامية الثالثة فى الاسلام ـ ضرورة من ضرورات الحياة فى مجتمع قطع شوطا فى طريق الحضارة والمدنية »(٥) .

ومع التقدم الحضارى الذى حققه المجتمع الاسلامى فى العصر العباسى بدأت مؤسسات أخرى تفرض نفسها على العالم الاسلامى ، فظهرت دار الحكمة فى بغداد

---

(١) عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦ ، ص ٤٢٠ .

(٢) عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام » ـ الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ـ ١٩٧٦ ، ص ٤٥ .

(٣) عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٩ .

(٤) احمد أمين : ضحى الاسلام ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الثامنة ـ مكتبة النهضة المصرية ، ص ٥٢ .

(٥) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ الطبعة الاولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ، ص ١١١ .

وكانت « شبه جامعة أو معهد للترجمة »(١) • وكان الهدف من انشائها ، هو الاضطلاع بحركة الترجمة الضخمة ، ثم اتسعت رسالتها بعد ذلك ، فصارت تشمل التعليم العالى أيضا • ولقد انتشرت دور الحكمة فى المدن الاسلامية الكبرى (كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة)(٢) •

والى جانب المسجد ودار الحكمة كمؤسسات للتعليم العالى ظهرت مؤسسات أخرى تربوية لا تقل أهمية عن هاتين المؤسستين فرضتها ظروف الحياة فى العصر العباسى ، ابان الازدهار الثقافى والاقتصادى ، فظهرت الصالونات الأدبية والعلمية فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء ، كصالون الوزير ابن الفارس فى القرن الرابع الهجرى(٣) ، وصالون ابن الفرات (٤) ، وصالون الصاحب بن عباد(٥) ، وصالون كافور الاخشيد(٦) ، وغيرهم •

كما ظهرت منازل العلماء ، وكانت بمثابة مؤسسات ، يقصدها طلاب العلم ، المتخصصون فى فرع من فروع المعرفة من كل مكان •

وكانت حوانيت الوراقين منتدى للعلماء ، يعقدون أمامها مجالس العلم ويقرءون على أبوابها للناس(٧) • وانتشرت دور الكتب ودور العلم فى كل مكان ، وكانت هذه الدور « أصلح للتعليم من المساجد ، لوجود الكتب ووسائل التعليم الأخرى ، وربما السكنى والعيش فيها »(٨) •

---

(١) بهى الدين زيان : الغزالى ولمحات عن الحياة الفكرية الاسلامية ـ الكتاب العاشر من سلسلة (قادة الفكر فى الشرق والغرب) ـ مكتبة نهضة مصر الفجالة ـ ١٩٥٨ ، ص ١٤ •

(٢) احمد سويلم العمرى : بحوث فى المجتمع العربى ـ دراسات سياسية ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦٠ ، ص ٩٢ •

(٣) ابو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ـ تحقيق ونشر احمد امين واحمد الزين ـ الجزء الثانى ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٢ ، ص ١٩٠ •

(٤) ابو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ـ الجزء الاول ـ مرجع سابق ـ ١٩٣٩ ص ١٠٨ ـ ١٢٨ •

(٥) أبو حيان التوحيدى : مثالب الوزيرين ـ تحقيق ونشر ابراهيم الكيلانى ـ دمشق ـ دار الفكر العربى ١٩٦١ ، ص ١٥٠ ، ١٥١ •

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ طبعة مصورة من دار الكتب ـ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ـ بدون تاريخ (ج ٤ ـ ص ١٦) حوادث سنة ٣٥٥ هـ •

(٧) السبكى (تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى ـ الطبعة الاولى ـ المطبعة الحسينية الكبرى ـ بدون تاريخ ـ ج ٢ ـ ص ١٦٨ •

(٨) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى ـ مطبعة أسعد ببغداد ـ ١٩٧٢ م ـ ١٣٩٧ هـ ، ص ٩٥ •

ثم أصبح نظام المدرسة « ضرورة تفرض نفسها على الواقع الاسلامى(١) ، بعد ذلك ٠

وكانت فلسفة التربية فى الاسلام ، طوال عصور القوة الاسلامية ، التى امتدت حتى القرن الخامس الهجرى ، تدور حول تحقيق عبودية الفرد لله ، بما يمكنه من « اطلاق طاقاته المبدعة ليكون قادرا على خدمة نفسه وعلى التمييز بين الخير والشر ، وليكون قادرا أيضا على المساهمة النشطة البناءة فى حياة مجتمعه وفى ازدهاره »(٢) ٠ وفى ضوء هذه الفلسفة ، تطورت التربية الاسلامية ، من عصر الى عصر ، تبعا للمتغيرات التى فرضتها ظروف الحياة فى كل عصر ٠

ويعد القرن الرابع الهجرى من أزهى العصور الاسلامية فكرا وثقافة ، ففيه حدث اللقاء بين الفكر الاسلامى العربى الأصيل والفكر الأجنبى الدخيل ، فى أوسع صورة ، فنشأت تبعا لذلك « حياة عقلية علمية ، لها طابعها الخاص ، ذلك الطابع الذى يمتاز بامتصاص الثقافات الأجنبية ، واضافتها الى عناصر الفكر العربى الأصيل »(٣) ٠ « وفيه راجت سوق العلم والأدب ونبغ كثير من الأدباء والعلماء وانتشرت المنتديات العلمية وازدهر التفكير وتيسر الاطلاع والقراءة وتيسر التعليم وحضور الدرس ، وانتشر جمع الكتب ، وايداعها فى أماكن خاصة بها ، وانتشرت دور العلم الخاصة بالتعليم والتدريس ، وكثر عدد الطلاب بهذه الدور العلمية يستمعون الى الدرس فيها »(٤) ٠

وأصبح التعليم صناعة وفنا وتعددت المؤسسات التربوية فشملت المساجد والكتاتيب وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء والصالونات الأدبية والعلمية ودور العلم ودور الكتب والمدارس ٠ كما تنوعت طرق التدريس ، وتحددت معالم ومناهج التعليم فى مراحله المختلفة ، وظهر التخصص التربوى والمهنى ٠

وبالجملة ازدهرت التربية ، ونفذ المسلمون مبادىء مثالية فى التربية الاسلامية ، كنا نظنها من نتاج التربية الحديثة ، فاذا هى أساسيات فى التربية

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١٣ ٠

(٢) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية - مرجع سابق - ص ٢٧٩ ٠

(٣) أحمد جمال العمرى : أبو بكر الصولى ، العالم الاديب النديم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الكتاب رقم ١٠١ من سلسلة « أعلام العرب » - ١٩٧٣ ، ص ٢٨ ٠

(٤) عبد العزيز عزت : ابن مسكويه ، فلسفته الاخلاقية ومصادرها - الطبعة الاولى - مطبعة مصطفى الحلبى - ١٩٤٦ ، ص ٤٩ ٠

الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى مثل « التربية الأستقلالية ، والاعتماد على النفس فى التعلم ، والحرية والديمقراطية فى التعليم ، ونظام التعليم الفردى ، ومراعاة الفروق بين الأطفال فى التعليم والتدريس ، وملاحظة الميول والاستعدادات الفطرية للمتعلمين ٠٠٠ وحسن معاملتهم والرفق بهم ، والعناية بالتربية الخلقية ، وتشجيع الرحلات العلمية »(١) ٠ والتربية المستمرة ، حيث أدرك فلاسفة التربية فى هذا العصر أن « الحياة كلها تربى الانسان ، وليس المعلم وحده هو المربى ، ولافى المدرسة وحدها يتربى الانسان »(٢) ٠

وكان الفكر التربوى الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى سريع الاستجابة لمتغيرات هذا العصر وتطوراته ، فظهرت فيه مدارس فكرية متعددة ، تعكس لقاء الفكر الاسلامى بالفكر الأجنبى ، منحازة الى هذا الفكر أو ذلك ، أو عاكسة لونا من ألوان التزاوج بين الفكر الأصيل والفكر الدخيل ٠

فكانت جماعة المعتزلة التى ظهرت أول الأمر فى العصرى الأموى ، ثم استمرت فى هذا العصر وتشعبت الى عدد من المدارس ، وآمنت منذ البداية بالعقل « وأخذت بالعلم الموسوعى الشامل ، خدمة للدين ، وتدعيما لسلطانه فى النفوس »(٣) ٠

ثم ظهرت فى هذا القرن جماعة اخوان الصفاء بنزعتهم العقلية الخالصة التى انعكست على فكرهم التربوى ، « فقد نظروا الى التعليم والتربية نظرا عقليا ، لا علميا »(٤) ٠ وقد وضعت هذه الجماعة دستورا متكاملا للبحث العلمى والفلسفى ، وصفه بعض العلماء بأنه « محكم ورائع » و « أنه وليد المنطق الذى اقتبسه العرب من اليونان »(٥) ٠

---

(١) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى ـ ١٩٦٩ ـ ص ٣ ٠

(٢) محمد فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة وأهميتها للبلدان العربية » ـ فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى يتجدد ـ دائرة التربية فى الجامعة الأميركية فى بيروت ـ مطابع دار الكشاف ـ بيروت ـ ١٩٥٦ ـ ص ٤٩ ٠

(٣) عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى فى الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ـ رسالة مقدمة الى كلية التربية ، جامعة عين شمس ، للحصول على درجة دكتور فلسفة فى التربية ـ ١٩٧٢ ـ استنسل ـ ص ٤١ ٠

(٤) احمد فؤاد الأهوانى ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٤ ٠

(٥) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ـ مكتبة مصر ـ ١٩٦٠ ـ ص ١٨٩ ٠

ثم كانت المدرسة الفلسفية التى كانت أقل تأثيرا من غيرها فى ميدان التربية والتعليم فى العالم الاسلامى من ناحية التأثير العام • ولعل ذلك يرجع الى طبيعة نظرة العالم الاسلامى الى الفلسفة والفلاسفة(١) •

ثم مدرسة الصوفية ، التى اتخذت طريقا آخر للوصول الى الحقيقة ، غير طريق العقل الذى يعتمد عليه الفلاسفة وطريق العقل والنقل الذى يعتمد عليه رجال الدين وهو « طريق القلب بعد أن يصفى من شوائبه وطريق النفس بعد أن تتجرد من لذاتها »(٢) •

وفى مواجهة هذه المدارس الفكرية وقفت مدرسة الفقهاء تقدم الدين للناس فى صورة بسيطة بعيدة عن نظريات الفلاسفة وجدل المتكلمين واستغراق أهـل التصوف ، « وقد عنى الفقهاء ــ من أهل السنة ــ بالتعليم ، ليشب العامة على معرفة الدين علما وعملا ، لأن معرفة الدين لا تتم الا بنوع من التعليم »(٣) •

كان هذا الفكر أول أمره متكاملا فى كتابات الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة والأدباء ، ثم قام مستقلا بذاته ، له أعلامه ومفكروه ، أمثال ابن مسكويه، فيلسوف الأخلاق ، والقابسى ، الفقيه المالكى ، وغيرهما ، كما ظهر لهذا الفكر التربوى مؤلفاته الخاصة به(٤) •

ونظرا لأهمية القرن الرابـع الهجـرى فقد نال اهتمام الباحثين فى شتى مجالات العلوم والمعرفة الا أن هذه الفترة الزاهرة من تاريخ الامة الاسلامية تحتاج الى مزيد من البحث والدراسة فى مجال التربية لنربط الماضى بالحاضر ولنستفيد من ايجابيات التربية الاسلامية فى تربيتنا المعاصرة •

---

(١) ابراهيم عبد المجيد اللبان : الفلسفة والمجتمع الاسلامى ــ مكتبة النهضة ــ ١٩٥٤ ، ص ١٧٦ •

(٢) بهى الدين زيان : الغزالى ولمحات عن الحياة الفكرية الاسلامية ــ مرجع سابق ــ ص ٣٠ •

(٣) احمد فؤاد الأهوانى ــ مراجع سابق ــ ص ٨١ •

(٤) انظر على سبيل المثال :

ــ ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ــ المطبعة الخيرية بمصر ــ سنة ١٣٢٢ هـ •

ــ القابسى : المفصلة لأحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين ــ مخطوط ، نشره احمد فؤاد الأهوانى ، فى كتابه التربية الاسلامية ــ مرجع سابق •

ويهدف البحث :

الى الكشف عن الفكر التربوى الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى ، والتعرف على نظام التربية فى ذلك العصر بدراسة مبادئه وأفكاره ومصادره بقصد الاستفادة منها ، والوصول بهذه الدراسة الى نتائج تقبلها العقول وذلك من خلال معرفتنا لأنفسنا وشخصيتنا القومية ، ومقومات حياتنا وتراثنا التربوى الاسلامى ، وهو مالم يدرس بعد الدراسة الجديرة به . وذلك لأن « تربيتنا لا تستطيع أن تغض الطرف عن تراثنا العربى والاسلامى ، بل ان من واجبها أن تحرص عليه وتفاخر به ، وتعمل على المحافظة على ما فيه من قيم مادية وروحية ، باقية على الدهر »(١) .

ويزيد من قيمة القرن الرابع الهجرى كمجال للدراسة التربوية أنه كان ملتقى تيارات فكرية متعددة ، وهو بهذا شبيه بالعصر الذى نعيش فيه الآن مما يعنى امكانية الاستفادة من الاتجاهات التربوية التى ظهرت حينئذ فى حياتنا المعاصرة .

والمنهج المتبع فى هذه الدراسة :

هو المنهج التاريخى أو الاستردادى الذى يحلل المجتمع الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى ، ويبرز الشخصية القومية لذلك المجتمع ، وانعكاسها على التربية فيه ، وربطها بالقوى الثقافية التى أثرت فيها وذلك بالرجوع الى المصادر الأولية مخطوطها ومطبوعها ، وكذلك المصادر الثانوية ذات الصلة بموضوع البحث . وقد حاولت الربط فى هذه الدراسة بين ملامح الحياة الرئيسية فى القرن الرابع الهجرى وملامح الحياة الرئيسية فى مجتمعنا الاسلامى المعاصر حتى يمكن الاستفادة من الايجابيات التى ظهرت فى هذا العصر .

ويتكون البحث من خمسة فصول :

١ ـ الفصل الأول : مدخل أيديولوجى للدراسة :

حيث كان للاسلام تصورات للفرد وللمجتمع ، وقد انعكست هذه التصورات على التربية الاسلامية عموما ، بما فيها التربية فى القرن الرابع .

---

(١) فاخر عاقل : « نحو اصلاح تربوى جذرى » ـ التربية من أجل التنمية ـ المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى المنعقد بدمشق فى ٣ ـ ٨ آب ١٩٧٤ ـ الجمهورية العربية السورية ـ وزارة التربية ـ ص ١٩١ .

٢ ـ وتناول الفصل الثانى : مجتمع القرن الرابع الهجرى :

(أ) **فى حياته السياسية :** حيث التفرق السياسى ، وشيوع الفتنة والاضطراب وضياع هيبة الخلفاء والعبث بسلطانهم ·

(ب) **وفى حياته الاقتصادية :** حيث فساد الوضع الاقتصادى والتباعد فى طبقات الشعب · وقد تناولت الدراسة مصادر الدخل ، وسوء توزيعها ·

(ج) **وفى الحياة الاجتماعية :** حيث نتج عن التفاوت الطبقى وسوء توزيع الثروة فساد فى الوضع الاجتماعى ·

(د) **وفى الحياة الدينية :** وتناولت الدراسة للحياة الدينية جانبين :

(١) حياة الدين فى نفوس المتحلين به ، وتأثيره فى سيرهم وأعمالهم ·

(٢) البحث عنه من حيث هو علم تتناوله المناظرة والجدل وتنتشر فيه الكتب والاسفار ·

(هـ) **وفى الحياة العلمية والفكرية :** حيث كان القرن الرابع الهجرى من أزهى عصور الاسلام ثقافة وفكرا ·

ثم ختمت الدراسة فى هذا الفصل بالحديث عن التخصص التربوى والمهنى حيث دفعت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية بمجتمع القرن الرابع الهجرى الى التخصص التربوى والمهنى للوفاء بحاجات المجتمع المختلفة ·

٣ ـ وتناول الفصل الثالث : نظام التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، فشمل :

أهداف التربية الاسلامية التى تتلخص فى خلق الانسان الصالح بما يتضمنه هذا الهدف الكبير من أغراض دينية واجتماعية وعقلية ومادية وسياسية · ولما كانت التربية الخلقية « هى روح التربية الاسلامية » ، « حيث كان الغرض الأول والأسمى من التربية الاسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح »(١) ، تناولت الدراسة التربية الخلقية ووسائل هذه التربية ، كما تناولتالدراسة الفكر

---

(١) محمد عطيه الابراشى : التربية فى الاسلام ـ رقم (٢) من « دراسات فى الاسلام » ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف ـ ١٥ من رمضان ١٣٨٠ هـ ـ ٢ من مارس ١٩٦١ م ـ ص ١٠ ·

التربوى الاسلامى فى ذلك العصر • ثم مراحل التعليم المختلفة وفلسفة هذه المراحل ، ومناهج التعليم لكل مرحلة منها ، وطرق التدريس للمرحلتين الأولى والعالية وتنوع هذه الطرق حسب درجة النمو •

كما تعرض الفصل لطوائف المعلمين فى القرن الرابع ، من حيث اعداد المعلمين وحالتهم المالية والاجتماعية وألقابهم ولباسهم حينئذ ، ثم ختمت الفصل بالحديث عن ادارة التعليم وتمويله •

٤ ـ **وكان الفصل الرابع : دراسة للمؤسسات التعليمية فى القرن الرابع الهجرى•** وقد تعددت هذه المؤسسات فشملت :

الكتاتيب : وهى مؤسسات التعليم للمرحلة الأولى •

المسجد : وكان يقوم بالدور الأساسى فى التربية الاسلامية •

حوانيت الوراقين : وقد كانت مسرحا للمناقشات العلمية والأدبية والحلقات الدراسة •

منازل العلماء : وكانت فى القرن الرابع بمثابة مؤسسات علمية متخصصة •

الصالونات الأدبية : وفيها عقدت حلقات منتظمة للعلم، يحضرها المتخصصون فى فروع العلم المختلفة •

دور الكتب ودور العلم : وقد توفرت فيها مميزات المعاهد العلمية من وجود المعلمين ورعاية الطلاب والانفاق عليهم •

المدرسة : وقد ظهرت فى هذا العصر ، على خلاف ما ذهب اليه كثير من الباحثين ، من أنها من نتاج القرن الخامس الهجرى • وقد « حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة »[١] •

٥ ـ **وتناول الفصل الخامس : نتائج البحث ومقترحاته •**

(والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق)

---

(١) المقريزى « تقى الدين احمد بن على عبد القادر » : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار ـ دار الطباعة المصرية ـ ١٢٧٠ هـ ـ ج ٢ ـ ص ٣٦٣ •

وانظر أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ ـ ص ٩٩ •

وخطاب على عطيه : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٤٧ ـ ص ١٦٧ •

الفصل الأول

مدخل أيديولوجى

مقـدمة :

تقع معظم الدراسات التى تعرضت للتربية الاسلامية فى خطأ جسيم حين تنظر اليها من خلال مؤسسات التعليم التى ظهرت فى الاسلام ، ومناهج الدراسة وطرق التدريس وغيرها ، بمعزل عن الأيديولوجيا الاسلامية ، فقد « أتى الاسلام بأيديولوجيا معينة وتصورات للفرد والمجتمع تختلف قليلا أو كثيرا عن الأيديولوجيا التى كانت سائدة قبله ، وانعكست هذه الأيديولوجيا الجديدة على التربية الاسلامية ، وبدون فهم هذه الايديولوجيا الاسلامية لا يمكن فهم التربية الاسلامية »(١) •

ولا يمكن فهم الأيديولوجيا الاسلامية ، والتربية الاسلامية بالتالى ، دون الرجوع الى اطارهما النظرى ، كما نراه فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية •

ولن نستطيع فهم التربية الاسلامية عموما والتربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى دون أن ندرك مجملا للتصور الاسلامى عن الألوهية والكون والحياة الانسانية ، فليست التربية الا فرعا من ذلك الأصل الكبير الذى نرجع اليه كل تعاليم الاسلام •

فالاسلام « وهو يتولى تنظيم الحياة الانسانية جميعا لم يعالج نواحيها المختلفة جزافا ولم يتناولها أجزاء وتفاريق ذلك• أن له تصورا متكاملا عن الألوهية والكون والحياة الانسانية يرد اليه كافة الفروع والتفصيلات ويربط اليه نظرياته جميعا وتشريعاته وحدوده وعباداته ومعاملاته فيصدر فيها كلها عن هذا التصور الشامل المتكامل »(٢) •

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ ، ١٠٤ •

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ، ص ٢٠ •

ولذا كان لا بد للبحث من مدخل أيديولوجى نستطيع منه فهم الأيديولوجيا الاسلامية ،وأثرها فى تطور المجتمع الاسلامى عموما ، والفكر التربوى الاسلامى على وجه الخصوص ، فالاسلام كان « ولا يزال هو الباب الى فهم (الشخصية القومية العربية) »(١) .

وسوف يشير الباحث فى هذا المدخل الى تصور الاسلام الشامل للكون والانسان والمجتمع قبل الحديث عن التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى فهى فرع يصدر عن ذلك التصور الكلى ولا تفهم بدونه فهما صحيحا عميقا .

على أن الذى ينبغى الاشارة اليه أن النظرة الاسلامية الصحيحة لذلك لا تلتمس عند فلاسفة المسلمين فى عصور الاسلام المختلفة ، وانما تلتمس فى أصول الاسلام الصحيحة ، من قرآن كريم ، وحديث شريف .

والبحث المفصل عن تصور الاسلام ، (للكون وللانسان وللمجتمع) ، ليس مجاله هذا البحث ، ولكنى سأشير الى هذه الموضوعات اشارات ، قد تفتح الطريق الى الفهم الصحيح لها ، ومن ثم فهم التربية الاسلامية ، فى القرن الرابع الهجرى ، وهى فرع يرد الى هذه الأصول الجامعة .

* * *

أولا : الاسلام والكون

ظلت الانسانية أدهارا طويلة لا تستقيم على تصور شامل عن الكون ، وكانت كلما جاءها رسول من عند الله بالصورة الصحيحة الصادقة ، قبلتها منه قلة ، وأعرضت كثرة ثم عادت بجملتها فارتدت الى تصورات منحرفة مشوهة .. حتى جاء الاسلام بأكمل صورة للكون . ذلك الوجود الصادر عن الارادة المطلقة « وحدة متكاملة ، كل جزء فيها ملحوظ فيه تناسقه مع سائر الأجزاء ، ولكل موجود فيه حكمة تتعلق بهذا التناسق الكامل الملحوظ »(٢) : « وخلق كل شئ فقدره تقديرا »(٣) . « انا كل شئ خلقناه بقدر »(٤) . « الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر

---

(١) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية — مرجع سابق — ص ب — من المقدمة .

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — مرجع سابق — ص ٢٢ .

(٣) قرآن كريم : سورة الفرقان : آية ٢ .

(٤) قرآن كريم : سورة القمر : آية ٤٩ .

كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير »(١). «وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها »(٢) . « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون »(٣) .

وهكذا يعرض الاسلام صورة صحيحة للكون يبدو فيها أن لكل موجود حكمة تتناسق مع غاية الوجود « وأن الارادة التى يصدر عنها الوجود أولا ويحفظ بها وينتظم ثانيا ، تلاحظ فى كل موجود ، تناسقه ونفعه الكلى للوجود »(٤) .

ولأن الوجود وحدة متكاملة الأجزاء ، متناسقة الحلقة والنظام ، كان مهيئا وصالحا ومساعدا لوجود الحياة بصفة عامة ولوجود الانسان بصفة خاصة ، فليس الكون عدوا للحياة ولا عدوا للانسان . والانسان « جزء من هذا الكون لا ينفصل عنه » وعليه « أن يدرسه ويتفهمه ويعرف أسراره »(٥) .

وطريق الانسان لدراسة هذا الكون وفهمه وحمل مسئولياته فيه هو العلم ، ذلك العلم الذى يمكنه من أداء رسالته فى الحياة وفى « نشر الحق والعدل والخير »(٦) ، ولا يتسنى له ذلك « مالم يقم علاقة طيبة بينه وبين الكون الذى يعيش فيه فهما لأسراره واستغلالا لامكانياته واستفادة بما أودعه الله فيه من كنوز وخيرات »(٧) .

« ومن الأخطاء الشائعة ، القول بأن هناك خصومة تقليدية بين العلم والدين ، وأن هذه الخصومة التقليدية تترك لها انطباعا على النظرة الى الكون والعلاقة به »(٨)، فالاسلام لا يعادى العلم ولا يكره العلماء بل يجعل العلم المؤدى الى معرفة الله — وكل علم صحيح يؤدى الى هذه الغاية — فريضة مقدسة داخلة فى الطاعات الدينية .

---

(١) قرآن كريم : سورة الملك : آية ١ .

(٢) قرآن كريم : سورة فصلت : آية ١٠ .

(٣) قرآن كريم : سورة الروم : آية ٤٨ .

(٤) سيد قطب — العدالة الاجتماعية فى الاسلام — مرجع سابق — ص ٢٢ .

(٥) عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية « الأيديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — القاهرة — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٦ ، ص ٧٣ .

(٦) المرجع السابق — ص ٨٢ .

(٧) عبد الغنى عبود : الاسلام والكون — الكتاب الثالث من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) القاهرة — الطبعة الاولى — دار الفكر العربى — مايو ١٩٧٧ — ص ٩١ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

وفى الاسلام نجد « العلماء هم ورثة الأنبياء » ، و « من سلك طريقا يطلب به علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة »(١) . فهو دين قام على التأمل والنظر فى آيات الله وفى الأنفس وفى الآفاق ، وهو دين يجعل العلم سبيلا الى معرفة الله وخشيته : « انما يخشى الله من عباده العلماء »(٢) • والعلم فى الاسلام هو الذى يصل بالانسان « الى مرتبة رفيعة من الايمان عن طريق تلمس الغاية من الأشياء داخل اطار الكون المادى أو حدوده الطبيعية »(٣) •

فلا جفوة اذن بين الدين والعلم الصحيح ، وقد كانت أول آية نزلت على قلب النبى صلى الله عليه وسلم طلبا للعلم والمعرفة وايذانا بعصرهما « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم »(٤) •

واذا كانت أول آية أمرا بالقراءة ، فان الآية التالية لها لفتة الى جزء من هذا الكون الذى ننتمى اليه مؤكدة بذلك مبدأ الوحدة والتناسق بين الموجودات فى هذا الكون •

ومنذ نزلت هذه الآيات ويكاد الحديث عن الكون لا يتوقف فى سورة من سور القرآن الكريم(٥) • وتأتى آيات الكون فى القرآن للعظة والعبرة ، أو للدلالة على قدرة الله ، أو ردا على المنكرين للرسالة والرسول ، أو لتربط الانسان بالكون فيعرف رسالته ودوره المنوط به •

والقرآن فى عرضه لنواحى العلم المختلفة « ليس كتابا فى الجغرافيا أو التاريخ ، وليس كتابا فى الفلك أو علم الحياة أو الطبيعة • أنه كتاب عقيدة وتشريع »(٦) . واذا كان القرآن قد اشتمل على آيات تتصل بالطبيعة والطب والفلك

---

(١) صحيح البخارى — لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى — الجزء الأول — دار ومطابع الشعب (بدون تاريخ) ، ص ٢٦ ، ٢٧ •

(٢) قرآن كريم — سورة فاطر : آية ٢٨ •

(٣) محمد جمال الدين الفندى : الله والكون — القاهرة — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٦ ، ص ٢٢ •

(٤) قرآن كريم — سورة العلق (١ — ٥) •

(٥) راجع القرآن الكريم — سورة الضحى (١ — ٣) ، وسورة الليل (١ — ٤) ، وسورة النبأ (٦ — ١٦) ، وسورة فاطر (٢٧ — ٢٨) ، وسورة الطارق (١ — ٨) ••• الخ •

(٦) عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس — رقم ٥٥ من المكتبة الثقافية — دار القلم بالقاهرة — ١٩٦٢ ، ص ٣٢ •

وغيرها « فليس معنى ذلك أنه من المراجع العلمية التى تدخل فى التفاصيل اذ أنه كتاب هداية قبل كل شىء »(١) ٠

ومعجزة القرآن أنه ككتاب عقيدة يدعو الى العلم ، فالعلم لا يهدم العقيدة فيه وانما هو يدعمها ، « وخير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم ، أنه يحث على التفكير ، ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع ٠٠ وكل هذا مكفول للمسلم فى كتابه كما لم يكفل قط فى كتب الأديان فهو يجعل التفكير السليم والنظر الصحيح الى آيات خلقه وسيلة من وسائل الايمان بالله ، وهو يحث المسلم على أن يفكر فى عالم النفس ، كما يفكر فى عالم الطبيعة »(٢) ٠ وعلى الرغم من انقضاء قرون طويلة منذ نزول القرآن وحتى اليوم لم يأت القرآن بحقيقة كونية خالفت ما أثبته العلم الصحيح ٠ وليس ذلك بمستغرب لأن « القرآن كلام الله ، والكون خلق الله ، وما دام الذى خلق هو الذى قال فيجب بداهة ألا تتعارض حقيقة قرآنية مع حقيقة كونية »(٣) ٠

وعلى ذلك فاعجاز القرآن العلمى « ليس فى اشتماله على النظريات العلمية التى تتجدد وتتبدل وتكون ثمرة للجهد البشرى فى البحث والنظر ، وانما فى حثه على التفكير فى مخلوقات الله فى السماء والأرض وفى نفسه ٠٠ وفى الطبيعة التى تحيط به »(٤) ٠

أثر هذه النظرة على المسلمين :

تقرر العقيدة الاسلامية أن الله سبحانه خالق الكون والانسان قد خلق قوى الكون المختلفة وسخرها للانسان « فليس الكون عدوا للحياة ولا عدوا للانسان وليست الطبيعة .. خصما للانسان ، يصارعه ويغالبه ، وانما هى من خلق الله ، وهى

---

(١) محمد جمال الدين الفندى — مرجع سابق — ص ٦ ٠

(٢) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — دار الاسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ ، ص ١٢ ، ١٣ ٠

(٣) محمد متولى الشعراوى : القضاء والقدر ، معجزات الرسول ، اعجاز القرآن ، مكانة المرأة فى الاسلام — اعداد أحمد فراج — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٩٧٥ — ص ١١٨ ٠

(٤) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن — الطبعة الثانية — منشورات العصر الحديث — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م ، ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ٠

صديق لا تختلف اتجاهاته عن اتجاهات الحياة والانسان ، وليست وظيفة الأحياء أن يصارعوا الطبيعة وهم فى أحضانها نشأوا ، وهى وهم من ذلك الوجود الصادر عن الارادة الواحدة »(١) .

فقوى الكون جميعا خلقت لتتعاون مع الانسان ولتكون صديقا مساعدا متعاونا . « أما سبيله الى كسب هذه الصداقة ، فهو أن يتأمل هذه القوى ويتعرف اليها ، ويتعاون معها »(٢) . سبيله أن يتصالح مع الكون ، وامارة هذا التصالح سرعة الاستجابة للعلوم التى تساعده على استخدام قوى الكون لصالح البشر جميعا . وقد أدرك المسلمون فى عصور الاسلام القوية ذلك فكانت لديهم « القدرة على التعلم السريع والافادة من الغير وتشرب الاتجاهات النافعة فى الحضارات التى قدر لهم أن يلتقوا بها ويصادفوها »(٣) ، ومن ثم ابتدعوا المنهج التجريبى «متأثرين فيه بطبيعة الاسلام وبالأوامر القرآنية المتلاحقة بالتفكير والتأمل والتدبر فى السماء والأرض وفى النفس ، وبترجمة هذا الفكر النظرى الى واقع عملى بدلا من التحليق فى آفاق الخيال »(٤) . « فالفكر العربى فى جوهره كان فكرا تجريبيا ، تجاوز الحدود الصورية لمنطق أرسطو ، واتخذ الملاحظة والتجربة مصدرا لعلمه ، وكان هذا الفكر التجريبى يربط بين التأمل النظرى والممارسة العملية ، ويتجه الى التحديد الكمى »(٥) .

فرسالة الانسان اذن أن يدرس هذا الكون بأوسع مفهوماته ، فالاسلام يعتبر ذلك لونا من ألوان العبادة ليستحق الانسان منزلة الاستخلاف فى الأرض ، وقد سبق الاسلام العلم الحديث الى دراسة الكون كما سبق ، فى تقديم تصوره العظيم لهذا الكون فى وحدته وتكامله وتناسقه ولم ينظر اليه منفصلا مجزءا ، بل نظر اليه متكاملا متصلا فى النهاية بالله سبحانه وتعالى على قمة النظم الكونى كله .

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — مرجع سابق — ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٣ ، ص ١٥ .

(٤) عبد الغنى عبود : الاسلام والكون — مرجع سابق — ص ١١٧ .

(٥) عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى — الطبعة الثالثة — مطبعة لجنة البيان العربى — ١٩٦٦ — ص ٦٣ .

ثانيا : الانسان فى الاسلام

للاسلام نظرته الخاصة الى الانســان ، وهى نظرة تتسم بالشمول والعمق والاتزان ٠

« فالانسان يحتل فى العقيدة الاسلامية منزلة لا تعلو عليها سوى منزلة الله سبحانه »(١) ٠ وتدل قصة خلق الانسان على هذه المنزلة الكريمة « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم مالا تعلمون »(٢) ٠

فالله سبحانه « هو الذى استخلف الانسان فى الأرض وسخر له ما فيهــا وزوده بالمواهب التى تعينه على الخلافة وتيسر له طيبات الحياة كلها »(٣)٠ ومعنى استخلاف الانسان « انه يجب أن يسير على درب من استخلفه ، فيكون الله المثل الأعلى فى حياته ، فيفهم الكون المحيط به ويستغله لصالحه ، ويحقق فيه ما استطاع رسالة الحق والخير والجمال ، رسالة الله فى هذا الكون »(٤) ٠

والانسان بحكم تكوينه قادر على أن يقوم بمهام الاستخلاف « فقد خلق الله هذا الانسان جسما كثيفا وروحا شفافا ، جسما يشده الى الأرض ، وروحا يتطلع الى السماء ، جسما له دوافعه وشهواته ، وروحا له آفاقه وتطلعاته ، جسما له مطالب أشبه بمطالب الحيوان ، وروحا له أشواق كأشواق الملائكة »(٥) ، وهو أيضا ، قد « جمع بين ضلوعه ما تفرق فى خلق الله جميعا ، ففيه روحانية الملائكة ، وفيه حيوانية الحيوان ، وفيه بالاضافة الى ذلك نباتية وجمادية ، وفيه ما استأثر به وحده دون خلق الله جميعا وهو العقل »(٦) ٠

---

(١) عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ـ مرجع سابق ـ ص ٧٣ ٠

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة آية ٣٠ ٠

(٣) سيد قطب : هذا الدين ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ، ص ٩٢ ، ٩٣ ٠

(٤) عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر ـ الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ، ص ١١٣ ٠

(٥) يوسف القرضاوى : الايمان والحياة ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٣ م ، ص ٧٦ ٠

(٦) محمد متولى الشعراوى ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ ٠

ويرى الأستاذ العقاد ، أن جملة « هذه القوى من النفس والعقل والروح » هي « (الذات الانسانية) في حالة من حالاتها ، ولا تتعدد الذات الانسانية بأية صورة من صور التعدد »(١) .

غير أن الذات الإنسانية « ليست محصلة حسابية لهذه القوى ، وانما هي محصلة جدلية لها ، بمعنى أننا قلما نجد ذاتين انسانيتين متشابهتين ، رغم أن المادة الأولية لكل منهما واحدة »(٢) ، فالناس يتفاوتون فيما بينهم بطريقة تتفاوت بها ذواتهم فيما منحت من قدرات وامكانيات ومواهب « فقد يكون سلطان الروح على النفس أقوى ، وقد يكون سلطان الجسد بما فيه من غرائز .. وشهوات ، هو السلطان الطاغي »(٣) .

والانسان في الاسلام « كائن لا هو بالملاك ولا بالشيطان وان كان قادرا في بعض حالات الهبوط أن يصل الى درجة الشيطان من الشر ، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه الى مستوى الملائكة من الطهر ، ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك ، مشتمل على الخير ، كما هو مشتمل على الشر »(٤) .

وهذه الطبيعة المزدوجة « ليست أمرا طارئا على الانسان ولا ثانويا فيه بل هي فطرته التي فطره الله عليها ، وأهله بها للخلافة في الأرض ، منذ خلق آدم خلقا جمع بين قبضة الطين ، ونفخة الروح »(٥) .

ويهدف الاسلام الى ايجاد التوازن في نفس الفرد ، فيؤدي ذلك الى ايجـاد التوازن في المجتمع وفي الانسانية كلها « فما دامت الذات الانسانية تشمل النفس والعقل والروح فالاسلام يعترف بالكائن البشري كما هو ، فيحقق رغبات جسده وعقله وروحه ، ويهدف في ذات الوقت الى ايجاد التوازن بين الجميع »(٦) .

---

(١) عباس محمود العقاد : الانسان في القرآن — دار الاسلام القاهرة — ١٩٧٣ ص٣٧ .

(٢) عبد الغني عبود : « التعليم مدى الحياة في الاسلام » — المقولة الثانية من كتاب : في التربية المعاصرة — تاليف : ابراهيم عصمت مطاوع ، وعبد الغني عبود — الطبعة الاولى — دارالفكر العربي — ١٩٧٧ م ، ص ٤٩ .

(٣) عبد الغني عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعـاصرة — مرجع سابق — ص ٧٥ .

(٤) محمد قطب : الانسان بين المادية والاسـلام — الطبعة الثالثة دار احيـاء الـكتب العربية — ١٩٦٨ م ، ص ٨ .

(٥) يوسف القرضاوي : الايمان والحياة — مرجع سابق — ص ٧٧ .

(٦) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية — الطبعة الثانية — دار الشروق — بيروت — (بدون تاريخ) ، ص ١٩ .

واستخلاف الله للانسان على هذا النحو تشريف له ، ولكن هذا الاستخلاف ذاته يلقى على الانسان أعباء ومسئوليات لا مهرب له من القيام بتبعاتها مستخدما عقله فى ذلك . والاسلام يعول على هذا العقل فى أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف ولذا يذكر العقل دائما فى مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به والرجوع اليه ، فالعقل « لكل فضيلة أس ، ولكل أدب ينبوع ، وهو الذى جعله الله للدين أصلا ، وللدنيا عمادا فأوجب الله التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، والعاقل أقرب الى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل »(١) ٠

ولا يستطيع الانسان القيام بتبعات الاستخلاف تلك ما لم « يخلق فى نفسه حالة العبودية الكاملة لله تعالى » ، « العبودية أن يسلم المرء نفسه لله ويتوجه بكل مشاعره نحوه سبحانه »(٢) ايمانا منه بأن « الذات الالهية هى الحقيقة المطلقة الوحيدة »(٣) ٠

ومن ثم « تتلخص عقيدة الاسلام فى مطلق وحدانية الله خالق الكون ومالكه » « ومن هذا المبدأ الأساسى تنتج وحدة الخلق ومصير العالم »(٤) ، ويوم يتمرد الانسان على هذه العبودية لله فهو يتمرد على نفسه وعلى أسباب حريته وأمنه وأسباب طمأنينته على نفسه ، فى يومه وغده ، ويوم ترتاح نفس المؤمن ويرتاح قلبه الى هذه العبودية تتوفر أسباب الاستقرار والطمأنينة والراحة والسعادة له ، وعبودية الانسان لله على هذا النحو المطلق هى قمة تحرر الانسان فهى عبودية « تتشرف بها انسانيتهم وتسمو كرامتهم التى كرمهم بها رب العالمين » وهى « العبودية التى ينتهى اليها أقصى ما تتطاول اليه حرية الأحرار » (٥) ، ومن ثم تجد المسلم حقا حرا فى حياته وهو « شجاع أمام الأعداء ، شجاع أمام الطغاة ، شجاع أمام الأحداث ، ثقته كاملة فى الله الحكيم الرحمن »(٦) ٠

---

(١) القرطبى (ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى) : تفسير القرطبى المسمى «الجامع لاحكام القرآن » ـ القاهرة ـ دار ومطابع الشعب ـ ١٩٧٠ ، ص ١٨٣١ ٠

(٢) وحيدالدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر الاسلام ومقتضياته ـ ترجمة ظفر الاسلام خان ـ الطبعة الاولى ـ المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٩٧٣ ، ص ٣٣ ٠

(٣) وائل عثمان : حزب الله فى مواجهة حزب الشيطان ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٧٥ ، ص ١٩ ٠

(٤) احمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق ـ نقله عن الفرنسية الدكتور عثمان امين ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٧٥ ، ص ٥٢ ٠

(٥) احمد حسن الباقورى : « الدين اصل الفطرة الانسانية » ـ منار الاسلام ـ تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف فى دولة الامارات العربية المتحدة ـ العدد الاول ـ محرم ١٣٩٦ هـ ـ يناير ١٩٧٦ م ، ص ٣٠ ٠

(٦) عبد الحليم محمود : « حب الله وتوحيده » ـ منار الاسلام ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٠

والانسان فى الاسلام يرتفع ويهبط من خلال ما يفكر فيه وما يقول به ، وما يسلكه فى حياته مع الناس والأشياء ، فحياته الدنيا وكل ما تتطلبه تلك الحياة من أعباء ومسئوليات هى معبر الانسان المسلم الى آخرته حيث الجنة أو النار .

وتتلخص رسالة الانسان المسلم فى حياته الدنيا « فى نشر الحق والعدل والخير »(١) ·

ولا يتسنى للمسلم نشر الحق والعدل والخير ما لم يكن المسلم نفسه صورة صادقة لهذا الحق والعدل والخير ، الذى يريد نشره ، ولطالما نعى القرآن الكريم على الذين يقولون مالا يفعلون : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »(٢) · كما لا يتسنى للمسلم ذلك ما لم يخلق المجتمع المسلم الذى تتحقق فيه كرامة الانسان مسلما كان هذا الانسان أو كتابيا أو كافرا ·

وحرية الانسان فى الاسلام كاملة فى أن يختار أى طريق يسلكه فى حياته : طريق الله أو طريق الشيطان « واذا خوطب الانسان مدعوا الى الله فانما يخاطب فيه أغلى ما فيه وهو قلبه وعقله » و « لا يخاطب فيه بطنه أو جسده »(٣) · واذا خوطب فى الانسان قلبه وعقله فلا بد أن يكون الكون الفسيح المحيط بالانسان — هو طريق هذا الانسان الى الله تفكرا فى خالقه سبحانه ودعوة الى اكتشاف أسراره ·

ولم يكن غريبا لذلك ، أن يكون الأمر بالقراءة ، هو مستهل الدعوة الاسلامية ، وهو مستهل يدل على الشعار الذى رفعه الاسلام ليدل بعده على جوهر الايديولوجيا الاسلامية « وعلى المفتاح الذى لا يمكن بدونه فهم الشخصية الاسلامية وفهم التغير الجذرى الذى أحدثه الاسلام فى الذات الانسانية ، فتحولت من ذات جاهلية تعبد الأصنام والأوثان ، وتؤمن بشريعة الغاب ، الى ذات واعية عاقلة تحمل لواء حضارة كانت أساس حضارة العالم المعاصر »(٤) : « اقرأ باسم ربك الذى خلق · خلق الانسان من علق · اقرأ وربك الأكرم · الذى علم بالقلم · علم الانسان ما لم يعلم »(٥) · فالقراءة كما يقول الباحثون هى مفتاح باب المعرفة ، والمعرفة هى

---

(١) عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة — مرجع سابق — ص ٨٢ ·

(٢) قرآن كريم : سورة الصف : آية ٣ ·

(٣) عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة — ص ٨٤ ·

(٤) عبد الغنى عبود : « التعليم مدى الحياة فى الاسلام » — مرجع سابق — ص ٥٤ ·

(٥) قرآن كريم : سورة العلق (١ — ٥) ·

طريق التقدم ووسيلة السيطرة على الطبيعة ، ومن ثم فهم يلاحظون أن « هناك ترابطا بين كون الشعب متقدما وكونه قارئا »(١) ، كما يربطون بين النهضة الأوربية التى تحققت بعد الاصلاح الدينى وحركة النشر العلمى « فى المجالات العلمية التى كانت تطبع باللغة الوطنية »(٢) . والقراءة التى يقصدها الاسلام أعم وأشمل من القراءة كما نراها فى الدراسات الحديثة ، التى لا تتعدى قراءة المكتوب لاستيعاب محتواه ، استفادة منه أو تطويرا له ، ولكنها فى الاسلام « قراءة للمكتوب ، وقراءة لغير المكتوب مما تقع عليه العين ، أو تسمعه الأذن ، أو تحسه أية حاسة من حواس الانسان ، فى النفس ، وفى السماء والأرض وفى خلق الله الكثير من حولنا » « ومن ثم كانت القراءة فى الاسلام تستثير المسلم من أعمق أعماق كيانه ، لأنها تتصل بوجوده كمسلم ، يكون أو لا يكون ، بينما القراءة الحديثة كانت وستظل تستثير الانسان من الخارج »(٣) .

ومن هنا كانت « القابلية الحضارية » التى خلقها الاسلام فى نفوس أعراب البادية ، «فتحولوا من جاهليين الى حماة للحضارة ومتشربين لها ، ثم مساهمين فيها فيما بعد »(٤) ، كما سيبدو من خلال دراستنا للتربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى .

* * *

ثالثا : المجتمع الاسلامى

تتسع كلمة المجتمع الاسلامى لتشمل العالم الانسانى ، فالناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ينتمون الى أصل واحد : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »(٥) .

---

(١) السيد أبو النجا : « القراءة مبدأ حسابى » — لماذا نقرأ — لطائفة من المفكرين — دار المعارف بمصر — ص ٦٦ .

(٢) لانسلوت هوجبن : العلم للمواطن — ترجمة عطيه عبدالسلام عاشور ، سيد رمضان هدارة — مراجعة محمد مرسى أحمد — رقم ١٠١ من (الالف كتاب) — القسم الثانى من الجزء الاول — دار الفكر العربى — ص ٤٤١ .

(٣) عبد الغنى عبود : « التعليم مدى الحياة فى الاسلام » — مرجع سابق — ص ٥٥ — ٥٦ .

(٤) عبد الغنى عبود : « التربية ومحو الأمية الأيديولوجية » — تعليم الجماهير — مجلة متخصصة تصدر عن الجهاز العربى لمحو الامية وتعليم الكبار — السنة الثالثة — العدد السادس — مايو ١٩٧٦ م — ص ٣١ .

(٥) قرآن كريم : سورة الحجرات : آية ١٣ .

وقد جاء الاسلام والعالم البشرى وقت ذاك يعيش فى جاهلية عمياء ، حائرا بين تقلب الشرك وعبادة الأوثان ، ينحدر من سيىء الى أسوأ ، ويتغير من قبيح لما هو أقبح حتى أراد الله استخراج هذا المجتمع من ظلماته فأرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق: « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم » · وكان على الاسلام أن يتولى تنظيم هذا المجتمع والأخذ بيده فى طريق الارتقاء « ويتولى كذلك سلوكه ، كما يتولى عمله ، ويجمع فيه بين الدين والدنيا فى توجيهاته وتشريعاته ، ليوحد بين عالم الأرض وعالم السماء فى مجتمع واحد يعيش فيه الفرد كما تعيش فيه الجماعة »(١) ·

وفى اقامة المجتمع المسلم « بدأ الاسلام بتحرير الوجدان البشرى من عبادة أحد غير الله ، ومن الخضوع لأحد غير الله ، فما لأحد عليه غير الله من سلطان »(٢) :
« قل هو الله أحد · الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد »(٣) ·
« ان كل من فى السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا »(٤) ·

واذا تحرر الوجدان البشرى من عبادة غير الله تحقق للناس العزة والكرامة وثبت فى نفوسهم الاعتزاز بالحق والمحافظة على العدل ·

وعلى أساس التحرر الوجدانى ، يترتب أساس آخر ، أقام عليه الاسلام مجتمعه العظيم ، وهو المساواة ، فاذا تخلص الانسان من قيد العبودية لغير الله«فلن يكون فى حاجة لمن يهتف له بالمساواة لفظا وقد استشعرها فى أعماقه معنى ، ووجدها فى حياته واقعا ، بل لن يصبر على التفاوت القائم ··· سيطلب حقه فى المساواة ، وسيجاهد لتقرير هذا الحق »(٥) · ولتحقيق هذه المساواة ، يقرر الاسلام وحدة الجنس البشرى فى المنشأ والمصير : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »(٦) ·

---

(١) موسى محمد على : الاسلام دين الانسانية - سلسلة دراسات فى الاسلام - رقم ١٩٥ - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - ١٥ جمادى الآخر ١٣٩٧ هـ - ٢ يونيو ١٩٧٧ م ، ص ٣٨ ·

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام (مرجع سابق) ص ٣٧ ، ٣٨ ·

(٣) قرآن كريم : سورة الاخلاص ·

(٤) قرآن كريم : سورة مريم : آية ٩٣ ·

(٥) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام - مرجع سابق - ص ٥١ ·

(٦) قرآن كريم : سورة النساء : آية ١ ·

كذلك يقيم الاسلام مجتمعه على أساس من التكافل الاجتماعى ، والاسلام يقرر مبدأ التكافل فى كل صوره وأشكاله ، فهناك التكافل بين الفرد وذاته ، وبين الفرد وأسرته القريبة وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيال المتعاقبة(١) ٠ والتكافل بين الفرد وذاته ، يجعل الانسان يقف من نفسه موقف الرقيب ، ويجعل الانسان يتحمل تبعة أفعاله كاملة : « كل نفسا بما كسبت رهينـة »(٢) ٠ والتكافل بين الفرد وأسرته يقوم على عواطف الرحمة والمودة ومقتضيات الضرورة والمصلحة : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله »(٣) ٠

والتكامل بين الفرد والجماعة يوجب على كل منهما تبعات ، ويرتب لـكل منهما حقوقا :

واجب الفرد نحو الجماعة :

١ ـ أن يحسن عمله ، فاحسان العمل عبادة لله ، لأن ثمرة العمل الخاص ملك للجمـاعة ، وعائدة عليها « وقل اعملوا ، فسـيرى الله عملكم ورسـوله والمؤمنون »(٤) ٠

٢ ـ وكل فرد مكلف أن يرعى مصالح الجماعة كأنه حارس لها موكل بها « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(٥) ٠

٣ ـ أن يتعاون مع الآخرين لمصـلحة الجماعة فى حـدود البر والمعروف « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »(٦) ٠

٤ ـ كل فرد مسئول بذاته عن الأمر بالمعروف فان لم يفعل فهو آثم ، كما أنه مكلف أن يزيل المنكر الذى يراه ، والأمة كلها تؤاخذ اذا سكتت عن وقوع المنكر فيها « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٠ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »(٧) ٠

---

(١) راجع سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ ـ ٧٦ ٠

(٢) قرآن كريم : سورة المدثر : آية ٣٨ ٠

(٣) قرآن كريم : سورة الاحزاب : آية ٦ ٠

(٤) قرآن كريم : سورة التوبة : آية ١٠٥ ٠

(٥) رواه الشيخان ٠

(٦) قرآن كريم : سورة المائدة : آية ٢ ٠

(٧) قرآن كريم : سورة المائدة (٧٨ ـ ٧٩) ٠

وواجب الجماعة نحو الفرد : ويتمثل فى :

١ ـ أن المجتمع مسئول عن حماية الضعفاء فيه ورعاية مصالحهم وضيانتها وعليه أن يقاتل عند اللزوم لحمايتهم : « ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان »(١) ٠

٢ ـ والمجتمع مسئول عن فقرائه ، يرزقهم بما فيه الكفاية « أيما أهل عرصه ، أصبح فيهم امرؤ جائعا ، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى »(٢) ٠

٣ ـ والمجتمع مسئول عن الحفاظ على وحدة الجماعة الاسلامية وربطها برباط واحد هو رباط الايمان بالله وبرساله محمد صلى الله عليه وسلم يحكمونه فيه شجر بينهم من خلاف « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله » « فان تنازعتم فى شيء ، فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »(٣) ٠

٤ ـ أما قيادة هـذا المجتمع الاسلامى المنوط بها تنفيذ التشريع وتعهد المجتمع من كل جوانبه وتحقيق العدالة والتوازن فيه فهى قيادة ترتكز على العدل من الحكام « ان الله يأمر بالعدل »(٤) ٠ « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »(٥) ٠

كما ترتكز على الطاعة من المحكومين « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »(٦) ٠ كما ترتكز هذه القيادة على المشورة بين الحكام والمحكومين « وشاورهم فى الأمر »(٧) ٠ « وأمرهم شورى بينهم »(٨) ٠ فالحاكم والمحكوم مطالبان برعاية الله فى كل تصرف ، وخشية الله هى ضمانة تحقيق العدالة ٠

---

(١) قرآن كريم : سورة النساء : آية ٧٥ ٠

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ـ نشر الاستاذ احمد محمد شاكر ـ حديث رقم ٤٨٨٠ ، نقلا عن سيد قطب : العدالة الاجتماعية ، ص ٧٣ ٠

(٣) قرآن كريم : سورة النساء : آية ٥٩ ٠

(٤) قرآن كريم : سورة النحل : آية ٩٠ ٠

(٥) قرآن كريم : سورة النساء : آية ٥٨ ٠

(٦) قرآن كريم : سورة النساء : آية ٥٩ ٠

(٧) قرآن كريم : سورة آل عمران : آية ١٥٩ ٠

(٨) قرآن كريم : سورة الشورى : آية ٣٨ ٠

وفى هذا المجتمع العظيم ، يقرر الاسلام حق الملكية الفردية للمال ، بوسائل التملك المشروعة « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن »(١) . ولكن الاسلام لا يدع حق الملكية الفردية مطلقا بلا قيود ولا حدود فيقرر مجموعة من المبادىء التى تتحقق بها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة المسلمة :

١ – فالفرد موظف فى هذا المال ، وأن المال فى عمومه انما هو أصلا حق للجماعة والجماعة مستخلفه فيه عن الله الذى لا مالك لشىء سـواه « آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه »(٢) ٠

٢ – ليس للفرد أن يحبس المال دون أن يسمح له بالتداول « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم »(٣) ٠

٣ – هناك نوع من المال لا يجوز احتجازه للأفراد « الناس شركاء فى ثلاث : فى الماء والكلأ والنار »(٤) ، بوصفها موارد ومرافق عامة ، ضرورية لحياة الجماعة ٠

٤ – يفرض الاسلام للمحتاجين من الجماعة الاسلامية ، حقا فى جزء من مال القادرين « والذين فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم »(٥) ، وذلك لصلاح حال المحتاجين وحال الجماعة المسلمة أيضا ٠

هذه صورة المجتمع الاسلامى وأبعاده ، مجتمع تحكمه العقيدة الاسـلامية والشريعة الاسلامية ، والنظام الاسلامى لا يلغى ذاتية فرد ، لمنفعة فرد آخر ، ولا يذيب شخصية انسان فى شخصية انسان آخر ٠ مجتمع يدفع بالحياة الى التجدد والنمو والترقى ويدفع بطاقات أفراده الى الانشاء والانطلاق والارتفاع ٠ « مجتمع أخلاقى قبل كل شىء » – « مجتمع ديمقراطى ، يحترم الانسان الفرد فيه ، ويصان شرفه وكرامته » – « مجتمع يأخذ بالعلم الصحيح ، وينفتح على كل الحضارات ، مقتبسا منها ما هو حق وخير » – « مجتمع يهضم كل ما تنتجه عبقرية الانسان الخلاقة ، حيثما كانت » – « مجتمع تتسم حضارته بالشمول » ،

---

(١) قرآن كريم : سورة النساء : آية ٣٢ ٠

(٢) قرآن كريم : سورة الحديد : آية ٧ ٠

(٣) قرآن كريم : سورة الحشر : آية ٧ ٠

(٤) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام – مرجع سابق – ص ١١٨ ٠

(٥) قرآن كريم : سورة المعارج (٢٤ – ٢٥) ٠

« فهى حضارة روحية أخلاقية ، كما انها حضارة عمرانية وصناعية وتجارية ، كما انها قانونية وفلسفية وعلمية وأدبية فى الوقت نفسه »(١) ٠

ويمكن أن نلخص ما سبق فى :

١ — أن الاسلام جاء بأكمل صورة للكون ، فهو وحدة متكاملة الأجزاء ، كل جزء فيها ملحوظ تناسقه مع سائر الأجزاء ، ولكل موجود فيه حكمة ، تتناسق مع غاية الوجود ٠

ولأن الوجود وحدة متكاملة الأجزاء ، متناسقة الخلقة ، ولأن النظام كان مهيأ وصالحا ، ومساعدا لوجود الحياة بصفة عامة ، ولوجود الانسان بصفة خاصة ، ولأن كل قوى الكون خلقت لتتعاون مع الانسان ، ولتكون صديقا مساعدا له ، فعليه أن يدرس الكون ويتفهمه ويعرف أسراره ، وطريقه فى ذلك هو العلم ٠ وليست هناك خصومة بين الاسلام والعلم ، بل لقد جعل الاسلام العلم المؤدى الى معرفة الله فريضة مقدسة ، داخلة فى الطاعات الدينية ٠

وقد أدرك المسلمون الأولون أهمية العلم فى دراسة الكون ، فابتدعوا المنهج التجريبى ، متأثرين فيه بطبيعة الاسلام ، وبالأوامر القرآنية المتلاحقة ، بالتفكر والتأمل والتدبر فى السماء وفى الأرض وفى النفس ٠

٢ — وكان للاسلام نظرته الخاصة الى الانسان ، وهى نظرة تتسم بالشمول والعمق والاتزان ٠

فالانسان خليفة لله فى الأرض ، استخلفه سبحانه فيها ، وزوده بالمواهب التى تعينه على الخلافة ، وسخر له ما فى الأرض جميعا ٠ ومحور خلافة الانسان استخدام العقل ، وتحمل التكاليف السماوية ، وأداء الأمانة ، خلال ما يتعلمه المرء ، ويحقق به الادراك والفهم ٠

وطبيعة الانسان فى الاسلام أنه مخلوق من جسم كثيف ، له دوافعه وشهواته ، وروح شفاف ، له آفاقه وتطلعاته ، ولا يفصل الاسلام بينهما ، فالانسان كل متكامل ، وهذه الطبيعة المزدوجة فى الانسان ، هى فطرته التى فطره الله عليها ،

---

(١) محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى — الدار التونسية للنشر — ١٩٧٢ م ٠ ص ١٣ — ١٥ ٠

وأهله بها للخلافة فى الأرض ومن ثم يعمل الأسلام على ايجاد التوازن بينهما فى نفس الفرد ، فيؤدى ذلك الى التوازن فى المجتمع ، وفى الانسانية كلها ٠

وتتلخص رسالة الانسان فى الاسلام فى نشر الحق والعدل والخير فى دنياه ، ولن يتسنى له ذلك ما لم يكن هو نفسه صورة صادقة لهذا الحق والعدل والخير ٠

٣ — وليقيم الاسلام مجتمعه بدأ بتحرير الوجدان البشرى من عبادة أحد غير الله ، ومن الخضوع لأحد غيره ، فاذا تحرر الوجدان البشرى من ذلك ، تحقق للناس العزة والكرامة ، وثبت فى نفوسهم الاعتزاز بالحق والمحافظة على العدل ٠

وعلى أساس التحرر الوجدانى ، يترتب أساس آخر أقام عليه الاسلام مجتمعه العظيم ، وهو المساواة ، ولتحقيق هذه لمساواة يقرر الاسلام وحدة الجنس البشرى ، فى المنشأ والمصير ٠

كما أقام الاسـلام مجتمعه على أساس من التكافل الاجتماعى ، والاسلام يقرر مبدأ التكافل فى كل صوره وأشكاله : بين الفرد وذاته ، وبين الفرد وأسرته ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الأمة والأمم الأخرى ، وبين الجيل والأجيال المتعاقبة ٠

وفى سبيل اقامة هذا المجتمع ، أوجب الاسلام على كل من الفرد والمجتمع تبعات ، ورتب لكل منهما حقوقا ، فأوجب على الفرد أن يحسن عمله ، وأن يتعاون مع الآخرين لمصلحة الجماعة ، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأوجب على المجتمع حماية الضعفاء فيه ورعاية مصالحهم ، والعناية بالفقراء وتوفير الرزق لهم ، كما أوجب عليه الحفاظ على وحدة الجماعة الاسلامية ٠

وجعل قاعدة الحكم ، ترتكز على الطاعة من المحكومين للحاكم ، لقيامه على شريعة الله ، وقامت القيادة فى هذا المجتمع على قاعدة المشورة بين الحاكم والمحكوم ، كما قرر الاسلام حق الملكية الفردية ، بوسائل التملك المشروعة، ومنع حبس المال ، أو احتجازه عن الأفراد ٠

.فكان المجتمع الاسلامى بذلك مجتمعا أخلاقيا ، يأخذ بالعلم الصحيح ، وينفتح على كل الحضارات ، مقتبسا منها كل ما هو حق وخير ٠

الفصـل الثـانى

مجتمع القرن الرابع الهجرى

مقـــدمة :

رأينا عند الحديث عن المجتمع الاسلامى فى الفصل الأول ، أن هذا المجتمع قام على أساس التكافل الاجتماعى ، وأنه كان مسئولا عن وحدة الجماعة الاسلامية ، وربطها برباط واحد هو رباط الايمان بالله ، كما رأينا أن قيادة هذا المجتمع وحكومته ، كانت ترتكز على العدل من الحكام ، كما ترتكز على الطاعة من المحكومين ، حيث لا يطاع حاكم فى الاسلام لذاته ، وانما يطاع لاذعانه لسلطان الله ، ثم لقيامه على شريعة الله ورسوله(١) ٠

وبالجملة كان المجتمع الاسلامى مجتمعا ديمقراطيا ، يحترم الانسان الفرد فيه، ويصان شرفه وكرامته وتحمى حياته وعرضه(٢) ٠

وقد تحقق هذاالمجتمع بصورته الرائعة فى عصر النبوة الطاهر ، ثم فى عصر الخلفاء الراشدين من بعده ، ثم بدأت صورة هذا المجتمع تهتز فى عصر الأمويين ، « حيث انتصرت الأطماع الدنيوية ٠٠٠ وصار الدين مطية ذلولا لخدمة تلك الأغراض الدنيوية الأموية »(٣) ، وتحول الدين عند الأمويين « من خلال أمانيهم وأطماعهم ملكا وتسلطا وسيادة »(٤) فتأججت الثورات فى كل مكان لتنتهى هذه الثورات ، بانقضاض العباسيين على الخلافة الأموية ٠

---

(١) ارجع الى ص (٤٦) من الرسالة ٠

(٢) ارجع الى ص (٤٧) من الرسالة ٠

(٣) عبد الغنى عبود : مذكرات فى تاريخ التربية ـ الاتحاد الاشتراكى العربى ـ المؤسسة الثقافة العمالية ـ كتاب رقم ٤٥ من السلسلة العمالية ـ ١٩٧٦ ، ص ١٣٢ ٠

(٤) خالد محمد خالد : أبناء الرسول فى كربلاء ـ الطبعة الاولى ـ دار ومطابع الشعب ـ يونية ١٩٦٨ ، ص ٣٣ ٠

وباستيلاء العباسيين على الحكم ، طبعت الخلافة بطابع أيديولوجى جديد ، يتلخص فى الحرية والمساواة بين المواطنين جميعا ، لا التعصب للعرب وحدهم ، كما كان الحال فى العصر الأموى — « وتشجيع الخلفاء للعلم ، حتى صار هذا التشجيع سياسة دولة ، لا جهد فرد » وفى هذا العصر توزعت الدولة الاسلامية ثلاث جنسيات أساسية هى العربية والفارسية والتركية ، ولم تكن العناصر غير العربية حتى عصر المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) تشكل خطورة على الدولة ، لأن قوة الخلفاء حتى عصره ، كانت تقيم توازنا بين الجنسيات والعصبيات الثلاث ، وبموته بدأ مصرع الخلافة العباسية « وكان قتل المتوكل (٢٤٧ هـ) أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين » « وكان فى قتله حياة الأتراك وسلطانهم »(١) • ومن منتصف القرن الثالث الهجرى ، وبمقتل المتوكل ، ضعف خلفاء بنى العباس ، وضاعت هيبتهم ، وازداد نفوذ الأعاجم • وتدخلهم فى شئون الدولة ، وانقسمت الدولة الاسلامية الواحدة الى دويلات صغيرة ، وجرد الخليفة العباسى من كل سلطان ، وتحول الحكم فى المجتمع الاسلامى ، من حكم له قواعده وأصوله ، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله — كما رأينا فى الفصل الأول — الى سلطان يقوم على البطش وقوة السلاح والمكر والخديعة •

ولم يكد يظل الأمة الاسلامية عصر القرن الرابع الهجرى ، حتى صارت الدولة الاسلامية ميدانا للأهوال والمآسى ، التى نستطيع أن نراها واضحة فى مختلف جوانب الحياة فى هذا المجتمع على نحو ما سنرى •

* * *

أولا : الحياة السياسية

طبعت الخلافة العباسية فى هذا العصر بطابع الضعف والوهن ، وانقسمت الى دويلات صغيرة ، آل أمرها الى جماعات من متغلبى الأعاجم ، وجرد الخليفة العباسى من كل سلطة فعلية وأصبحت الدولة الاسلامية ميدانا للأهوال والمآسى •

وقد تميزت الحياة السياسية فى القرن الرابع الهجرى بالظواهر الآتية :

أ) الانقسام السياسى :

اتسم القرن الرابع الهجرى بانقسام الملك وانتشار الفوضى ، وذيوع الفتنة والاضطراب ، والعبث بسلطان الخلفاء ، والتحكم فى مصائرهم • ففى هذا القرن

---

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام — ج ١ — الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ ، ص ١١ •

فقدت البقاع الاسلامية ولاءها السياسى للدولة العباسية — ذلك الولاء الذى كان يقوم أول الأمر على أساس دينى ، أعطى للخلافة العباسية فى عصورها الأولى قوة شرعية ، فتغلب حكام الاطراف عليها :

فخضع العراق وجنوبى فارس لسلطان بنى بويه ، حيث استقر سلطانهم فى تلك الرقعة زهاء قرن ونيف ، استولوا فيها على الخلافة ، وعزلوا الخلفاء وولوهم •

وكان السلطان فى ذلك الوقت ببلاد الأندلس لبنى أمية ، والقائم منهم بالأمر عبد الرحمن الناصر ، وقد تلقب بأمير المؤمنين ، وببلاد أفريقية للعبيديين ، الذين تأسست دولتهم على أنقاض الأغالبة والادارسة ، وبمصر والشام للاخشيديين ، وبحلب والثغور لسيف الدولة الحمدانى ، وبالعراق للديلم والسلطان منهم معز الدولة أحمد بن بويه ، وبعمان والبحرين واليمامة وبادية البصرة للقرامطة ، وبفارس والأهواز لعلى بن بويه الملقب بعماد الدولة ، وبالجبل والرى لحسن ابن بويه ، وبخراسان وما وراء النهر لآل سلمان(١) •

وهناك من المؤرخين من رأى فى هذا الانقسام أمرا طبيعيا ، فكل اقليم كان ينزع بطبعه الى الاستقلال تحقيقا لمصالحه ، حيث قامت بكل اقليم حكومة قوية نهضت بادارته ودافعت عنه باسم الخلافة البعيدة(٢) •

وقد عمت الفوضى أنحاء المملكة الاسلامية فى هذا العصر ، فلا نقلب صفحات التاريخ ، حتى نقرأ حركات الجند ضد الأمراء ، مطالبين بأرزاقهم ، والا خلعوهم وولوا غيرهم(١) ، ونقرأ خروج الأخ عن طاعة أخيه ، واستعانته بالجند ضده(٢) ، وخروج القائد عن سلطان أميره •

---

(١) راجع : ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ — الطبعة الاولى — المطبعة الازهرية المصرية — ١٣٠١ هـ — جـ ٨ ، ص ٩ ، ٢٣ ، ١٠٣ ، ١٣٠ ، ١٧٦ •

— والسيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين) : تاريخ الخلفاء — تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — القاهرة — الطبعة الثالثة — المكتبة التجارية — ١٩٦٤ ، ص ٣٩٢ •

— حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى — مكتبة النهضة المصرية — الطبعة السابعة — ١٩٦٥ — جـ ٣ — ص ٦٤ •

(٢) حسن احمد محمود ، أحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى — القاهرة — الطبعة الاولى — دار الفكر العربى — بدون تاريخ — ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ •

(٣) ابن تغرى بردى (أبو المحاسن جمال الدين يوسف) : النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة — مرجع سابق — جزء ٣ — ص ٣٠٠ •

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ — مرجع سابق — جـ ٨ ، ص ٨١ •

وهكذا تحول الحكم فى الدولة الاسلامية من حكم له قواعده وأصوله المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم(١) ، الى سلطان يقوم على البطش وقوة السلاح ، فالأمير يظل أميرا ما استطاع أن يرضى الجند ، ويزهق المؤامرات التى تحاك ضده .

ومع هذا الانقسام الذى مزق وحدة الأمة الاسلامية جغرافيا وسياسيا ، كنت ترى وحدة اسلامية عميقة الجذور ، « ظلت قائمة ، لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة ، فكان المسلم يستطيع أن ينتقل فى سهولة ويسر داخل حدود هذه المملكة الفسيحة فى ظل دينه ولغته ، فى جميع البلدان »(٢) .

ب) ضعف الخلفاء وضياع هيبتهم :

كان ازدياد نفوذ الأعاجم ، وتدخلهم فى شئون الدولة ، من أقوى العوامل التى أدت الى اصابة الخلافة العباسية بالوهن . ولقد كانت ولاية الخليفة المقتدر العباسى (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) أبلغ آيات الفساد اذ تولاها وعمره ثلاث عشرة سنة ، فانتشر الفساد فى الحكم ، وغلبت كلمة جوارى القصر وخدمه على كلمة القواد والأمراء ، وأنفقت الأموال العامة فى غير وجوهها ، وتقلص نفوذ الخليفة ، حتى أصبح رئيسا دينيا مجردا من كل سلطان فعلى ، ووقع تحت رحمة حراسه من الجند الأجانب ، الذين كانوا يأتمرون بأوامر قوادهم من الأتراك ، وغيرهم من الذين كانوا يشعلون نار الثورة ، بين الحين والحين(٣) .

واستمرت خلافة المقتدر ، ما يقرب من الخمسة والعشرين عاما ، استوزر فيها اثنى عشر وزيرا ومنهم من تولى الوزارة أكثر من ثلاث مرات كالوزير « على بن

---

(١) راجع شروط الحكم فى الاسلام فى مثل :

الماوردى : الأحكام السلطانية — القاهرة — مطبعة الوطن — ١٢٩٨ هـ .

الغزالى : التبر المسبوك ، فى نصيحة الملوك — القاهرة — مطبعة المؤيد — ١٣١٧ هـ .

ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ، أو وظيفة الحكومة الاسلامية — القاهرة — مطبعة المؤيد — ١٣١٨ هـ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية وأثرها فى الحضارة الاوروبية — الطبعة الاولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٣ ، ص ٣٣ .

أحمد امين : ظهر الاســلام — القاهرة — الطبعة الرابعة — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٦ — جـ ٢ — ص ٢ .

(٣) ابن طبا طبا (محمد بن على) .. الفخرى فى الآداب السلطانية — راجعه ونقحه محمد عوض ابراهيم ، على الجارم — القاهرة — مطبعة المعارف — ١٩٣٣ م ، ص ٢٣٥ .

محمد بن الفرات »(١) ، ثم تنتهى خلافة المقتدر بقتله ، وترك جثته مكشوفة على الطريق أياما(٢) • وقد أدى قتل مؤنس الخادم للمقتدر ، الى تلاشى هيبة الخلفاء من بعده • وورث القاهر بالله (٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ) الخلافة فورث الفتن الداخلية والحروب ، ثم خلع وسمل ولم يسمل قبله أحد من الخلفاء(٣) •

ثم يتولى من بعده الراضى بالله (٣٢٢ هـ ـ ٩٣٤ م) وكان « آخر خليفة له شعر يدون وآخر خليفة جالس الجلساء وآخر خليفة كانت نفقاته وجراياته ومطابخه على ترتيب الخلفاء »(٤) •

ويتولى المتقى لله (٣٢٩ هـ ـ ٤٩٠ م) الذى اضطر أمام اضطراب الحياة واختلال الأمر الى ترك بغداد ، واللجوء الى ناصر الدولة بن حمدان ، حتى اذا عاد الى بغداد سمل وخلع سنة (٣٣٣ هـ)(٥) وبويع المستكفى بالله (٣٣٣ هـ) ، وفى عهده يصل بنو بويه الى بغداد ، ثم يخلع سنة ٣٣٤ هـ(٦) ، ويتولى من بعده المطيع لله ٣٣٤ هـ فيزداد أمر الخلافة ادبارا ويحدد له معز الدولة البويهى ألف درهم فى اليوم نفقة ، ثم يقطع عنه ذلك الراتب ويحدد له اقطاعات يسيرة يعيش منها ، ويعين له كاتبا يتصرف فى شئونها(٧) •

غير أن هذا الضعف وضياع الهيبة وفقد السلطان لم يقف عند خلفاء بنى العباس وانما امتد ليشمل الوزراء أيضا ، اذ فقد الوزير فى هذا العصر سلطانه، وتناقصت قيمته شيئا فشيئا ، ولم يبق له من سلطان الوزارة وهيبتها الا الاسم ، وأصبح الوزير آخر الأمر كاتبا للخليفة ، والسلطان فى يد القواد(٨) •

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ـ أشرف على تصحيحه هـ• ف ـ مطبعة مصر ـ شركة التمدن الصناعية ـ بدون تاريخ ـ جـ ١ ـ ص ١٣ •

(٢) المسعودى (٣٤٦ هـ ـ ٩٥٥ م) ـ مروج الذهب ومعادن الجواهر ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ طبعة كتاب التحرير ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ جـ ٢ ، ص ٥٤٧ •

(٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٨ ـ جـ ٢ ، ص ١٤١ •

(٤) ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ـ مطبعة بولاق بالقاهرة ـ ١٣١٩ هـ ، ص٨١ •

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ـ مرجع سابق ـ جـ ٨ ـ ص ١٥٧ •

(٦) المسعودى : مروج الذهب ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥١٤ •

(٧) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ـ مرجع سابق ـ جـ ٨ ـ ص ١٧٧ •

(٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٥٥ •

وعلى أنقاض الوزارة ، ظهرت امرة الأمراء ، وأصبح نظاما مقررا ، وأصبح لأمير الأمراء الحق فى أن يخطب له على المنابر ، وأن ينقش اسمه على السكة(١) .

وفى هذا يقول ابن طباطبا : « ومن تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية وخرجت الأمور منها ، واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب السيوف على الدولة ، وجبوا الأموال ، وكفوا يد الخليفة ، وقرروا له شيئا يسيرا وبلغة قاصرة ، ووهن يومئذ أمر الخلافة »(٢) .

وازاء هذا الانحطاط السياسى ، وضعف الخلفاء ، واضطراب أحوال البلاد كان لا بد وأن يمتد الاضطراب ، ليشمل جوانب الحياة الأخرى ، فى مجتمع القرن الرابع الهجرى .

* * *

ثانيا : الحياة الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية فى القرن الرابع شبيهة بالحياة السياسية ، فقد أعقب فقدان الاستقرار السياسى فساد فى الوضع الاقتصادى ، وسوء توزيع للثروة العامة ، فعكف فريق من الرؤساء والأغنياء ، كما هى الحال فى عصور الفوضى السياسية على الترف والبذخ واللهو وحرم أفراد الشعب من القوت الضرورى .

كانت موارد بيت المال ، تعتمد على الخراج والجزية والزكاة والفىء والغنيمة والعشور(٣) ، وكان يرد اليه أيضا أخماس المعادن والركاز(٤) ، وخمس ما يقذفه البحر ، أو يستخرج منه ، مثل اللؤلؤ والعنبر ، وأثمان الآباق من العبيد(٥) وما يؤخذ من اللصوص من الأموال والأمتعة اذا لم يظهر لها صاحب ، وما يؤخذ من مواريث الذين يموتون اذا لم يكن لهم وارث ، ونظرا لما كان لهذه التركة من أهمية

---

(١) حسن احمد محمود ، احمد ابراهيم الشريف — مرجع سابق — ص ٣٦٨ .

(٢) ابن طبا طبا : الفخرى فى الآداب السلطانية — مرجع سابق — ص ٢٥٣ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام — مرجع سابق — ج ٣ — ص ٢٩٢ .

(٤) الركاز : المال المدفون فى الأرض .

(٥) من أبق العبد ، اذا هرب من سيده ، من غير خوف ولاكد عمل ، والجمع آباق .

باعتبارها مصدرا هاما من مصادر بيت المال فقد أنشىء لها منذ عهد الخليفة المعتمد ديوان خاص ، أطلق عليه ديوان المواريث(١) ٠

ولقد ظهر فى هذا العصر ما يعرف بالضياع الخاصة ، وكنتيجة طبيعية لسوء توزيع الثروة ازداد ثراء فئة من الناس وتمتع أفرادها بالسعة والغنى دون غيرهم، وأصبح من هذه الضياع ما يعرف بالضياع العباسية والضياع الفراتية والضياع المستحدثة ، ووجدت هذه الضياع فى أنحاء كثيرة من المملكة الاسلامية(٢) ٠

كما وجد نظام يعرف بالتقبل أو الضمان ويقال ان هذا النظام أصبح سائدا منذ القرن الثالث للهجرة رغم فتوى الفقهاء بعدم شرعيته لأنه يؤدى الى ارهاق الفلاحين وظلمهم ، وهذا النظام هو الذى عرف فيما بعد باسم نظام الالتزام(٣) ٠ « ولم يكن الالتزام مقصورا على اقطاع أجزاء من الأرض فى الولاية الواحدة ، بل قد يمتد ليشمل ولاية برمتها ، وقد ساد هذا النظام حين تولى الأتراك حكم الدولة العباسية وأصبحوا يقطعون الولايات على أن يؤدوا لدار الخلافة مبلغا من المال عدا الهدايا والطرف »(٤) ٠

كما ظهرت طائفة من التجار والأثرياء الذين أفادوا من التقدم العمرانى فى بغداد وغيرها ٠ وعلى ذلك كانت هناك طائفة ممتازة ، من الخلفاء والوزراء والأمراء ، وممن أحاط بهم وكانت الاقطاعيات تمنح لهؤلاء مكافأة لهم على أعمال قاموا بها ، وكان أغلب هؤلاء من الموالى ، الذين ارتقوا الى مناصب الكتابة والوزارة ، وقواد الأعاجم ، حين آل اليهم الأمر ، وولاة الأقاليم ، وأثرياء الناس من التجار ، وأرباب الصناعات ، الذين اتجهوا الى تكوين الثروات والضياع لهم(٥) ٠

ثم نشأت طبقة وسطى قوامها العمال الذين أحرزوا الثراء وصغار الملاك الذين اتسعت أعمالهم ، وبعد هذا فقر مدقع للعامة من الناس ٠

وازاء فساد الأحوال واضطرابها فى هذا العصر اتجه الحكام الى سياسة المصادرات وكانت مصادرات الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة فى أول أمرها

---

(١) حسن ابراهيم — المرجع السابق — ج ٣ ، ص ٢٩٧ ٠

(٢) محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية — الطبعة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٦١ — ٤٩٣ ٠

(٣) المرجع السابق — ص ٤٩٤ ٠

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام — مرجع سابق — ج ٣ ص ٢٩٥ ٠

(٥) محمد ضياء الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية — مرجع سابق — ص ٤٩٣٠

لونا من العقوبة ، كما حدث فى مصادرة الخليفة القاهر لأم سلفه المقتدر وأنصاره(١)، ومصادرة بختيار بن معز الدولة لاقطاعات كبار الديلم(٢) ، ثم أصبحت هذه المصادرات غرضا فى ذاته ، تلجأ اليه الدولة ، للتخلص مما تعانيه من ارتباك مالى ، وكمصدر من مصادر سد العجز الذى تعانى منه(٣) .

ونتيجة لكثرة المصادرات ، فقد الناس الطمأنينة على أموالهم ، فشاع فى هذا العصر خزن الأموال واخفاؤها فى غير مظانها ، كالدفن فى الأرض ، والظهور بمظهر الفقر والفاقة . واذا بلغ الأمر هذا الحد ، فلا بد من اختلال النظام الاقتصادى ، لقلة الدخول ، مما يترتب عليه سوء حالة الدولة ، ولجوء الحكام الى الضرائب ، والامعان فى المصادرات والنهب ، واستشرت تبعا لذلك الرشوة والمحسوبية(٤) .

وتعددت الانتفاضات الاجتماعية ، وقامت الثورات فى أنحاء البلاد ، تنادى بالمساواة ورفع الظلم عنها ، وتحتج على الأوضاع الاقتصادية الجائرة ، وليس غريبا أن تلقى ثورات هذه العناصر الناقمة المظلومة نجاحا سريعا فى الأوساط التى نشأت فيها(٥) .

وتستمر الزيادة فى الأسعار فى بغداد وغيرها ، ويزداد شغب العامة ، ويستمر القتال بينهم وبين الجند ، وتعلو الفتن وتتزايد ، حتى اختلت الدولة العباسية(٦) .

ولا أدل على سوء أحوال الناس الاقتصادية ، من اضطرارهم الى أكل الجيف ، حين أصيبت بغداد فى سنة ٣٣٣ هـ بقحط لم ير مثله ، مما أدى الى « أن تداعت بغداد للخراب من شدة القحط والفتن والجور »(٧) . ويحدثنا ابن سينا عن الجوع

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الامم — مرجع سابق — جـ ١ — ص ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق : جـ ٢ — ص ٢٣٥ .

(٣) عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الاول ، دراسة فى التاريخ السياسى والادارى والمالى — بغداد — منشورات دار المعلمين العالية — ١٩٤٥ م ، ص ٢٧٩ .

(٤) أحمد امين : ظهر الاسلام — مرجع سابق — جـ ١ ، ص ١٢١ ، جـ ٢ ، ص ٨ .

(٥) السيدة كاشف زكى : آذربيجان الاشتراكية فى العصر الاسلامى — مجلة الكاتب — القاهرة — دار المعارف — مارس ١٩٤٦ — ص ٦٦٧ — ٦٧٠ .

(٦) الذهبى (شمس الدين بن أحمد التركمانى) : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، المعروف بتاريخ الاسلام للذهبى — مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٩٢ تاريخ — جـ ٣ — ورقة رقم ١٥ — حوادث سنة ٣٣٣ هـ .

(٧) ابن العماد الحنبلى (أبو الفتوح عبد الحى) : شذرات الذهب ، فى اخبار من ذهب — مكتبة القدس — ١٣٥٠ هـ — جـ ٣ ، ص ٣٣٣ ، وعن سبب هذاالغلاء ، أنظر نفس المرجع ص ٣٣٤ .

الشديد ، الذى كان يتعرض له الناس فى هذا العصر ، مما اضطرهم الى أكل الحشائش ، لرد غائلة الجوع عن أنفسهم(١) .

ولقد امتد ذلك الحرمان ، ليشمل المفكرين من أبناء هذا العصر ، فنجد العالم رغم سعة علمه ، يعجز عن أجرة مسكنه ووجبة غذائه وعشائه(٢) . وكان ذلك نتيجة طبيعية لما تردت اليه البلاد ، من سوء الأحوال الاقتصادية فيها ، حيث تجمعت الثروات والسلطات فى أيدى جماعة من الحكام الفاسدين ، الذين فقدوا كل احساس بالعدل والاستقامة ، فأرهقوا الضعفاء ، وتفننوا فى اذلال الفقراء ، وغالوا فى الترف والبذخ .

وهكذا بعد مجتمع القرن الرابع الهجرى عن المجتمع الاسلامى كما عرضنا صورته فى الفصل الأول فلم يعد المجتمع مسئولا عن حماية الضعفاء فيه وعن رعاية الفقراء ، ولم يرع الحكام حق الملكية الفردية فيه ، باللجوء الى المصادرات كما بينا .

غير أن ظروف مجتمع القرن الرابع الاقتصادية ساعدت على التخصص المهنى فقد وجدت طوائف متعددة لمهن مختلفة تقوم بدورها الاقتصادى فى المجتمع : كالحبوبيين والدقاقين والخبازين والجزارين والطباخين والسمانين (الذين يبيعون السمن) والبزازين (بائعى الثياب) ، والدلالين والحبالين والبذوريين ، والصاغة والنحاسين والبياطرة ونخاسى العبيد(٣) .

وقد كانت كل طائفة من التجار وأصحاب الحرف تتجمع فى مكان واحد وتتسمى به ، مما أدى الى نشأة نظام الطوائف المهنية ، ووجود التدرج المهنى فى الجماعة الواحدة ، من شيخ الى معلم ومتعلم وصانع وصبى(٤) .

---

(١) ابن سينا : دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية ـ بهامش منافع الأغذية ، ودفع مضارها ، لأبى بكر الرازى ـ القاهرة ـ المطبعة الخيرية ـ ١٣٠٥ هـ ـ ص ٣٣ .

(٢) ابراهيم الكيلانى : أبو حيان التوحيدى ـ رقم ٢١ من سلسلة نوابغ الفكر العربى ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٩ ، ١٠ .

(٣) جورجى زيدان : التمدن الاسلامى ـ القاهرة ـ دار الهلال ـ ١٩٠٦ م ، ص ٤٦ .

(٤) جورجى زيدان (المرجع السابق) ، ص ٤٦ .

وأيضا عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ١٩٦٤ م ـ ص ٨٦ ، ٨٧ .

ثالثا : الحياة الاجتماعية

نتج عن التفاوت الطبقى وسوء توزيع الثروة فساد فى الوضع الاجتماعى واضطراب فى حياة الناس ، وتعرض المجتمع الاسلامى فى القرن الرابع الى التفكك والتنازع ، وانقسم الناس فى هذا العصر الى ثلاث طبقات متميزة : « طبقة أرستقراطية تتألف من الخلفاء والوزراء والقواد وكبار التجار ، وطبقة وسطى تتكون من تجار متوسطين ونحوهم ، وثالثة فقيرة ، هى سواد الشعب الأعظم ، من صغار الفلاحين وصغار العمال والعلماء والفقهاء الذين آثروا البعد عن الخلفاء والأمراء والوزراء »(١) ٠

انغمست الطائفة الأولى فى ملذاتها ، تنفق فى بذخ ، وتقضى لياليها فى مجون ، فقد ذكر ابن العماد(٢) فى تاريخه ، بمناسبة وفاة أبى القاسم على بن محمد القاضى عام ٣٤٢ هـ ، أنه كان من جملة الفقهاء والقضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى فى دولة بنى بويه ، ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين ، على اطراح الحشمة والتبسط فى التعفف والخلاعة ، وما منهم الا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان المهلبى ، فاذا تكامل الأنس وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعقار ، فاذا أصبحوا ، عادوا كعادتهم فى التوقر والتحفظ ، بأبهة القضاء وحشمة المشايخ والكبراء ٠

أما السواد الأعظم من الناس ، فقد لاقى شظف العيش وضيق الحال ٠

وشاع فى هذا العصر ما عرف بمجالس الشراب رغم تحريم الدين لها ، وامتلأت بغداد بالحانات ، وكانت للجوارى بيوت معدة لسماع الغناء(٣) ٠ « وقد اقتبس العباسيون نظام مجالسهم عن الفرس فى كل ما عرف فيها من فخامة وترف وبذخ ٠٠٠ يحضرها الشعراء والمغنون والأدباء والموسيقيون وأهل الفكاهة »(٤)

---

(١) احمد أمين : ظهر الاسلام — مرجع سابق — ج ٢ — ص ١٢ ٠

(٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب — مرجع سابق — ج ٢ ، ص ٣٦٣ ٠

(٣) حسن أحمد محمود ، احمد ابراهيم الشريف : مرجع سابق — ص ٢٣٩ ٠

(٤) سعيد زايد : الفارابى — كتاب رقم ٣١ من سلسلة نوابغ الفكر العربى — الطبعة الثانية — دار المعارف بمصر — ١٩٧٠ ، ص ٩ ٠

كما وجدت بيوت للنخاسين يبيعون فيها القيان ، وتقام فيها أحيانا حفلات الرقص والغناء ، حيث تصب أموال أبناء الأغنياء فيها ، أو تبدد بأية وسيلة(١) ٠

ونتيجة للبطالة والفقر ، اللذين عانى منهما سواد الناس ، فشا فى الناس أمران متناقضان :

(أ) فقد شاع فى هذا العصر لصوص سموا بالعيارين ، وقد ظهروا فى سائر المدن الاسلامية وعظم شأنهم وسموا أحيانا شطارا وتميزوا بملابس خاصة وكانوا يتجولون فى الأسواق للسلب والنهب وفرض الاتاوات على التجار والسكان والأحياء(٢) ٠

(ب) انتشار نزعة التصوف والتوكل ٠ فالفشل فى الحياة قد يسلم صاحبه الى الزهد ، واقتناع الناس بأن نعيم الدنيا زائل ، واذا حرم الانسان الدنيا فعليه بالآخرة ٠ وقد أحدثت هذه النزعة تيارات فكرية نراها فى أدب الأدباء فى القرن الرابع الهجرى(٣) ٠

كما أدى شيوع الفقر الى انتشار الدجل والتزييف وتعلق الناس بالأسباب المتوهمة فى الغنى لعجزهم عن تحصيله بالوسائل المعقولة ، كما شاع فى ذلك العصر الاعتقاد فى السحر والطلسمات وغير ذلك ، وخالف مجتمع القرن الرابع الهجرى المجتمع الاسلامى ، كما عرضنا صورته فى الفصل الأول ، حيث كان المجتمع الاسلامى يقوم على العلم الصحيح ٠

وكان المجتمع الاسلامى فى القرن الرابع يتألف من عدة عناصر هى العرب والفرس والأتراك والديلم والأكراد والهنود والروم وغيرهم ٠ واجتماع هذه الأجناس المختلفة معا وما يحمله كل جنس منهم من عصبية موروثة كفيل بظهور سمات معينة للمجتمع الذى يعيشون فيه ٠ فقامت المنافسة بين الفرس والأتراك والديلم ، أما العنصر العربى فقد ذاب امتيازه بين الأجناس الأخرى ، بعد أن اختلط بهذه الأجناس وخاصة حين نزل العرب الى الريف وتزوجوا من نساء هذه الأجناس فوجدت طائفة من المولدين ، تنتسب الى الجنسين العربى وغير العربى(٤) ٠

---

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٢٢ ٠

(٢) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون - بيروت - الطبعة الأولى - المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٢ م ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١ ٠

(٣) أبو حيان التوحيدى : الاشارات الالهية - تحقيق ونشر عبد الرحمن بدوى - القاهرة - مطبعة جامعة فؤاد الأول - ج ١ - سنة ١٩٥٠ ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ٠

(٤) حسن بن محمود ، أحمد ابراهيم الشريف (مرجع سابق) ، ص ٢٢٨ ، ٢٣٧ ٠

ومن عناصر المجتمع آنذاك طبقة الرقيق الذين قاموا بدور هام فى السياسة والحرب . « ولم تكن طبقة الرقيق من الطبقات الممتهنة ولا غضاضة فى ذلك فقد كانت أمهات كثير من الخلفاء من الرقيق »(١) . وثمة طائفة أخرى من طوائف المجتمع ، كانت تتألف من النصارى واليهود ، وهم أهل الذمة ، وقد كانوا متفوقين فى البضائع التى تدر عليهم ربحا كبيرا ، « فكنت ترى أكثر الصيارفة والصياغين والجهابذة والدباغين فى الشام ، من اليهود ، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة من النصارى »(٢) .

وعلى الرغم من قيام هذه العصبيات الكثيرة فى مجتمع القرن الرابع ، مما كان كفيلا باتلاف أية أمة الا أن هذه الأجناس جميعا أفادت الأمة الاسلامية فى هذا العصر وخاصة فى ميدان العلوم بعد أن راح كل جنس من هذه الأجناس يجد ويجتهد فى تقديم ما لديه من ذخائر وعلوم الى الأمة الاسلامية مترجمة الى اللغة العربية(٣) .

* * *

رابعا : الحياة الدينية

لم يكن الدين فى يوم من الأيام بعيدا عن الحياة أو بمعزل عنها لأنه لا يعنى علاقة الانسان بربه فحسب وانما هو شيء أعم من ذلك اذ يشمل أمور الحياة كلها ، فبينما يتناول العلاقات بين أفراد المجتمع وطوائفه يتناول المذاهب التى يدين بها أهل ذلك العصر فى الأصول والفروع ، والعلاقة بين أصحاب مذهب ومذهب ، كما يشمل مجموعة المبادىء والقوانين التى تحكم الناس فى أخلاقهم ومعاملاتهم ومن ثم كانت دراسة الناحية الدينية أمرا هاما لمعرفة عصر من العصور .

وللبحث عن أثر الدين فى حياة الناس شكلان مختلفان :

أحدهما : عن حيـاة الدين فى نفـوس المنتحلين له وتأثيره فى سـيرهم وأعمالهم .

---

(١) حسن ابراهيم حسن (مرجع سابق) — ج ٣ — ص ٤٢٥ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم — نشره دى غويه — ليدن — مطبعة بريل — الطبعة الثانية — ١٩٠٦ م ، ص ١٢٦ .

(٣) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى — مرجع سابق .

والثانى : البحث عنه من حيث هو علم تتناوله المناظرة والجدل وتنشر فيه الكتب والأسفار .

« ولن نفهم العصر العباسى اذا لم نؤمن بأن الأثر الدينى فيه كان أضعف من أن يبلغ الضمائر ، ويتغلغل فى أعماق النفوس »(١) ، فلا نكاد نقرأ كتب التاريخ، الا وتتأكد لنا تلك الحقيقة . كذلك نرى الشعر العربى فى القرن الرابع الهجرى ، وقد امتلأ بالاباحية والحسية فى الوقت الذى دخلت فيه الى المدن الاسلامية كثير من ألوان الفساد الخلقى حيث انتشرت فى قصور الخلفاء والأثرياء ألوان من اللهو والفجور لا يعرفها الاسلام ولا يقرها(٢) .

ولم يكن هذا الفساد وضعف الدين قاصرا على خاصـــة القوم بل كان داء استشرى فى جسم الأمة جميعا ، « وشاعت فنون الخلاعة والمجون ، وأصبح لكل ضرب من ضروب اللهو علم يعرف علماؤه والمتفننون فيه ويقرب أهله الى الخلفاء وذوى الرياسة»(٣) .

واذا كان هذا هو شأن الدين فى سلوك الناس ، فقد كان له شأن آخر من حيث هو علم تتناوله المناظرة والجدل فقد « تعددت الحركات الدينية تعدد الحركات السياسية ، سواء بسواء »(٤) .

وتعددت الفرق وكان بينها مناقشات وردود ومناظرات ومحاورات حوتها مؤلفات هذا العصر(٥) . ولن نطالع قليلا من تلك المؤلفات الكثيرة ، الا ونشعر بأن الاسلام فى هذا العصر قد تحول الى نظريات فلسفية وجدل كلامى . فما من

---

(١) طه حسين : ذكرى بن العلاء ـ القاهرة ـ مطبعة المعاهد ـ ١٩٢٢ م ، ص ٧٥ .

(٢) راجع ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٦٣ .

(٣) احمد جمال العمرى : ابو بكر الصولى العالم الاديب النديم ـ كتاب رقم ١٠١ من سلسلة (اعلام العرب) ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ ١٩٧٣ ، ص ٢٩ .

(٤) سعيد زايد : الفارابى ـ كتاب رقم ٣١ من سلسلة نوابغ الفكر العربى ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٠ م ، ص ١٠ .

(٥) انظر على سبيل المثال :

الأشعرى (ابو الحسن على بن اسماعيل) : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ـ استانبول ـ مطبعة الدولة ـ ١٩٢٩ م .

البغدادى : الفرق بين الفرق ـ القاهرة ـ مطبعة الهلال ـ ١٩٢٣ م .

الشهرستانى : الملل والنحل ـ القاهرة ـ امين الخانجى ـ ١٣٢١ هـ .

=

فكرة أو قول الا وقد تحول فى هذا العصر الى مركز تدور حوله مئات الدوائر من الخلاف والجدل المذهبى ، فلا غرابة فى تعدد المقالات والفرق آنذاك ، ولقد تعددت الاتجاهات فى تناول حقائق الدين : فكان هناك رجال الفقه والحديث والنص والتعيين(١) • وهناك علماء الكلام ودفاعهم عن الدين ضد خصومه عن طريق الجدال(٢) • وهناك الفلاسفة الذين يوفقون بين حقائق الشرع والفلسفة فى محاولات متعددة(٣) • وهناك المتصوفة الذين نادوا بالكشف والالهام(٤) •

ووسط هذا الصراع الفكرى وفى هذا الجو من الانقسام الدينى أصيب العقل بالحيرة والقلق •

* * *

خامسا : الحياة العلمية والفكرية

على الرغم من التفرق السياسى الذى أصاب الأمة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، كنت تجد رقيا فى الحياة العقلية ، وكأن العلوم والفنون لا ترقى الا فى عصور الفوضى والاضطراب ــ فلا تتبع الحالة العلمية الحالة السياسية ضعفا وقوة ،

=

الباقلانى : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٤٧ م •

الاشعرى : اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ــ القاهرة ــ مطبعة مصر ــ ١٩٥٥ م •

الرازى : محصل افكار المتقدمين والمتاخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ــ القاهرة ــ المطبعة الحسينية ــ ١٣٢٣ هـ •

(١) أنظر جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ــ ترجمة محمد يوسف موسى ــ القاهرة ــ دار الكتب الحديثة ــ ١٣٧٨ هـ ، ص ٦٢ ــ ٧٦ •

(٢) ابن خلدون : المقدمة ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مطبعة مصطفى محمد ــ بدون تاريخ ــ ص ٤٥٨ ــ ٤٦٧ •

(٣) أنظر عمر فروخ : عبقرية العرب فى العلم والفلسفة ــ بيروت ــ منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها ــ ١٩٥٢ م ، ص ١٠٥ وما بعدها •

(٤) ابن خلدون : المقدمة ــ مرجع سابق ، ص ٤٦٧ ــ ٤٧٥ •

وايضا كامل مصطفى الشيبينى : الصلة بين التصوف والتشيع ــ بغداد ــ مطبعة الزهراء ــ ١٣٨٣ هـ ــ الجزء الأول •

فقد يحمل الظلم والعسف كثيرا من العلماء والمفكرين الى الفرار من العمل السياسى، الى العمل العلمى والفكرى(١) .

وقد عبر الدكتور طه حسين عن هذه الحقيقة بقوله « وفى القرن الرابع دليل واضح على أن الصلة بين الأدب والسياسة ، قد تكون صلة عكسية فى كثير من الأحيان ، فيرقى الأدب على حساب السياسة المنحطة »(٢) .

وفى هذا العصر كانت الحياة الفكرية قد بلغت عنفوان أمرها ، وبلغت الذروة من الرقى والنضوج فقد كان من نتائج دخول الثقافات الأجنبية الواردة وامتزاج هذه الثقافات مع الثقافة الاسلامية « أن نشأت حياة عقلية علمية لها طابعها الخاص ، ذلك الطابع الذى يمتاز بامتصاص الثقافات الأجنبية ، واضافتها الى عناصر الفكر العربى الأصيل »(٣) .

وفى هذا العصر أيضا ـ وقد فتح العباسيون الأبواب على مصاريعها ، لكل الثقافات الوافدة على الفكر العربى ـ أدت الترجمة دورها كاملا « فى صقل العقل العربى ، بعد أن قدمت اليه هذا العدد الوفير من العلوم التى نقلت الى عقله ولسانه وسهلت له أن يستوعب كل ما يصادفه من علوم وآداب وثقافات خاصة بعد أن دخلت فى حظيرة العروبة والاسلام شعوب متباينة فى لغاتها وأجناسها وعاداتها وثقافتها »(٤) . « والى جانب ترجمة العلوم ... كان هناك (التأليف والبحث العلمى) بشكل لا يقل عن الترجمة نشاطا »(٥) ، ولم يكن هناك فن من الفنون التى عرفها الأقدمون ، ولا ضرب من ضروب المعرفة ، الا وقد أخذ المسلمون منه فى القرن الرابع بحظ وافر . ويكفى أن نذكر أنه لم يكد يظل الأمة الاسلامية عصر القرن الرابع الهجرى الا وقد نقل ميراث اليونان من فلسفة وحكمة وعلوم ، وترجمت كتب أرسططاليس وأفلاطون وأقليدس وبطليموس وجالينوس ، وكثير مما أنتجته قرائح اليونان والسريان والفرس .

---

(١) احمد امين : ظهر الاسلام ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ م ـ ج ١ ـ ص ٩٦ .

(٢) طه حسين : فى الأدب الجاهلى ـ الطبعة الحادية عشرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٥ م ، ص ٣٩ .

(٣) احمد جمال العمرى (مرجع سابق) ، ص ٣٨ .

(٤) المرجع السابق ـ ص ٣٨ .

(٥) عبد الغنى عبود : مذكرات فى تاريخ التربية ـ الاتحاد الاشتراكى العربى ـ المؤسسة الثقافة العمالية ـ كتاب رقم ٤٥ من السلسلة العمالية ـ ١٩٧٦ ـ ص ١٤٢ .

وعلى امتداد رقعة الدولة الاسلامية كانت هناك مراكز فكرية جذبت اليها رجال الأدب والعلوم من كل فن ، فالى جانب بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، ظهرت مدن أخرى مثل أصبهان والرى وبخارى وطبرستان وغزنه وحلب والقاهرة(١) ، وقرطبة(٢) .

* * *

الازدهار الفكرى وأسبابه

يعد القرن الرابع أزهى العصور فى الاسلام من الناحية العلمية ففيه نمت وأينعت علوم الثقافة الاسلامية كلها ، وأهمها علوم القرآن ، وألف كثير من العلماء كتبا فى الحديث ، واستقرت دعائم المذاهب الأربعة فى الفقه ، وفيه اتضحت آثار الفرق الاسلامية على اختلاف آرائها ومناهجها ، كأهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والظاهرية ... وغيرها ولكل فرقة منهجها وكتبها . ولم يعد هناك علم قديم أو حديث ، الا وله كتب وأعلام نابغون ، حيث امتاز هذا العصر باجتماع طائفة من العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة والأطباء ، قل أن يجتمعوا فى عصر واحد .

وقد كانت الثقافة فيه قسمة شائعة بين الناس جميعا يشارك فيها خاصتهم وعامتهم — حتى المرأة شاركت فى ازدهار الحركة العلمية ورقيها(٣) .

« وانصرف الأطباء عن طب الخرافة ، الى طب عملى ، يقوم على الملاحظة والتجريب ، ويستعين بالآلات »(٤) ، وظهرت الموسوعات العلمية (دوائر المعارف) فألف الفارابى كتابه احصاء العلوم(٥) . وقد قصد الفارابى من كتابه احصاء

---

(١) حسن ابراهيم حسن (مرجع سابق) — ج ٣ — ص ٣٨٨ .

(٢) المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب — مطبعة بولاق — ١٢٩٧ هـ — ج ١ — ص ٣١٨ .

(٣) راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — مرجع سابق — ج ٣ — ص ١٥٢ — حوادث ٣٧٨ هـ ، ص ٢٠٩ — حوادث ٣٩٣ هـ .

(٤) توفيق الطويل : أسس الفلسفة — مصر — دار النهضة العربية — الطبعة السادسة — ١٩٧٦ — ص ١٩٦ .

(٥) راجع الفارابى : احصاء العلوم — تحقيق الدكتور عثمان أمين — دار الفكر العربى — ١٩٤٨ م .

العلوم المشهورة ، علما علما ، ومعرفة ما يشتمل عليه كل علم ، وأجزاؤه وتفريعاته ، « وهو محاولة تعد الأولى فى تاريخ الفكر الاسلامى »(١) . كذلك ظهرت رسائل اخوان الصفاء « مقسومة الى أربعة أقسام : الرياضة التعليمية ، والجسمانية الطبيعية ، والنفسانية العقلية والناموسية الالهية »(٢) .

وكانت المكتبات الكبرى طابع هذا العصر الذى تنافس فيه الملوك والأمراء على انشائها . وظهر المنهج التجريبى ، وأجرى المسلمون « التجربة العلمية التى سماها ابن الهيثم بالاعتبار ، وتوصلوا عن طريق الدراسات التجريبية الى قوانين علمية ، تفسر الظواهر التى يدرسونها ، تفسيرا علميا »(٣) .

ولا شك أن هناك عوامل ومؤثرات ، ساعدت على ازدهار الحركة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى ، نجملها فيما يلى :

(أ) **الحركة الفكرية :** التى أثارت العقول ، فأخرجت العديد من الكتب فى مختلف العلوم ، فليس هناك « ما يمنع الناصر للحق ، من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول ، وصلح الدهر ، وخوى نجم الفقيه وهبت ريح العلماء »(٤) ، وقد « جمعت العواصم العربية فى عصورها الذهبية ، بين فقهاء الشريعة ، والباحثين فى المادة ، والمناقشين فى الفلسفة ، وضمتهم جميعا مجالس الحكام ، واتسعت لهم وظائف الدولة ، وتبادلوا الحجج والجدل »(٥) .

ويشير الدكتور مصطفى السباعى ، الى أنه نتيجة لهذه الحرية ، نبتت أفكار « منها ما يمس العقيدة الاسلامية ومنها ما يخالف الحقائق الاسلامية ومع ذلك فلم تكن هناك سلطة دينية أو سياسية تحظر هذه الآراء ، أو تحكم على أصحابها بالاعدام

---

(١) سعيد زايد : الفارابى - مرجع سابق - ص ٢٥ .

(٢) جبور عبد النور : اخوان الصفاء - كتاب رقم ٧ من سلسلة نوابغ الفكر العربى - الطبعة الثالثة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٠ - ص ٥٢ .

(٣) توفيق الطويل : أسس الفلسفة - مرجع سابق - ص ١٣٩ .

(٤) الجاحظ : كتاب الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة - مطبعة مصطفى الحلبى - ١٩٤٣ - ج ١ - ص ٤٣ .

(٥) ابو الفتوح رضوان : « أمجادنا التاريخية ومكانتها فى مناهجنا الدراسية » - الرائد - مجلة المعلمين - عدد ممتاز عن مؤتمر المعلمين العرب - الاسكندرية ١٩٥٦ ص ١٣٢ .

والاحراق بل كان علماء الشريعة يتصدون للرد عليها وبيان زيفها وبطلانها بالحجة والبرهان »(١) ٠ وانه « فى هذا الجو العلمى الحر ، والجو الفكرى المطلق ، نشأت المذاهب ، وتعددت الآراء ، وكثرت المدارس الفكرية ، وتنوعت الحلقات العلمية ، وكان لكل ذى رأى أتباعه ولكل امام مؤيدوه »(٢) ٠

ويرى المرحوم أحمد أمين ، أن هذه الحرية قد أدت الى « تفرق الناس الى شيع وأحزاب ومذاهب ، فقد انقسم المعتزلة الى نحو ثلاث عشرة فرقة ، والخوارج الى نحو عشرين ، والشيعة الى نحو ثلاثين ، والمرجئة الى نحو سبع »(٣) ـ هذا بخلاف أتباع الديانات الأخرى ، وانقسامهم الى مذاهب وملل ، ولكنها ـ رغم ذلك ـ تدل على « حرية الفكر ، وحرية فى سياسة الدولة ، احتملت كل هذه الآراء والمذاهب ، حتى المتطرف منها » ، نتجت عنها « لذة العقول وغذاؤها ومرانها على التفكير » ، و « رقى فن الجدل والمناظرة رقيا باهرا »(٤) ٠

واخيرا أدت هـذه الحرية الى وجـود جماعات تفكر بروح العصر كالمعتزلة واخوان الصفاء والمتصوفين ٠

(ب) **امتزاج الثقافات :** كان من أثر تعدد الأجناس فى الدولة الاسلامية فى القرن الرابع ، وامتزاجها بالسكنى والزواج وغير ذلك ، أن تنوعت الثقافات وتداخلت ، حتى ليمكن القول انها كانت تكمل بعضها البعض ، وكان محصلة ذلك تكامل ثقافى فى شتى فنون المعرفة ٠ هذا الى ما قامت به حركة الترجمة ، التى نقلت الى العربية نتائج هذه الثقافات فنتج عن ذلك « أن طرحت لنا الثقافة العربية الاسلامية ثقافة واسعة شاملة ، حاوية لجميع الثقافات التى انعكست على مرآتها »(٥) ٠

(ج) **الاحتكاك بين الاتجاهات الفكرية المختلفة :** كالاحتكاك بين المذاهب الفقهية المختلفة ، وبين الشيعة وأهل السنة ، وبين الفقهاء والصوفية ، وبين

---

(١) مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام ـ القاهرة ـ دار مطابع الشعب ١٩٦٢ ، ص ٨٢ ٠

(٢) المرجع السابق ـ ص ٨٠ ٠

(٣) احمد أمين : ضحى الاسلام ـ الجزء الثالث ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ ـ ص ٣٤٨ ٠

(٤) المرجع السابق ـ ص ٣٥١ ٠

(٥) احمد جمال العمرى (مرجع سابق) ، ص ٣٩ ٠

المحدثين وعلماء الكلام ، وبين المتكلمين والفلاسفة • وقد أدت هذه الاحتكاكات الى نشاط عجيب فى الحركة العلمية ، ظهر فى المؤلفات الكثيرة ، وفى المناظرات المتعددة(١) •

(د) **انقسام الدولة الاسلامية :** حيث أصبح للعلم « نصراؤه فى هذا العصر ، من ملوك وأمراء ووزراء ، فى أشهر مدن العالم الاسلامى ، فغدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هاما من مراكز الثقافة العربية »(٢) •

ويقول الدكتور طه حسين : « أليس من المعقول اذا انقسمت دولة ضخمة كالدولة العربيــة ونجم فى أطرافها الملوك والامراء والثائرون أن يقع بين هؤلاء التنافس وأن ينشأ من التنافس تشجيع الشعراء والكتاب والعلماء وأن ينشأ من هذا التشجيع جد وكد ، ثم توفيق الى الاجادة وظفر بها ، هذا هو الذى كان ابان القرن الرابع الاسلامى »(٣) ، فرغم الاقليمية والانقسام فى القرن الرابع الهجرى ، فان الحالة العلمية « كانت أنضج منها فى العصر الذى قبله ، أخذ علماء هــذا العصر ما نقله المترجمون قبلهم ، فشرحوه وهضموه ، وأخذوا النظريات المبعثرة فرتبوها ، وورثوا ثروة من قبلهم فى كل فرع من فروع العلم فاستغلوها »(٤) ، وساعدهم على ذلك أن هذه الحدود التى اصطنعت ، لم تحل دون انتقال العلماء من قطر الى قطر فقد « كان من أهم مظاهر الحركة العلمية التى تدعو الى الاعجاب فى هذا العصر الرحلات فقد أصبح تقليدا للعالم أن يرحل ويلاقى العلماء ويأخذ منهم ويروى عنهم ، مع عناء السفر وفقر العلماء غالبا »(٥) ، وكانت الحكومات من جانبها تنشىء الطرق ، وتقيم الرباطات والمخافر « فكان العلماء فى رحلاتهم ينتفعون بهذه المزايا »(٦) •

(هـ) **رباط اللغة والدين :** كان من أسباب الازدهار الفكرى وتطور الحياة العقلية ، ودفعها الى مزيد من التواصل الفكرى ، رباط اللغة والدين ، فقد أصبحت اللغة العربية فى هذا العصر لغة المثقفين من العرب وغير العرب ، وهى من « أغنى

---

(١) عن حركات الجدل والمناقشة فى بغداد — راجع الذهبى : تاريخ الاسلام — مرجع سابق — ج ٣ — ورقة ٢١٥ ، ٢١٦ • وراجع جدل المعتزلة مع الفرق الأخرى عند أحمد أمين : ظهر الاسلام ، مرجع سابق — ج ٤ — الباب الاول عن المعتزلة وتطور فكرهم حتى القرن الرابع •

(٢) ابراهيم الكيلانى (مرجع سابق) ، ص ٨ •

(٣) طه حسين : فى الأدب الجاهلى — مرجع سابق — ص ٣٩ •

(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام : الجزء الاول — الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٤٦ — ص ٩٧ •

(٥) المرجع السابق — ص ٣١٥ •

(٦) المرجع السابق — ص ٣١٦ •

اللغات السامية وأوسعها أفقا » ، « فحلت محل اليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية والبربرية وغيرها »(١) ، واستطاعت أن تكون أداة حضارية طيبة لنقل « ما نقل من علوم الفرس والهنود واليونان »(٢) ٠

وبفضل الاسلام ، الذى أكد أن الدين هو الرباط الأساسى بين الناس ، تمكن المسلمون من المحافظة على أواصر الوحدة العقلية زمانا طويلا ، فالعقيدة والعلم القائم على هذه العقيدة ، حفظا وحدة العالم الاسلامى ، رغم تغير الدهر وتقلبات الحظ (٣) ٠

ولقد قامت الحضارة الاسلامية عموما « على دعامتين اساسيتين هما اللغة العربية والديانة الاسلامية ، فاللغة العربية تمثل الأداة التى عبرت بها هذه القوة الحضارية عن نفسها ، فى حين أن الاسلام له فلسفته ونظرته الى الحياة ، التى سيطرت على هذه الحضارة ، وأكسبتها طابعا اسلاميا واضحا »(٤) ٠

هذا كله بالاضافة الى أن « الخلفاء كانوا فى ذلك الوقت يضعون العلوم فوق أى اعتبار للجنس أو الدين أو مسقط الرأس »(٥) ٠

حركة الترجمة والانفتاح الثقافى : حين استولى العباسيون على زمام الملك ، شرع أبو جعفر المنصور ، بمشورة وزرائه من الفرس ، فى تشجيع حركة الترجمة، حيث رأى هذا الخليفة « أن أعظم الممالك وأخلدها ما قام على أسس العلم ودعائم المعرفة ، ولهذا أجزل العطاء للعلماء والمترجمين ، وقربهم من مجلسه »(٦) ٠ وكانت هذه سنة حسنة ، سرت فيمن بعده من الخلفاء ، فنجم عنها تضاعف حركة

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية وأثرها فى الحضارة الاوربية ـ الطبعة الاولى ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٣ م ـ ص ١٠ ٠

(٢) المرجع السابق ـ ص ١١ ٠

(٣) جوستاف جرونباوم : حضارة الاسلام ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، وعبد الحميد العبادى ـ كتاب رقم ٢ من مجموعة الألف كتاب ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٥٦ ، ص ٤٨ ٠

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع الأسبق ـ ص ٩ ٠

(5) RADWAN, ABU AL-FUTOUH AHMAD: Old and New Forces in Egyptian Education, Proposals for the Reconstruction of the Program of Egyptian Education, in the Light of the Recent Cultural Trends; Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University, New York, 1951, p. 42.

(٦) محمد غلاب : المعرفة عند مفكرى المسلمين ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ ١٩٦٦ ـ ص ١٥٥ ٠

النقل وزيادة الانتاج فى الترجمة والشرح والتعليق ، وكان المأمون أعظم مثل فى العناية بالترجمة ، فقد نمى دار الحكمة وقواها ، حتى أصبحت غرة فى جبين الدولة العباسية كلها ، واستمر تشجيع الحكام لحركة النقل والترجمة حتى وصلت الى ذروة ازدهارها فى القرن الثالث الهجرى(١) ، مما دعا البعض الى اعتباره عصر المترجمين(٢) ، وظلت الترجمة على حال كبير من النشاط ، حتى منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا(٣) .

وكانت أكثر العلوم التى عنى بترجمتها الى العربية من التراث اليونانى هى ما أطلق عليه فيما بعد « علوم الأوائل »(٤) ، تمييزا لها عن العلوم العربية .

وتمت ترجمـة التراث اليونانى أولا الى السريانيـة حيث انتقلت الثقافة اليونانية الى جنديسابور والاسكندرية ، وعن السريانية هذه تمت الترجمة الى العربية(٥) ، ثم بعد هذا ترجم التراث اليونانى عن اليونانية مباشرة الى اللغة العربية . هذا بالاضافة الى ماترجم عن الفارسية والهندية(٦) . وقد اشتهر من المترجمين فى القرن الرابع الهجرى :

أبو بشر متى بن يونس ، ويحيى بن عدى ، وأبو نصر الفارابى ، وأبو على عيسى بن زرعة(٧) .

ولم يكن مترجمو العرب ، مجرد نقلة ، خملوا تراث الأمم القديمـة الى عصرهم و « انما كانوا أصحاب آراء خاصة وأفكار مستقلة واستنباطات حرة وترجيحات مستقيمة ، من شأنها أن تدرجهم فى عداد المتفلسفين »(٨) .

---

(1) Max Mayrhof: «Eince and udicine» in: the legocy of Islam, London Oxford University press, Ltd., 1968, p. 315.

(٢) ماكس مايرهوف : « من الاسكندرية الى بغداد » – بحث مترجم فى كتاب (التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية) – ترجمة عبد الرحمن بدوى – الطبعة الثالثة – دار النهضة العربية – ١٩٦٥ – ص ٥٧ ، ٥٨ .

(3) O'leary, Delacy: Arabic thaught and its place in History, London Zed. 1957, p. 113.

(٤) حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) : كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون – استانبول تركيا – وكالة المعارف الجليلة – ١٩٤٣ – المجلد الاول – ج ١ – ص ٤٣ .

(5) Ahmed Foad El Ahwany: Islamic Philosophy, Cairo, Anglo Egyptian Book-shoop, 1957, p. 12.

(٦) دى لاسى اوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب – ترجمة وهيب كامل – كتاب رقم ٣٩٥ من مجموعة الألف كتاب – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٦٢ م – ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٧) راجع محمد غلاب : مرجع سابق – ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٨) محمد غلاب – المرجع السابق – ص ١٦٠ .

واذا كان المسلمون قد شغلوا فى القرنين الثانى والثالث الهجريين بنقل العلوم الأجنبية وتفهمها ، فانهم فى القرن الرابع الهجرى كانوا يدرسون لأنفسهم، وانتقلوا من طور الجمع والتحصيل ، الى طور الانتاج الشخصى ٠ ومن العلوم الجديدة التى استحدثت بالترجمة ،علم الكلام والفلسفة(١) ٠ وقد اتجه العرب صوب كتب الفلسفة النظرية ليتمموا أداء رسالتهم الثقافية ، هذا الى جانب أن العرب كانوا بحاجة الى معرفة ثقافات الحضارات التى انتشر الاسلام بين أهلها ٠ ومن ثم يمكن القول بأن ما قام به المسلمون من نقل كتب العلوم اليونانية والفلسفة اليونانية كان وفاء للاحتياجات العمرانية الجديدة وسياسة الدولة وحبا للعلم من الأفراد(٢) ٠ « ولم تكد المنتجات الأجنبية تندفع بين المسلمين ، حتى ظهرت آثارها الفعالة فى جميع نواحى حياتهم العقلية ، بعد أن مزجوها بتعاليم دينهم ، مزجا جعلها صالحة للحياة والخلود ٠ والمتصفح لكتاب الفهرست لابن النديم ، الذى انتهى من تأليفه سنة ٣٧٧ هـ(٣) يستطيع أن يتبين بجلاء عظيم التراث الذى ترجمه وامتلكه المسلمون ، من علوم وفلسفة ٠

والذى ينبغى الاشارة اليه أن البيئة العلمية الاسلامية لم تقف ازاء هذه العلوم موقف المستقبل لكل ما وفد منها والمتقبل لكل محتواها ٠ والدليل على ذلك انهم قاموا بالفصل بين العلوم الوافدة والعلوم العربية الأصيلة فأطلقوا على الوافدة هذه « علوم الاوائل » أو ٠٠ « علوم القدماء » أو « علوم العجم » ليفصلوا بينها وبين ما يقابلها ؛ والذى سموه علوم العرب ، أو علوم الشريعة على وجه الخصوص ٠

موقف الأمة الاسلامية من العلوم الوافدة فى القرن الرابع الهجرى :

أقبل المسلمون على ترجمة الفلسفة القديمة ولا سيما اليونانية واضطلعوا بدراسة مذاهبها ، شرحا وتعليقا ، « ولكن المتزمتين من أهل السنة خاصة ، حذروا من الخطر الذى يهدد الدين من جراء علوم الأوائل »(٤) ، وكان «لأهل السنة بازاء المنطق اليونانى موقف خطير ، أخطر بكثير ، من موقفهم بازاء بقية علوم الأوائل ، بينما كان عدم الثقة بازاء العلوم اليونانية الأخرى يبدو فى العناية بالتحذير منها فحسب ، وظهر الكفاح ضد المنطق فى صورة معارضة خطيرة كل الخطورة ،

---

(1) Ahmed Foad El Ahowany; Islamic Philosophy, Cairo Anglo Egyption Book-shoop, 1957, P. 2.

(٢) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون — بيروت — المكتبة التجارية — ١٩٦٧ — ص ١٩٣ — ١٩٦ ٠

(٣) ابن النديم (محمد بن اسحق) : كتاب الفهرست — نشر وتعليق جوستاف فلوجل — ليبزج ، ف ، و ، فوجل — ١٨٧٢ م ٠

(٤) توفيق الطويل : اسس الفلسفة — مرجع سابق — ص ٤١١ ٠

فالاعتراف بطرق البرهان الأرسططالية ، اعتبر خطرا على صحة العقائد الايمانية ، لأن المنطق يهددها تهديدا جديا كبيرا ، وعن هذا الرأى عبر الشعور العام لدى غير المثقفين فى هذه العبارة ، التى جرت مجرى المثل « من تمنطق وتزندق) »(١) . كذلك وقف الأصوليون « فلم يقبلوا المنطق الأرسططاليسى على الاطلاق... ووقف فقهاء أهل السنة والجماعة من المنطق الأرسططاليسى بل من المنطق اليونانى على العموم موقف العداوة التامة ... وحارب الصوفية المنطق على العموم »(٢) .

ولقد ظهرت معارضة العلوم الوافدة ظهورا بينا فى القرن الرابع الهجرى فى كتاب « مفيد العلوم ومبيد الهموم » للشيخ جمال الدين أبى بكر محمد بن العباس الخوارزمى ، المتوفى ٣٨٣ هـ ، فى الباب الثالث فى الرد على الفلاسفة(٣) ، فقد اتهم بالجنون وفساد العقل والشرك والالحاد . « وكانت علوم القدماء فى نظر هؤلاء ، حكمة مشوبة بالكفر ، فتخفى المشتغلون بالفلسفة ، اتقاء للناس ، وطالب المحترفون من نساخى الكتب فى بغداد ... بأن يقسموا صادقين ألا ينسخوا كتابا فى الفلسفة »(٤) .

وقد ذهب الأمر فى هذا العصر ، الى حد الزعم بأن التدريب على الكلام والجدل والهندسة فيه غناء عن المنطق . وقد رد عليهم الفارابى هذا الزعم وبين فساد ذلك(٥) . ولما كان الاشتغال بهذه العلوم فى عرف المتزمتين من أهل السنة زندقة ، وقد شاعت الزندقة فى العصر العباسى ، فقد حوربت من الخلفاء العباسيين بلا هوادة ، اذ أنها — فيما يرى البعض فى ناحية من نواحيها ، ثورة فارسية مقنعة تستتر بالفلسفة ، من أجل هدم الدين والدولة معا ، طمعا فى اعادة الدولة الفارسية(٦) .

ولم يقتصر الأمر على اضطهاد متطرفى السنة للعلوم الوافدة بل قام المتكلمون أيضا بمقاومة تعاليم أرسطو وأفلاطون والأفلاطونية المحدثة ، المتعلقة بالالهيات ،

---

(١) عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية — دراسات لكبار المستشرقين — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦ — ص ١٤٧ .

(٢) على سامى النشار — مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ونقد المسلمين المنطق الأرسططاليسى — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى ١٩٤٧ — ص ١٥ .

(٣) الخوارزمى (جمال الدين أبو بكر محمد بن العباس) : مفيد العلوم ، ومبيد الهموم — الطبعة الاولى — المطبعة العلمية ١٣١٠ هـ — ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) توفيق الطويل (المرجع الأسبق) ، ص ٢٥٧ .

(٥) الفارابى : احصاء العلوم — تحقيق الدكتور عثمان امين — دار الفكر العربى — ١٩٤٨ — ص ٥٨ — ٦٢ .

(٦) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية — مصر — دار الهلال — بدون تاريخ ص ٥٠ .

وذلك بالرد عليها ودحضها ، فنتج عن هذا أبحاث كلامية كثيرة • على أن ردود علماء الكلام لم تقتصر على الفلاسفة فقط ، بل كانت موجهة أيضا الى كل من خالف سنتهم ، من معتزلة وظاهرية وحنابلة (١) •

خلاصة القول : أن الأمة الاسلامية كرهت الأشتغال فى هذا العصر بما سمى علوم الأوائل ، ونظرت لمن يشتغلون بها نظرة شك وريبة •

الصراع المذهبى :

تعددت الحركات الدينية فى القرن الرابع الهجرى تعدد الحركات السياسية سواء بسواء ، فظهر العديد من الفرق : قدرية وشيعة وحنابلة وزهاد وورعون ومستورون(٢) ، وقامت بين هذه الفرق صراعات ، أدت الى فتن دينية ، سواء فى العراق حاضرة الخلافة العباسية أو فى غيرها ، وهذه الفتن ان اختلفت أسبابا فقد اتحدت نتائج ، اذ تضافرت كلها على زعزعة العقيدة فى النفوس ، وبلبلة الأفكار ، تجاه المفاهيم الدينية •

كان الصراع حادا بين أهل السنة والشيعة ، وكان من أهم أسباب هـذه الفتن ، الاحتفالات التى كانت تقيمها الشيعة فى العراق فى يوم عاشوراء ، ويوم غدير خم(٣)، الذى تزعم فيه الشيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالخلافة لعلى بن أبى طالب ، فى حجة الوداع ، بقوله : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى »(٤) • هذا وقد قوى سلطان الشيعة فى زمن بنى بويه ، الذين « رفعوا منار الشيعة وأحيوا معالمها »(٥) • وفى هذا العصر قامت « حروب دامية ، وفتن أهلية ، بين السنة ، الذين كان يساندهم الأتراك، والروافض (الشيعة) ، الذين كان يساندهم البويهيون »(٦) ، وقد أصدر بنى بويه أوامرهم بلعن معاوية فى المساجد ، وألزم معز الدولة البويهى الناس ، باغلاق الأسواق ، واقامة المآتم على الحسين بن على فى يوم عاشوراء(٧) •

---

(١) ربابورت : مبـادىء الفلسـفة ـ ترجمة احمد امين ـ الطبعة الرابعة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ ١٩٣٨ (فصل اضافه المترجم عن الفلسفة الاسلامية استكمالا لمباحث الكتاب) •

(٢) راجع المقدسى : أحسن التقاسيم ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٠ •

(٣) غدير خم : موضع بين مكة والمدينة ، وما ادعاه الشيعة فيه ، لو صح لاشتهر •

(٤) اورده البخارى : مرجع سابق ـ فى فضائل اصحاب النبى •

(٥) ابراهيم الكيلانى : ابو حيان التوحيدى ـ مرجع سابق ـ ص ٦ •

(٦) المرجع السابق ـ ص ٦ •

(٧) السيوطى : تاريخ الخلفاء ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠١ •

ولم يقتصر الأمر على الصراع بين أهل السنة والشيعة ، بل كثيرا ما أثار الفقهاء فتنا ، بسبب الخلافات المذهبية ، كالجهر فى البسملة ، والترجيع فى الأذان والقنوت فى الفجر حتى وصل أمر هذه الفتن الى استعانة الحنابلة بالعميان الذين كانوا يأوون ببعض المساجد لضرب كل شافعى يمر بهم ، ولقد ثار الحنابلة على ابن جرير الطبرى ، ورموه بالرفض والالحاد ، وحاولوا دفنه نهارا ، فدفن ليلا فى بيته[1] ٠

هـذا الى جانب تعصب فقهاء هـذا العصر لآراء أئمتهم تعصبا كريهـا ، « فأبو الحسن الكرخى ، رئيس الأحناف بالعراق (ت ٣٤٠ هـ) ، يرى أن كل آية أو حديث يخالف ما عليه امامه ، فهو مؤول أو منسوخ »[2] ٠ وقد حدث قتال بين « أتباع المذهب الشافعى والمذهب المالكى والمذهب الحنفى سنة ٣٢٦ هـ فى المسجد الجامع العتيق بمصر ، ولم يتمكن الاخشيد من فض النزاع ، الا بعد أن أغلق الجامع بواسطة الجند ، ثم سمح للفقهاء بعد ذلك بالتدريس فى المسجد ، بعد شفاعات[3] ٠

وفى القرن الرابع ، كان الخلفاء أعجز من أن يخمدوا الفتنة بين أهل السنة والشيعة ، يقول ابن الأثير ، « ولم يكن للسنية قدرة على المنع ، لكثرة الشيعة ، ولأن السلطان كان معهم »[4] ٠

كما كان الصراع حادا بين الفقهاء من جانب ، والصوفية من جانب آخر ، فالصوفية يرمون الفقهاء « بأنهم لا يعبأون الا بالقشور من ظواهر الأمور» والفقهاء يرمون الصـوفية « بأنهم غلوا فى أحـوال الروح أكثر مما كان يعرفه الاسـلام وسموهم أهل الباطن »[5] ٠

وكان الصراع قائما وبعنف بين المتكلمين والفلاسفة وسادت بينهم الكراهية وكثرت بين الفريقين المناظرات حتى أن المعتزلة جعلوا « المناظرة والمجادلة ٠٠٠٠ ركنا كبيرا من أركان الاسلام »[6] ٠

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ — مرجع سابق — ج ٨ — ص ٤٩ ، ٥٠ ٠

(٢) محمد الدسوقى : الاجتهاد فى الفقه الاسلامى (دراسات فى الاسلام) — كتاب رقم ١٤٧ — ١٥ من جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ — ١٥ من يوليو ١٩٧٣ م — ص ١٢٣ ٠

(٣) محمد الدسوقى (المرجع السابق) ، ص ١٢٣ ٠

(٤) ابن الأثير (مرجع سابق) — ج ٨ ، ص ٢١٦ ٠

(٥) احمد امين : ظهر الاسلام — مرجع سابق — ج ٢ — ص ٥٧ ٠

(٦) المرجع السابق — ج ٢ — ص ١٢٩ ٠

فاذا ما تركنا بغداد تموج بهذا الصراع واتجهنا الى خراسان وجدناها لا تخلو من هذه الفتن لوجود عديد من الطوائف فيها « فالخوارج ... كثيرة ، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة ، وللشيعة والكرامية بها جلبة ، والغلبة فى الاقليم لأصحاب أبى حنيفة »(١) .

وهكذا يبدو الصراع المذهبى فى كل بقعة من بقاع الدولة الاسلامية فى القرن الرابع ، ولم يكن الدافع الى هذا الصراع الا المؤامرات والدسائس ، حتى امتلأ الجو الاسلامى آنذاك بجدال عنيف دار حول الأصول الرئيسية للعقيدة الدينية وما ينشأ عنها من فروع .

الدعاوى الدينية المنحرفة :

انتشرت فى القرن الرابع الهجرى الدعاوى الدينية المنحرفة . فظهر من ادعى الألوهية كالحسين بن منصور الحلاج ، وهو مجوسى الأصل ، من أهل بلدة البيضاء بفارس ، نشأ بواسط ، ثم قدم بغداد واختلط بالصوفية ، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره من المتصوفين(٢) . وقد اشتغل فى مبدأ أمره بالتصوف، وله شحطات كثيرة ، بمعنى « أن كلامه يحتل معنيين ، أحدهما حسن محمود ، والآخر قبيح مذموم »(٣) . وقد « بان خطره للعيان ، فى مستهل القرن الرابع الهجرى ، وكان ذلك أيام خلافة المقتدر »(٤) ، حيث راجت دعوته بين كثير من الناس ، وخاصة أهالى بغداد والطالقان بخراسان ، الذين افتتنوا به ، حتى خشى أهل السنة أن يتفاقم خطره .

وقد زعم أن الله حل فيه ، كما حل فى عيسى بن مريم ، وقيل انهم ظفروا بكتب له الى أتباعه ، عنوانها « من الهو هو ، رب الارباب ، المتصور فى كل صورة ، الى عبده فلان » ، وظفروا بكتب أتباعه اليه ، وفيها « يا ذات الذات ، ومنتهى غاية الغايات ، نشهد بأنك المتصور فى كل زمان بصورة ، وفى زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ، ونحن نستجير بك ، ونرجو رحمتك ، يا علام الغيوب »(٥) . وقد ألف الحلاج كتبا ، ذكر فيها مبادىء تخالف الاسلام ، « فأباح الحج الى غير مكة ... كما أباح الافطار فى شهر رمضان ... كما أعفى من العبادة من زار قبور الشهداء بمقابر قريش ، وأقام بها عشرة أيام ، يقضيها فى الصلاة »(٦) .

---

(١) المقدسى (مرجع سابق) ، ص ٢٩٣ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ـ دار الطباعة المرية المصرية ـ ١٢٧٥ هـ ـ ج ١ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ـ القاهرة ـ مطبعة الهلال ـ ١٩٢٤ م ـ ص ٢٤٧ .

(٤) سعيد زايد (مرجع سابق) ، ص ١٣ .

(٥) البغدادى : الفرق بين الفرق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .

(٦) حسن ابراهيم حسن (مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٢٦ .

ولم تقف دعوة الحلاج عند التأثير على العامة ، بل امتد تأثيرها ليشمل كثيرا من رجال البلاط والكتاب ، وبعض كبار الهاشميين • وقد روى عنه أنه قال « ما فى الجبة غير الله » - يعنى جبته •

وقد ناظر بعض الفقهاء الحلاج ، بناء على أمر الخليفة المقتدر ، وأوجبوا قتله (٣٠٩ هـ) وضرب عنق الحلاج صاحب هذه الدعوى وأيضا ثلاثة من أصحابه حين رفضوا الرجوع عن معتقداتهم فيه(١) •

وقد أقلقت دعوة الحلاج الخلافة العباسية ، ولذلك « أحضر الوراقون ، وحرم عليهم أن يبيعوا من كتبه شيئا ولا يشتروه »(٢) •

كما ظهر فى القرن الرابع غير الحلاج من ادعى حلول روح الاله فيه فظهر أبو جعفر محمد بن على الشلمغالى ، وسمى نفسه روح القدس ، ووضع لأتباعه كتابا ينطوى على الخروج على الشريعة الاسلامية(٣) • وقد تأثر بآراء الشلمغالى، بعض كبار الدولة العباسية(٤) • ولما تفاقم خطره فى عهد الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ) قبض عليه وعلى كثير من أنصاره ووجدت عنده وثائق تثبت ادعاءه الألوهية واغراق أنصاره فى ألوهيته ، ثم أفتى الفقهاء باباحة دمه ، فصلب فى ذى القعدة ٣٢٢ هـ ، وأحرق بالنار(٥) •

الجماعات العلمية :

تميزت الثقافة فى القرن الرابع الهجرى الى جانب ما سبق بظاهرة يجدر الالتفات اليها ، ألا وهى ظهور الجماعات العلمية فى بغداد ، وغيرها من المدن المحيطة بها ، وتتكون كل جماعة من مجموعة من العلماء تلتف حول أكثرهم علما وأغزرهم مادة ويؤلفون وحدة واحدة يكمل بعضهم بعضا حيث يتباحثون ويتناقشون فيما يعرض لهم من مسائل وأمور •

وكانت جماعة اخوان الصفاء احدى هذه الجماعات ، بل كانت « من أشهر الجماعات التى نشطت آنذاك .. وسعت فى كسب الأنصار ، وتآليفهم حولها ، ووضعت المؤلفات الفلسفية الدينية وبثتها بين طلاب الحكمة وسهلت لهم الاطلاع على خفايا الشرائع وهى تحتل فى تاريخ الفكر العربى مقاما رفيعا وتمتاز بأن أعضاءها سعوا

---

(١) ابن الاثير : مرجع سابق - ج ٨ - ص ٤٦ ، ٤٧ •

(٢) حسن ابراهيم حسن (مرجع سابق) - ج ٣ - ص ٢٢٩ •

(٣) البغدادى (مرجع سابق) ، ص ٣٤٩ •

(٤) حسن ابراهيم حسن (مرجع سابق) - ج ٣ - ص ٢٣٠ •

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - ج ٨ - ص ١١٠ - حوادث سنة ٣٢٢ هـ •

الى الاصلاح الاجتماعى والدينى الى جانب ما قاموا به من تبسيط العلوم ونشرها فى بيئتهم(١) ·

وهناك جماعة أخرى كانت تلتف حول أبى سليمان المنطقى سواء فى منزله أو فى دار الوزير ابن العارض(٢) ، أو فى سوق الوراقين(٣) بباب الطاق ، تجاه البصرة ، أو فى دور تلامذة أبى سليمان نفسه(٤) ، وكان يحضر هذه المجالس جماعات من مختلف الأجناس والمشارب والعقائد والملل والنحل ، فيهم الفلاسفة والأطباء والرياضيون والفلكيون والمؤرخون والشعراء والأدباء وأرباب الجدل « وفدوا جميعهم من أنحاء العالم الاسلامى ، شوقا للمعرفة ، وسعيا وراء العلم ، وكانت المسائل ـ وأغلبها يتصل بالفلسفة والتصوف ـ تطرح للبحث ، فيجيب عنها شيخ الجماعة ، ويقيد الطلاب الأجوبة فى دفاترهم ، وكثيرا ما كان يتدخل الشيخ اذا اتسع النقاش ، سواء لابداء رأيه السديد ، أم هداية لطالب حاد عن المعقول ، وتاه فى مهامه الفكر العويصة »(٥) ·

ولكن المستشرق « دى بور » قد وصف جماعة ابى سليمان بأنها كانت تتلاعب بالألفاظ والمعانى وانها لم تسهم الى حد كبير فى تقدم الفلسفة فى الاسلام(٦) ·

وذكر مثل ذلك الدكتور ابراهيم الكيلانى(٧) ، غير أن بعض الباحثين يرى أن مثل هذا الحكم ان دل على شىء فانما يدل على أن الكثيرين من المشتغلين بالدراسات الاسلامية لم يفطنوا الى أهمية الدور الحضارى الذى اضطلعت به جماعة « الأدباء الفلاسفة أو الفلاسفة الأدباء » فى صميم الحياة العقلية الاسلامية بدليل أنهم قد ظنوا أن الفلسفة قد استحالت على يد هذه الجماعة الى مجرد موضوع للمهارة فى الجدل ولكننا لو دققنا النظر الى كتب أبى حيان ـ وهو أحد أعضاء جماعة أبى سليمان المنطقى وتلميذه ـ لاستطعنا أن ندرك كيف عمل هذا المفكر وغيره من أعضاء الجماعة على النزول بالفلسفة الى مستوى الجمهور ونشر الوعى

---

(١) جبور عبد النور : اخوان الصفاء ـ مرجع سابق ـ ص ٧ ·

(٢) أبو حيان التوحيدى : المقابسات ـ تحقيق ونشر حسن السندوبى ـ القاهرة ـ المكتبة التجارية ـ ١٩٢٩ ـ المقايسة ٥ ·

(٣) المرجع السابق : المقابسات ١٨ ، ٣٧ ، ٥٩ ·

(٤) المرجع السابق : المقابسة ٢ ·

(٥) ابراهيم الكيلانى (مرجع سابق) ، ص ٤٥ ·

(٦) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ ١٩٣٨ م ـ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ·

(٧) ابراهيم الكيلانى (مرجع سابق) ، ص ٤٥ ، ٤٦ ·

الفلسفى بين جمهرة العامة والخاصة سواء بسواء وتحويل التفلسف الى عملية تساؤلية ، تقوم على طرح المشكلات واثارة الشبهات(١) ، وكانت مجالس هذه الجماعة بمثابة ندوات فلسفية « كان الناس يتلاقون فيها من كل طائفة لا يسألهم سائل عن بلادهم ولا عن مللهم ، بل يحاول كل منهم أن يدلى برأيه »(٢) ، ويؤمن كلهم بأن فى كل رأى نصيبا من الصحة ، كما يؤمنون برأى أفلاطون القائل بأن « الحق شىء نسبى ، فهو لم يصبه الناس من كل وجوهه ، ولا أخطأوه من كل وجوهه ، بل أصاب منه كل انسان جهة »(٣) .

أما الموضوعات التى كان يدور حولها النقاش فى هذه الجماعة العلمية فقد عرضها أبو حيان التوحيدى (ت ٤١٢ هـ - ١٠٠٩ م) فى كتابه (المقابسات) ، وهى كثيرة ومتباينة اذ نجد فيها موضوعات فلسفية كقضايا النفس والعقل والزمان والمكان ، والعالمين العلوى والسفلى ، والخليقة والمادة والجوهر ، وغير ذلك ، ونجد أيضا مواضيع خلقية كتهذيب النفس والخير والشر والفضيلة والرذيلة والصداقة والصديق ، ولم تعدم الأبحاث الأدبية مكانها فى مجالس هذه الجماعة ، فنجد أبحاثا عن التأليف والمقارنة بين الشعر والنثر وتعريفات للبلاغة . ولم تخل مجالس هذه الجماعة من موضوعات لها صلة بالوقائع اليومية أثارت خواطر وتعليقات الحاضرين ، كالبحث عن طرق مجدية لتربية النحل » (٤) .

هذا الى جانب الجماعات العلمية فى حوانيت الوراقين والجماعات التى كانت تعقد فى الصالونات والمكتبات ودور العلم كما سنبين بعد .

الاتجاه الى التخصص التربوى والمهنى :

كان القرن الرابع الهجرى عصر ازدهار ثقافى ونهضة علمية مباركة تعددت فيه العلوم ونضجت على نحو ما مر بنا . ونظرا لطبيعة التكوين الاجتماعى والاقتصادى .. لمجتمع القرن الرابع كان لا بد أن يظهر الاتجاه الى التخصص التربوى والمهنى . فمع هذا التقدم العلمى وتعدد العلوم وكثرتها تعذر على الطالب فى هذا العصر أن يتقن الثقافة بجميع فروعها ، وكان عليه أن يتخصص فى فرع أو أكثر من فروع العلم والمعرفة . ففى هذا القرن كان هناك فقهاء ، ومنجمون ، وأطباء ، ومفسرون ومحدثون ومتكلمون ، وشعراء ، ونسابون ، ونحويون ،

---

(١) زكريا ابراهيم : أبو حيان التوحيدى (أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء) - كتاب رقم ٣٥ من سلسلة أعلام العرب - الدار المصرية للتأليف والترجمة - مطبعة مصر - بدون تاريخ - ص ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق - ص ١٧٥ .

(٣) أبو حيان التوحيدى : المقابسات - مرجع سابق - ص ٥٧ .

(٤) المرجع السابق - المقابسة رقم ٤٠ .

وعروضيون ، وحسابون ، ومهندسون وفلاسفة ـ وهؤلاء بالذات كانوا من أهل الخصوص عند بعض حكام القرن الرابع الهجرى وكان يفرد لهم فى قصور بعض الأمراء موضع ، يقرب من مجلسهم[١] .

واشتهر كل عالم من العلماء بعلم من العلوم فسمعنا عن الفيلسوف سليمان والنحوى أبى سعيد والمتكلم على بن عيسى الرمانى ، والفقيه أبى حامد بن بشر والطبيب ابن سينا والمهندس أبى الوفاء .. الخ وعلى أساس هذا التخصص وتلك الشهرة كان العلماء ينالون الحظوة من الخلفاء والأمراء والوزراء والكبار . ولقد خصص لكل طائفة من هؤلاء العلماء رزق محدود عند الخلفاء والأمراء ، وقد يأخذ البعض رزقا فى أكثر من طائفة واحدة ، كالزجاج (المتوفى ٣١٠ هـ) ، فقد كان له رزق فى الندماء ورزق فى الفقهاء ورزق فى العلماء[٢] .

وساعد على التخصص المهنى فى مجتمع القرن الرابع الهجرى وجود طوائف متعددة لمهن مختلفة تقوم بدورها الاقتصادى فى المجتمع فقد كانت كل طائفة من التجار وأصحاب الحرف تتجمع فى مكان واحد وتتسمى به مما أدى الى نشأة نظام الطوائف المهنية . وكان من نتيجة ذلك وجود التدرج المهنى فى الجماعة الواحدة من شيخ الى معلم ومتعلم وصانع وصبى . ولقد وجدت طوائف مهنية كثيرة فى هذا العصر[٣] .

كما ظهر التخصص الدقيق فى مجال المهنة الواحدة كالطب مثلا فقد ذكر ابن القيم الجوزية أنواع الأطباء بقوله « والطبيب فى هذا الحديث يتناول من يطب بوصفه وقوله ، وهو الذى يختص باسم الطبائعى ، وبمروده وهو الكحال ، وبمبضعه ومراهمه وهو الجرائحى ، وبموساه ، وهو الخاتن ، وبريشته وهو الفاصد ، وبمحاجمه ومشرطه وهو الحجام ، وبخلعه ووصله ورباطه وهو المجبر ، وبمكواته وهو الكواء وبقربته وهو الحاقن ، وسواء كان طبه لحيوان بهيم ، أو انسان ، فاسم الطبيب يطلق لغة على هؤلاء كلهم »[٤] .

كما ساعد على التخصص التربوى والمهنى فى هذا العصر أن المسلمين قد احتاجوا بتطور العصر الى من يقوم لهم بواجبات دينهم : كالقراء ، وقوام المساجد

---

(١) عبد العزيز عزت : ابن مسكويه ، فلسفته الاخلاقية ومصادرها ـ القاهرة ـ مطبعة البابى الحلبى ـ ١٩٤٦ م ـ ص ٦٠ .

(٢) آدم متز (مرجع سابق) ـ جـ ١ ـ ص ٢٦٢ .

(٣) ارجع الى ص (٥٩) من الرسالة .

(٤) ابن القيم الجوزية : زاد المعاد ـ القاهرة ـ مكتبة الأزهر ـ الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ ـ ص ١١٠ .

والفقهاء والخطباء ، والقضاة وغيرهم(١) • كما احتاج الحكام والأمراء الى وزراء وعمال وكتاب رسميين ، بل احتاجوا الى خدم في القصور ، وجوار ، وكل هـذا كان يحتاج بتطور الثقافة الى نوع من الاعداد التربوى والاعداد المهنى الذى يؤهل صاحبه للقيام بالعمل الذى يعد له •

وخلاصة ما سبق :

١ ــ ان مجتمع القرن الرابع الهجرى قد بعد عن المجتمع الاسلامى كمـا رأيناه فى الفصل الأول من الرسالة ، فمنذ أواخر القرن الثالث الهجرى ضعف هذا المجتمع وانقسمت الدولة العباسية الى دويلات آل أمرها الى جماعات من متغلبى الأعاجم كالأتراك والفرس والديلم ، وجرد الخليفة العباسى من كل سلطة فعلية وأصبحت الدولة الاسلامية ميدانا للأهوال والمآسى ، وأصبح فى الاسلام خلال هذا العصر ثلاثة خلفاء فى وقت واحد أحدهم فى العراق والثانى فى شمالى أفريقيا والآخر فى أسبانيا ودارت الامارات الصغيرة فى فلك هؤلاء مستوحية فى ولائها مصلحة الأسر الحاكمة وتحول الحكم فى الدولة الاسلامية من حكم له قواعده وأصـوله المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ، ويرتكز على الطاعة من المحكوم للحاكم القائم بشرع الله وعلى المشورة بين الحاكم والمحكوم كما رأينا فى الفصل الأول الى سلطان يقوم على البطش وقوة السلاح والمكر والخديعة •

٢ ــ وكانت الحالة الاقتصادية فى القرن الرابع شبيهة بالحالة السياسية فقد أعقب فقدان الاستقرار السياسى فساد فى الأوضاع الاقتصادية وسوء توزيع للثروة العامة فعكف فريق من الرؤساء والأغنياء ــ كما هى الحال فى عصور الفوضى السياسية ــ على البذخ واللهو ، وحرم أفراد الشعب ــ حتى المفكرون ــ فيه من القوت الضرورى •

وظهر فى هـذا العصر ما يعرف بالضياع الخاصة كما وجـد نظام التقبل أو الضمان رغم فتوى الفقهاء بعدم شرعيته لأنه يؤدى الى ارهاق الفلاحين وظلمهم ، وقد عرف هذا النظام فيما بعد باسم نظام الالتزام ، واتجه حكام هذا العصر الى نظام المصادرات مما أفقد الناس الطمأنينة على أموالهم فشاع دفن الأموال فى الأرض ، والظهور بمظهر الفاقة ــ وبالجملة اختل النظام الاقتصادى لقلة الدخول، فلجأ الحكام الى زيادة الضرائب وانتشرت تبعا لذلك الرشوة والمحسوبية •

---

(١) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ــ مرجع سابق ــ ص ٨٥ •

كما وجدت فى القرن الرابع طوائف متعددة لمهن متعددة مختلفة قامت بدورها الاقتصادى فى المجتمع مما ساعد على التخصص المهنى ، ووجد التدرج المهنى فى الطائفة الواحدة من شيخ الى معلم ومتعلم وصانع وصبى ٠

ولم يكن مجتمع القرن الرابع الهجرى هو صورة المجتمع المثالى المتكافل المسئول عن الفقراء والضعفاء فيه والذى يأمن الناس فيه على أموالهم كما رأينا فى الفصل الأول ٠

٣ — ولقد تعددت الاجناس فى المجتمع ، وأصبح شعب المسلمين يتألف من العرب والفرس والمغاربة والأتراك ، وقد تبعت الطوائف الدينية الطوائف السياسة مدا وجزرا ، فالسنيون تمتعوا بالحرية فى أثناء سطوع نجم الاتراك ، على عكس الشيعيين الذين لحقهم شىء من الطمأنينة فى ظل حكم آل بويه ، وبالطبع قام بين الفريقين تنافس ونزاع خضب أرض المسلمين بالدماء ٠

ومن طبقات المجتمع فى هذا العصر طبقة الرقيق التى قامت بدور هام فى السياسة والحرب ، ولم تكن من الطبقات المتهنة ٠ وثمة طائفة أخرى من طوائف المجتمع كانت تتألف من النصارى واليهود وهم أهل الذمة ، وهؤلاء كانوا يعيشون فى وفاق مع المسلمين ويتمتعون بالتسامح ٠

وعلى الرغم من قيام هذه العصبيات الكثيرة من عرب وفرس وأتراك ومغاربة وأكراد وأن هذا وحده كان كفيلا باتلاف أية أمة الا أن هذه الاجناس جميعا أفادت الأمة الاسلامية خاصة فى ميدان العلوم حين قدم كل جنس من هؤلاء ما لديه من ذخائر وعلوم الى الأمة الاسلامية ٠

وفى هذا العصر انتشر العمران واقتبس العباسيون نظام مجالسهم من الفرس فى كل ما عرف عنهم من فخامة وترف وبذخ ، وانتشرت مجالس الغناء والطرب ٠

وكان للمرأة قسط وافر من الحرية مما دعا الى تدخل بعض النساء فى شئون الحكم ٠

٤ — وكان الأثر الدينى فى سلوك الناس ضعيفا خاصة لدى الحكام وذوى الرياسة حيث انتشر فى قصورهم جو من اللهو والفجور لا يعرفه الاسلام ولا يقره.

أما الدين من حيث هو علم تتناوله المناظرة والجدل ، وتؤلف فيه الكتب والأسفار فقد تعددت الفرق الاسلامية وقامت بينها جميعا مناقشات وردود ومناظرات ومحاورات حوتها مؤلفات هذا العصر ، وتحول الاسلام حينئذ الى

نظريات فلسفية وجدل كلامى فما من فكرة أو قول الا وقد أصبح مركزا تدور حوله مئات الدوائر من الخلاف والجدل المذهبى ٠

٥ — وكان للحياة العلمية والفكرية فى القرن الرابع الهجرى شأن آخر : فازاء الانحطاط السياسى الذى أصاب الأمة الاسلامية فى القرن الرابع كنت تجد رقيا فى الحياة العقلية فكانت الصلة بين الحياة العلمية والحياة السياسية صلة عكسية حيث ارتقت العلوم والفنون على حساب السياسة المنحطة ، ووجدت فى هذا العصر مراكز فكرية كثيرة جذبت اليها رجال العلم والأدب على امتداد رقعة الأمة الاسلامية ٠

وكانت هناك مجموعة من العوامل التى آثرت فى الازدهار الثقافى ، وساعدت عليه اهمها : الحرية الفكرية التى أثارت العقول وأخرجت العديد من الكتب فى مختلف العلوم ، وامتزاج الثقافات الناتج عن تعدد الأجناس فى الدولة الاسلامية والاحتكاك بين الاتجاهات الفكرية والمذاهب المختلفة ، كما ساعدعلى ذلك الانقسام السياسى حيث نتج عن تفكك الدولة العباسية أن عمد أمراء الدول الصغيرة سواء لأسباب سياسية أو بدافع حب الظهور أو الابقاء على تقاليد بغداد خلال مجدها الى تشجيع العلماء وتقريب الفئة الممتازة من الأدباء والشعراء ، والعطف عليهم ، كما كانت اللغة والدين من أسباب الازدهار الفكرى وتطور الحياة العقلية ودفعها الى مزيد من التواصل الفكرى ٠

كما ازدهرت حركة الترجمة والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ، ولم يكن مترجمو العرب مجرد نقلة حملوا تراث الأمم القديمة الى عصرهم ،وانما كانوا أصحاب آراء خاصة وأفكار مستقلة من شأنها أن تدرجهم فى عداد المتفلسفين ٠

وعلى الرغم من نشاط حركة الترجمة كان لأهل السنة بازاء المنطق اليونانى موقف معارض حيث اعتبروا طرق البرهان والأرسطاطالية خطرا على صحة العقائد الايمانية ٠ وفى هذا العصر تعددت الفرق ، الدينية وقامت بينها جميعا صراعاتأدت الى فتن دينية وهذه الفتن ان اختلفت أسبابا فقد اتحدت نتائج ، حيث تضافرت كلها على زعزعة العقيدة فى النفوس وبلبلة الأفكار تجاه المفاهيم الدينية ، حتى امتلأ الجو الاسلامى آنذاك بجدل عنيف دار حول الأصول الرئيسية للعقيدة الدينية وما ينشأ عنها من فروع ٠

وانتشرت فى هذا القرن الدعاوى الدينية المنحرفة فظهر من ادعى الألوهية، أو حلول روح الاله فيه مما دفع السلطة الى التدخل — باسم الجماعة الاسلامية — للقضاء على هذه الدعاوى حفاظا على وحدة المجتمع الاسلامى ٠

كما تميزت الحياة العلمية والفكرية فى هذا العصر بظهور الجماعات العلمية، وكانت كل جماعة تتكون من مجموعة من العلماء تلتف حول أكثرهم علما ويؤلفون وحدة واحدة يكمل بعضها بعضا يتباحثون ويتناقشون فى عديد من المسائل العلمية ، وكان من أشهر هذه الجماعات جماعة اخوان الصفاء وجماعة أبى سليمان المنطقى ، هذا الى جانب الجماعات العلمية فى حوانيت الوراقين ودور العلم وقصور الخلفاء والوزراء .

ونظرا لطبيعة التكوين الاجتماعى والاقتصادى والازدهار الثقافى فى هذا العصر كان لا بد أن يظهر الاتجاه الى التخصص التربوى والمهنى ، حيث تعذر على الطالب أن يتقن الثقافة بجميع فروعها فكان عليه أن يتخصص فى فرع أو أكثر من فروع العلم ، ولذا وجد فى هذا العصر الفقهاء والمنجمون والحسابون والأطباء والمفسرون والمحدثون والمتكلمون والمهندسون والشعراء والنسابون والنحويون العروضيون والفلاسفة .

كما ساعد على التخصص المهنى فى هذا العصر وجود طوائف متعددة لمهن مختلفة تقوم بدورها الاقتصادى فى المجتمع ، كما وجد التدرج المهنى فى الجماعة الواحدة من شيخ الى معلم ومتعلم وصانع وصبى .

كما ساعد على التخصص التربوى والمهنى أن المسلمين فى هذا العصر قد احتاجوا بتطور الحياة الى من يقوم لهم بواجبات دينهم كالقراء وقوام المساجد والفقهاء والخطباء والقضاة وغيرهم . كما احتاج الحكام والأمراء الى وزراء وعمال وكتاب رسميين وخدم للقصور وكل ذلك يحتاج بتطور الثقافة الى نوع من الاعداد التربوى والاعداد المهنى ، الذى يؤهل صاحبه للقيام بالعمل الذى يعد له .

الفصل الثالث

نظام التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى

أهداف التربية الاسلامية

رأينا فى الفصل الأول من الرسالة أن للاسلام نظرة خاصة الى الانسان ، تتسم بالشمول والعمق والاتزان ، وأن هذه النظرة تختلف عن كل تصور للفلسفات والأيديولوجيات الأخرى ، وأن هذه النظرة ترتكز أساسا على العلم ، حيث يريد الاسلام من الانسان أن يتعلم العلم الذى ينفعه فى تحقيق الهدف الذى خلقه الله له ، لذلك « كان الأمر بالقراءة وبالسير فى طريق العلم والمعرفة بأوسع مفهوماتها هما المحور الذى دارت حوله فلسفة التربية الاسلامية »(١) ، وكان العلم « الذى يسعى الاسلام الى أن يتوفر عند الانسان هو العلم الشامل لجميع أنواع المعارف والمهارات والاتجاهات ، والذى ينعكس جليا فى سلوكه فى كل جوانب حياته »(٢) ، وهذا « العلم فى الاسلام لا يتوصل اليه الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم بدون تربية ، ومن ثم كانت التربية من الأهداف الأولى التى سعى اليها الاسلام»(٣)، وكان لهذه التربية أهدافها التى تتفق وذلك التصور الاسلامى للانسان ، والنظرة اليه كشخصية متكاملة ، تلك الأهداف التى تعين الانسان على تحقيق الغاية من خلقه ، والقيام بتبعات الاستخلاف ولذلك « جمعت التربية الاسلامية منذ أول ظهور الاسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل، وتقوية الجسم ، فهى تعنى بالتربية الدينية والخلقية والجسمية دون تضحية بأى نوع منها ، على حساب الآخر »(٤)

---

(١) عبد الغنى النورى ، وعبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية – مرجع سابق – ص ٢٧٧ .

(٢) عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام – المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى – سرس الليان – المنوفية – جمهورية مصر العربية – ١٩٧٧ ، ص ١٩ .

(٣) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود – المرجع الأسبق – ص ٢٧٨ .

(٤) احمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام – مرجع سابق – ص ٩ .

واذا كان التعليم يعد الانسان للحياة ، فان الحياة مختلفة المناحي متعددة الوجهات ولذلك اختلفت أغراض الناس من التعليم ، فصـار لكل أمة من الأمم غرض تمليه عليهـا أحوالها المختلفـة جغرافية كانت أو اجتمـاعية أو سياسية أو دينية ، كما كان لكل عصر من العصور غرضه وأهدافه التربوية ٠ فقد يكون الغرض من التعليم اعداد الفرد لكسب الرزق ، أو ثقافته وتهذيبه ، أو يكون الغرض تعليم العلم لذات العلم ٠٠ أو غير ذلك من الأغراض ، غير أن هذه الأغراض على تعددها متداخلة متشابكة بعضها ببعض ولكن واحدا منها أو أكثر يتغلب فى العادة على سائرها ، ويصبح هو الهدف الظاهر المتميز فيها بحيث تتضاءل الى جواره بقية الأغراض ٠

فان هدف التربية فى الاسلام هو « أن يصير الانسان ـ كل انسان ـ عابدا ذلك هو الهدف الكلى للتعليم والتربية فى الاسلام»(١) ،فالله سبحانه خلق الناس جميعا لعبادته ، وأرسل الرسل اليهم ليأمرهم بعبادته سبحانه وتعالى « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢) ٠

والعبادة شاملة لكل ما يقوم به الانسان من عمل أو فكر أو شعور ما دامت وجهته الى الله تعالى ، وهذه العبادة « منهج حياة يستغرق كل الحياة ، ويشتمل على ما يقوم به العبد من أقوال وأعمال أو أحاسيس أو أى جزء من سلوكه ، وفى اطار هذه النظرة الشمولية للعبادة كان هدف التعليم فى الاسلام اعداد الانسان العابد »(٣) ٠

ويقتضى ذلك أن يتعلم الانسان ما يعينه على عبادة الله سبحانه وتعالى ، فالعلم فى الاسلام مطلوب للعبادة الحقة ، التى يتطابق فيها القول والعمل ، ولذلك ندد الله بمن علموا الناس أمـور دينهم ولم يطبقوها على أنفسـهم ولم تظهر فى سلوكهم : « أتأمرون النـاس بالبر وتنسـون أنفسـكم وأنتم تتلون الـكتاب ، أفلا تعقلون »(٤) ٠

ومن خلال هذا الهدف الكلى للتربية الاسلامية وفى اطاره ، كانت هنـاك أغراض متعددة للتعليم عنى الباحثون فى التربية الاسلامية بالكشف عنها ٠

---

(١) عبد الفتاح جلال : من الاصول التربوية فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ٧٩ ٠

(٢) قرآن كريم : سورة النحل ـ آية : ٣٦ ٠

(٣) عبد الفتاح جلال (المرجع الأسبق) ، ص ٨٢ ٠

(٤) قرآن كريم : سورة البقرة ـ آية ٤٤ ٠

فذكر الدكتــور خليل طوطح(١) أن التعليم عند المســلمين كان يرمى الى أهداف أربعة :

١ — **هدف دينى** : يقصد الى تعليم الناس آداب الشريعة ، والتثقف فى الدين ، أو بمعنى أوضح : تعليم الناس الدين علما وعملا ٠

٢ — **هدف اجتماعى** : يقصد الى الحصول على المكانة الطيبة فى المجتمع ، فالعلم شرف لصاحبه ، يرفع قدره بين الناس ٠

٣ — **هدف عقلى بحت** : يقصد الى التلذذ العقلى ، بدراسة العلم لذات العلم لما فى ذلك من متعة عقلية ، ولذة روحية تفوق غيرها من اللذات ٠

٤ — **هدف مادى أو نفعى** : يقصــد الى كسب الرزق للتعيش ، حيث « لم تهمل التربية الاسلامية اعداد كل فرد لكسب رزقه ، بدراسة بعض المهن والفنون والصناعات »(٢) ٠

٥ — **هدف سياسى أو حزبى** : ويستدل على ذلك بانشاء الفاطميين للأزهر، بقصد نشر المذهب الفاطمى ، ثم الحركة المناهضة لذلك فيما بعد ، على يد صلاح الدين الأيوبى ، بانشائه مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، لتأييد المذهب السنى ، وقد فعل مثــل ذلك الوزير نظام الملك الذى هدف من فتح المــدارس الكبرى الى تأييد المذهب السنى(٣) ٠

وقد اعتمد الباحثون فى استخلاص هذه الأغراض « على ما جاء فى شتى المؤلفات العربية ، مثل تعليم المتعلم للزرنوجى ، وجامع بيان العلم لابن عبد البر

---

(١) خليــل طوطح : التربية عنــد العرب — المطبعة التجارية بالقــدس — ١٩٣٥ م ص ٩٩ — ١٥٠ ٠

وراجع : محمد عبد الرحيم غنيمه : الجامعات الاسلامية الكبرى — تطوان — دار الطباعة المغربية — ١٩٥٣ م ٠ ص ١٣٣ — ١٤١ ٠

(١) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها — الطبعة الثانية — عيسى الحلبى — ١٩٦٩ م ٠ ص ٢٥ ٠

(٣) محمد فوزى العنتيل : التربية عند العرب ، مظاهرها واتجاهاتها — القاهرة — مكتبة مصر — ١٩٦٦ ، ص ١٥ ٠

وخطاب على عطيه : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول — مرجع سابق — ص ٨٥ ٠

واحياء علوم الدين للغزالى ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ، ورسائل اخوان الصفاء »(١) ٠

ومع وضوح هذه الأغراض جميعا فى تربية القرن الرابع الهجرى الا أن الهدف الدينى كان أكثرها وضوحا لدى مفكرى التربية فى هذا العصر ، وان كانت هناك أغراض أخرى عقلية أو اجتماعية أو مادية نفعية ، الا أنها كانت تأتى بعد الغاية الدينية فى الترتيب والأهمية ٠

ظهر ذلك عند القابسى الفقيه المالكى فى قوله « وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها ، ويدربهم عليها ليسكنوا اليها ويألفوها » ٠ « وهم لابد اذا علموهم الصلاة ، أن يعلموهم من القرآن ما يقرءونه فيها »(٢) ٠

كما ظهر عند ابن مسكويه فيلسوف الأخلاق فى حرصه على تربية الصبيان على أدب الشريعة لأن « الشريعة هى التى تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة ، وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الانسانية ٠٠ وعلى الوالدين أخذهم بها »(٣) ٠

كما ظهر عند ابن سينا فى منهجه حيث قال « فاذا اشتدت مفاصل الصبى واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعى سمعه ، أخذ فى تعلم القرآن ٠٠ ولقن معالم الدين »(٤) ٠

كما ظهرت هذه الغاية الدينية واضحة عند المتكلمين، فى دفاعهم عن الدين ضد هجمات أعدائه ، وعند أهل التصوف فى مسلكهم الروحى الداعى الى التزهد وطلب الآخرة بالتفانى فى العبادات ، وعند الفقهاء حيث العلم عندهم يطلب به معرفة الشرع ومعرفة الله سبحانه وهى غاية الغايات ورأس أنواع السعادات ٠

واذا كان الهدف الدينى بارزا فى تربية هذا العصر ، وكان القصد تعليم الناس الدين علما وعملا ٠ فلقد كان هذا الهدف فى ذاته يتضمن أهدافا أخرى

---

(١) أحمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ٩٢ ٠

(٢) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٢٧ أ ، ٢٧ ب ٠

(٣) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق — مرجع سابق — ص ١٢ ٠

(٤) ابن سينا : كتاب السياسة — نشره لويس معلوف — مجلة المشرق — عام ١٩٠٦ — ص ١٠٧٤ ٠

ثانوية كانت نتيجة له ، فالتعليم الدينى يثقف العقول ، ويعلى مكانة صاحبه الاجتماعية ، ويساعد الفرد كذلك على كسب الرزق ، وهو فى نفس الوقت يهذب الأخلاق ، والتربية الخلقية « روح التربية الاسلامية ، والوصول الى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقى من التربية »(١) ، ويلخص البعض « الغرض الأساسى من التربية الاسلامية فى كلمة واحدة هى الفضيلة »(٢) • وهناك اتفاق بين الباحثين فى التربية الاسلامية على أن « هدف هذه التربية هو التربية الخلقية بمعنى تنمية أخلاقيات معينة لدى الانسان ، أى تنمية عادات سليمة تتفق مع الفكرة الاسلامية عن الانسان ليسير عليها فى حياته »(٣) ، ومن ثم يمكن القول بأن التربية الخلقية هى هدف الأهداف فى التربية الاسلامية •

* * *

التربية الخلقية فى القرن الرابع الهجرى

عنيت التربية الاسلامية بتهذيب الخلق ، وقد عكس ذلك منهج التربية لاهتمامه بعلوم الدين ، والدين يحمل فى طياته هذا التهذيب ، ويستطيع الانسان أن يجزم بأن التربية الخلقية هى المحور الذى تدور حوله برامج التعليم ومناهجه فى الاسلام فقد « أجمع فلاسفة الاسلام على أن التربية الخلقية هى روح التربية الاسلامية فالغرض الأول والأسمى من التربية الاسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح »(٤) •

وقد تنبه المسلمون فى القرن الرابع ، الى أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل فى تقويم نشأته ، واكتسابه العادات والصفات اللازمة لرقيه وسعادته ، يظهر ذلك بوضوح فى آراء مفكرى التربية جميعا فى هذا القرن ، سواء عند ابن مسكويه ، وابن سينا ، والقابسى ، وغيرهم •

ونكاد نقف على هذه الحقيقة فى منهج تربية الصبيان فى ذلك العصر ،وذلك لأن « الآثار التى يحملها الانسان معه من الصبا تكون عزيزة عليه ، ويصعب محوها وقيل فى الأمثال : التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر ، حتى اذا شب

---

(١) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢ •

(٢) المرجع السابق ـ ص ٢٣ •

(٣) عبد الغنى النورى ، وعبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ١٦٠ •

(٤) محمد عطيه الابراشى : التربية فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ٩ •

وخرج من الكتاب ونزل الى معترك الحياة ٠٠ اتجه دون شعور الى الناحية التى عرفها فى صباه وتعصب للرأى الذى صحبه مع الحياة »(١) ، ولهذا أوجب المربون ضرورة تربية الصبى على آداب الشريعة فى صباه وأخذه بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها(٢) ، ويرى هؤلاء المربون أن ظهور الحياء فى الطفل دليل على بدء سيره نحو الكمال « فاذا نظرت الى الصبى فوجدته مستحييا مطرقا الى الأرض غير وقاح الوجه ، ولا يحدق اليك ، فهو دليل نجابته ٠٠ وهذه النفس صالحة للعناية ، لا يجب أن تهمل وتترك »(٣) ٠

ولقد اختلفت آراء المربين فى هذا العصر حول طبيعة الطفل ومدى تأثرها بالتوجيه والتعليم ، فذهب البعض الى أن « نفس الصبى ساذجة لم تنقش بصورة ولا لها رأى وعزيمة تميلها من شىء الى شىء ، فاذا نقشت بصورة وقبلتها ، نشأ عليها واعتادها فالأولى بهذه النفس أن تنبه أبدا على حب الكرامة »(٤)،وأن النفس الصبى قابلة لأن تنطبع بما يعرض لها سواء أكان خيرا أم شرا واذا كتب فيها شىء « حقا كان أم باطلا فقد شغل المكان ومنع أن يكتب فيه شىء آخر يصعب حكه ومحوه »(٥) ٠

وذهب البعض الآخر الى أن الصبى يكون فى ابتداء نشوئه على الأكثر « قبيح الأفعال اما كلها واما أكثرها ، فانه يكون كذوبا يخبر ويحكى ما لم يسمعه ولم يره ، ويكون حسودا سروفا نماما لجوجا ذا فضول أضر شىء بنفسه وبكل أمر يلابسه ، ثم لا يزال به التأديب والسنون والتجارب حتى ينتقل فى أحوال بعد أحوال »(٦) ٠

وانا لنجد هذه الآراء ممثلة فى كتابة العلماء فى العصور الحديثة ، على أن اختلاف الآراء بخصوص طبيعة الطفل فى العصور القديمة أو الحديثة لم يؤد الى الاقلال من العناية بتربية الأطفال والاهتمام بالسنوات الأولى من حياة الطفل

---

(١) أحمد فؤاد الأهوانى - مرجع سابق - ص ٨٢ ، ٨٣ ٠

(٢) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - مرجع سابق - ص ١٧ ٠

(٣) المرجع السابق - ص ٢٠ ٠

(٤) المرجع السابق - ص ٢٠ ٠

(٥) رسائل اخوان الصفاء - القاهرة - المطبعة العربية - سنة ١٩٢٨ - ج ٤ - ص ١١٤ ٠

(٦) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠ ٠

بصفة خاصة فقديما قالوا : « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر »(١) ، وحديثا قال أدلر : « ان الطفل يأخذ الطابع الذى يلازمه طول حياته فى السنوات الخمس الأولى »(٢) ٠

وسائل التربية الخلقية فى القرن الرابع :

تعددت وسائل التربية الخلقية فى القرن الرابع الهجرى تعددا يدعو الى الاعجاب ، فكان منها :

أولا ـ الوعظ والتلقين :

ظهر ذلك واضحا فى دعوة المربين الى حفظ الأطفال من الأشعار السخيفة ، وما فيها من ذكر للعشق وأهله « فان ذلك مفسدة للأحداث »(٣) ، وضرورة أن يختار له من الأشعار ما قيل فى فصل الأدب ومدح العلم ، وذم الجهل ، وما حث على بر الوالدين ، واصطناع المعروف(٤) ، ثم تلقين الأطفال ما يجب عليهم تجاه الوالدين وحثهم على فعل الخير ، ونصح القابسى المعلم بقوله « وفهمه ما عليه لوالده فى لين ورفق ، لعله يتذكر أو يخشى ، وحذره من عقوق الوالدين ، فان الرسول عليه السلام عد عقوق الوالدين من الكبائر التى تدخل النار »(٥) ، وقد فاضت مؤلفات القرن الرابع بالحكم والمواعظ والوصايا ٠

ثانيا ـ الاستعانة بميول الطفل الغريزية واستعداداته الفطرية فى تأديبه :

وذلك عن طريق :

(أ) ميل الطفل للمدح والاطراء :

« ويمـدح الصبى بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ، ويكرم عليه »(٦) ، وعلى المعلم دائما « أن يغبطه على احسانه ٠٠ ليعرف وجه الحسـن من القبيح ، فيدرج على اختيار الحسن »(٧) ٠

---

(١) الغزالى : ميزان العمل ـ القاهرة ـ المطبعة العربية ـ ١٣٤٢ هـ ـ ص ٣٨ ٠

(٢) اسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الاسلامية ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٧ م ـ ص ٥١ ٠

(٣) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ ٠

(٤) ابن سينا : كتاب السياسة ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧٤ ٠

(٥) القابسى : مرجع سابق ـ ص ٩٤ ب ٠

(٦) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ ٠

(٧) القابسى : مرجع سابق ـ ص ٥٨ ب ٠

هذا وقد اعتمد المربون فى القرن الرابع على المدح لتكوين عديد من العادات الطيبة لدى الأطفال ، كطاعة الوالدين والمعلمين(١) ، وعدم الأثرة وحب الذات(٢) وضبط الشهوة، خاصة فى الطعام(٣) ٠

(ب) الاستعانة بميل الصبى الفطرى للتقليد :

فنزعة المحاكاة نزعة فطرية فى الطفل لا يمكن الفكاك عنهـا ، وفى الفرد نزوع دائم الى تقليد غيره لذا رأى المربون فى القرن الرابع « أن يكون مع الصبى فى مكتبه صبية من أولاد الجلة حسنة آدابهم مرضية أفعالهم فان الصبى عن الصبى ألقن وهو عنه آخذ ، وبه آنس(٤) ٠

وهكذا أدركت التربية الاسلامية فى الفترة موضع البحث أن التقليد من أقوى وأسرع العوامل فى التربية خصوصا فى مرحلة الطفولة التى يعمد فيهـا الطفل الى تقليد ما يقع تحت حسه لأن ذلك أيسر الطرق لاكتساب التجارب والتعلم بالنسبة له ٠

(ج) الاستعانة بميل الطفل الفطرى الى الاجتماع بغيره من الاطفال :

فيبعث بالصبى الى الكتاب للتعلم حيث يوجد معه صبية آخرون لأن « انفراد الصبى الواحد بالمؤدب أجلب الأشياء لضجرهما » ولأن ذلك « أنفى للسآمة وأبقى للنشاط وأحرص للصبى على التعلم والتخرج ٠٠ ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزيارة ويتكارمون ويتعاوضون الحقوق وكل ذلك من أسـباب المباراة والمباهاة والمسـاجلة والمحاكاة وفى ذلك تهـذيب لأخلاقهم ، وتحريك لهممهم ، وتمرين لعاداتهم »(٥) ٠

وهكـذا أدرك المربون فى القرن الرابع القيمـة التربوية لعمليـة التطبيع الاجتماعى التى يخضع لها الطفل نتيجة حياته فى وسط جماعة مستفيدا بالتفاعل الاجتماعى الذى يحدث بينه وبين غيره من الأطفال فتنمو شخصيته فى هذا الجو الاجتماعى ٠

---

(١) ابن مسكويه - المرجع السابق - ص ٢١ ٠

(٢) المرجع السابق - ص ٢١ ٠

(٣) المرجع السابق - ص ٢١ ٠

(٤) ابن سينا : السياسة - مرجع سابق - ص ١٠٧٤ ٠

(٥) المرجع السابق - ص ١٠٧٤ ٠

(د) الاستعانة بتكوين عادات وميول منذ الصغر :

من ذلك أن « يعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه ، وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم ، وهذه الآداب النافعة للصبيان ، وهى للكبار من الناس أيضا نافعة ، ولكنها للأحداث أنفع لأنها تعودهم محبة الفضائل وينشأون عليها فلا يثقل عليهم تجنب الرذيلة ويسهل عليهم بعد ذلك جمع ما ترسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة »(١) ، ويعود الجلد والصبر وقوة الاحتمال(٢) ، ويعود حب الآخرين والتواضع لهم ومكافأتهم على الجميل بأكثر منه(٣) كما يعود الصدق « فلا يكذب ولا يحلف البتة »(٤) ، ويعود « ايثار غيره على نفسه ، والاقتصار على الشيء المعتدل ، والاقتصاد فى التماسه »(٥) ، ويعود فى صغره أيضا العفة وآداب الطعام والشراب حتى « اذا جلس مع غيره لا يبادر الى الطعام ، ولا يديم النظر الى ألوانه ولا يحدق اليه شديدا ، ويقتصر على ما لديه ، ولا يسرع فى الأكل ، ولا يوالى بين اللقم بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يلطخ يده ولا ثوبه ، ولا يلحظ من يؤاكله ، ولا يتتبع بنظره مواقع يده من الطعام ، ويعود أن يؤثر غيره بما يليه ان كان أفضل ما عنده ، ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه »(٦) ٠

كذلك يعود الصغير أيضا « المشى والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها »(٧) كما يعود « ألا يكشف أطرافه ، ولا يسرع فى المشى ، ولا يرخى يديه بل يضمهما الى صدره ، ولا يربى شعره ، ولا يزين بملابس النساء ، ولا يلبس خاتما الا وقت الحاجة اليه »(٨) ، أما آداب النوم وعاداته فيجب أن «يمنع من النوم الكثير فان هذا يقبحه ، ويغلظ ذهنه ، ويميت خاطره ٠ هذا بالليل فأما بالنهار ، فلا ينبغى أن يتعوده البتة ، ويمنع أيضا من الفراش الوطىء ، وجميع أنواع الترفه ، حتى يصلب بدنه ، ويتعود الخشونة »(٩) ٠

---

(١) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق — مرجع سابق — ص ٢١ ٠

(٢) المرجع السابق — ص ٢١ ٠

(٣) المرجع السابق — ص ٢١ ٠

(٤) المرجع السابق — ص ٢١ ٠

(٥) المرجع السابق — ص ٢١ ٠

(٦) المرجع السابق — ص ٢١ ٠

(٧) المرجع السابق — ص ٢٠ ٠

(٨) المرجع السابق — ص ٢١ ٠

(٩) المرجع السابق — ص ٢١ ٠

ونستطيع أن نقول : ان المربين فى القرن الرابع قد وقفوا على أهم العوامل المؤثرة فى تكوين الأخلاق فاستخدموا الوعظ كما استعانوا بالغرائز والميول الفطرية ولجأوا فى سبيل تحقيق ذلك الى الطرق المباشرة وغير المباشرة ٠

* * *

الفكر التربوى الاسلامى فى القرن الرابع

ليس ممكنا أن تكون هناك تربية اسلامية ، ونظام تعليمى اسلامى له ملامحه وفلسفته وأهدافه ، يعكس أيديولوجية الحياة فى المجتمع الاسلامى دون أن تكون هناك نظرية تربوية اسلامية ، أو فكر تربوى اسلامى ٠

والتربية « نظام اجتماعى ينبع من فلسفة كل أمة ، وهو الذى يطبق هذه الفلسفة أو يبرزها الى الوجود » ، وهذه التربية فى حقيقتها « صدى فى كل أمة لفلسفتها ، وهى المعبرة عن روحها(١) ، ومعنى ذلك أن التربية تشتق أهدافها من فلسفة هذا المجتمع ، ومعناه أيضا أن العلاقة « بين الفلسفة وبين التربيةوثيقة جدا ، حتى ليمكن القول بأنهما مظهران مختلفان لشىء واحد أحدهما يمثل فلسفة الحياة والآخر طريقة تنفيذ تلك الفلسفة فىشئون الانسان »(٢) ، ولهذا اختلفت فلسفة التربية من مجتمع الى مجتمع تبعا لاختلاف فلسفة الحياة فى كل مجتمع بل لقد اختلفت فلسفة التربية فى المجتمع الواحد تبعا لاختلاف ظروف الحياة فى كل عصر من عصور هذا المجتمع ٠

وفى المجتمع الاسلامى مرت التربية فى تطورها حتى نهاية القرن الرابع الهجرى بظروف عديدة تعرضت فيها مقومات الثقافة السائدة فى البلاد الاسلامية لتغيرات كثيرة ، استجابة لحاجات عديدة ، فرضت نفسها على حياة المسلمين فى العصور المختلفة وكانت فلسفة التربية ، والفكر التربوى الاسلامى سريعى الاستجابة لكل تلك التغيرات والتطورات ٠

ففى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم « كان الايمان هو محور الحياة فى المجتمع الاسلامى وكان أيضا محور الفلسفة التى تقوم عليها الحياة فى ذلك

---

(١) أحمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ٧ ٠

(٢) صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية (دراسات فى التربية) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ م ، ص ١٧ ٠

المجتمع »(١) حيث كانت الحاجة فى هذا الوقت تستدعى الاعداد العقائدى للرجال لأن الفكرة الاسلامية كانت جديدة « ومن ثم كانت محتويات المناهج كلها دينية لا تتعدى تعليم آيات القرآن التى يتنزل بها الوحى ، وشرحها وتفسيرها ، وأحاديث الرسول الكريم يقولها فى المناسبات المختلفة » . « وكانت حيأته صلى الله عليه وسلم - الخاصة والعامة - تجسيدا حيا لما يعلمه من آيات القرآن ولما يقوله من أحاديث ومن هنا كان ربط العلم بالعمل فكرة اسلامية أصيلة ، التزم بها الرسول فى تربيته لصحابته ، والتزم بها الصحابة من بعده فى تربيتهم لتلاميذهم قبل أن يقول بها الغرب والشرق بأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان »(٢) ، وكان الفكر التربوى فى هذا العصر موجودا فى آيات القرآن وفى أحاديث الرسول . « والفكر التربوى الموجود فى هذين المصدرين الرئيسيين من مصادر التربية الاسلامية ليس فكرا تربويا خالصا بالمفهوم الحديث للفكر التربوى ، وانما فكر تربوى ممتزج بفكر سياسى واقتصادى واجتماعى وتاريخى وحضارى يشكل كله الاطار العام للأيديولوجيا الاسلامية »(٣) ، ومن هنا « يستمد هذا الفكر التربوى الذى نراه فى الكتاب والسنة قيمته العلمية »(٤) .

وفى عهد الخلفاء الراشدين كان العرب قد ازداد احتكاكهم بغيرهم من الشعوب ذات الحضارات القديمة فى مصر والشام والعراق ، وباتت الحاجة تستدعى دراسة علوم هذه الشعوب كالفلسفة والمنطق وغيرهما وكانت هذه نواة الحركة الفكرية التى آتت ثمارها فى القرن الرابع الهجرى(٥) .

غير أن الفكر التربوى فى هذا العصر كان لا يزال « يتمثل فى الكتاب والسنة » ولم يكن هناك « فكر جديد فى عهد الخلفاء الراشدين سوى بعض الفلسفة اليونانية وقد كانت محدودة وأثرها بسيط »(٦) .

وفى العصر الأموى : اكتمل للدولة الاسلامية كيانها ، وازداد الاحتكاك بين العرب وأبناء البلاد المفتوحة ، كما بدأ التفاعل بين الثقافتين العربية وغير العربية « ومن ثم باتت الحاجة تستدعى أن توضع نواة العلوم كل العلوم »(٧) ، فظهرت

---

(١) عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق - ص ٢٨٠ .

(٣) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٣٠ .

(٤) المرجع السابق - ص ١٢٠ .

(٥) ارجع الى ص ٦٦ - ٧٠ من الرسالة .

(٦) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - المرجع السابق - ص ١٢٢ .

(٧) عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ٢٨١ .

الى جانب الحركة الدينية فى العصر الأموى « حركة فى التاريخ والقصص والسير ونحوها ، وحركة فلسفية فى منطق وكيمياء وطب وما اليها »(١) ومع ذلك فقد « ظل القرآن والحـديث فى هذا العصر هما الاطار الأيديولوجى الذى ينظم ذلك الفكر التربوى المتناثر فى وصايا الخلفاء لمؤدبى أولادهم ، وفى كتابات الكتاب ، دون أن يزاحمهما فكر أجنبى رغم أن هناك محاولات لترجمة هذا الفكر كانت قد بدأت بالفعل ، فى منتصف هذا العصر »(٢) .

وفى القرن الرابع ، وهـو عصر الازدهار الثقافى للأمة الاسـلامية ، حدث اللقاء بين الفكر الاسلامى العربى الأصيل والفكر اليونانى والفارسى والهنـدى الوافد ومنذ تم ذلك اللقاء بدأت مدارس فكرية متعددة تعكس فى البلاد الاسلامية هذا اللقاء منحازة الى هذا الفكر أو ذاك أو عاكسة لونا من ألوان التزاوج بين الفكر الأصيل والفكر الدخيل « وكانت أولى هذه المدارس الفكرية هى جماعة المعتزلة التى ظهرت أول الأمر فى العصر الأموى ثم استمرت فى هذا العصر ، وتشعبت الى عـدد من المدارس ، وآمنت منذ البـداية بالعقل ، وأخذت بالعلم الموسوعى الشامل ، خدمة للدين ، وتدعيما لسلطانه فى النفوس »(٣) .

وثانية هذه المدارس الشهيرة فى القرن الرابع الهجرى هى (جماعة اخوان الصفاء) وقد نشأت هذه الجماعة « فى منتصف القرن الرابع الهجرى »(٤) ، وقد امتاز نشاط هذه الجماعة بالتستر والسرية ، لأن نشاطهم لم يكن فلسفيا علميا فحسب بل كانت له صبغة مذهبية شيعية متطرفة مما جعل الخلافة العباسية تنظر اليهم نظرة ريبة وعداء »(٥) ، وقد ارتمت هذه الجماعة فى أحضان العلوم الأجنبية وألفت مجموعة رسـائل « مقسـومة الى أربعة أقسـام : الرياضية التعليمية ، والجسمانية الطبيعية، والنفسية العقلية ، والناموسية الالهية »(٦) ، كما وضعت

---

(١) أحمد أمين : فجر الاسلام ـ جزء ١ ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٣٥ م ـ ص ١٧٨ .

(٢) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق ـ ص ١٢٥ .

وراجع عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى فى الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ .

(٤) جبور عبد النور : اخوان الصفاء ـ كتاب رقم ٧ من سلسلة (نوابغ الفكر العربى) ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٠ م ـ ص ٥ .

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية واثرها فى الحضارة الاوروبية ـ الطبعة الاولى ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٣ م ـ ص ٣٤ .

(٦) جبور عبد النور : اخوان الصفاء ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ .

دستورا متكاملا للبحث العلمى والفلسفة ، وصفه بعض العلماء ، بأنه «محكم ورائع» و « أنه وليد المنطق الذى اقتبسه العرب عن اليونان »(١) .

وقد انعكست هذه النزعة العقلية الخالصة عند اخوان الصفاء على فكرهم التربوى فقد « نظروا الى التعليم والتربية نظرا عقليا لا عمليا .. وعندهم أن طريق اكتساب المعلومات يكون بثلاث طرق : الأول الحواس الخمس التى يدرك بها الأمور الحاضرة فى الزمان والمكان ، والثانى استماع الأخبار التى ينفرد بها الانسان دون سائر الحيوان يفهم بها الأمور الغائبة عنه بالزمان والمكان جميعا ، والثالث طريق الكتابة والقراءة يفهم بها الانسان معانى الكلمات واللغات والأقاويل بالنظر فيها ، والمعرفة كلها مكتسبة وليست فطرية وأصل المعرفة هى الحواس »(٢) .

وفى هذا العصر نضجت المدرسة الفلسفية وتحدد الاتجاه الفلسفى كوسيلة من وسائل الوصول الى الحقيقة واليقين العقلى ، وقد رأى فلاسفة هذا العصر أن الغاية من الدين والفلسفة متشابهة فكلاهما يرمى الى تحقيق السعادة عن طريق الاعتقاد الحق وعمل الخير ، كما رأى هؤلاء « أن الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية »(٣) .

غير أن المدرسة الفلسفية كانت أقل تأثيرا من مدرسة الفقهاء ومدرسة الصوفية فى العالم الاسلامى ، ولعل ذلك يرجع الى «طبيعة نظرة العالم الاسلامى الى الفلسفة والفلاسفة »(٤) .

ولقد كانت هناك عدة عوامل جعلت المدرسة الفلسفية والفكر الفلسفى غريبا على جمهور المسلمين مما جعلها محدودة التأثير ، من ذلك :

١ — أن أول من نقلوا أصول الفكر الفلسفى الى العالم الاسلامى كانوا فى الغالب من النصارى أو اليهود ، أمثال آل بختيشوع وهم من السريان النساطرة

---

(١) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب — مكتبة مصر — ١٩٦٠ م ، ص ١٨٩ .

(٢) احمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ١٩٤ .

(٣) ابو حيان التوحيدى : الامتـاع والمؤانسة — تحقيق ونشر احمد أمين واحمد الزين — القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ج ٢ — ١٩٤٢ — ص ٥ .

(٤) ابراهيم عبد المجيد اللبان : الفلسفة والمجتمع الاسلامى — القاهرة — مكتبة النهضة ١٩٥٤ — ص ١٧٦ .

وآل حنين وهم من نصارى الحيرة ، وقسطا بن لوقا البعلبكى من نصارى الشام ، وآل ماسرجويه وكان يهوديا • وبالتالى لم يراعوا روح الاسلام فى نقلهم لكتب الفلسفة •

٢ — أن الفلاسفة المسلمين تعصبوا فى الغالب للفكر اليونانى وقدروه أكثر من اللازم(١) •

٣ — أن الفلاسفة اشتغلوا بالبحث فىمسائل الميتافيزيقا أكثر من الاشتغال بالعلم العملى أو التطبيقى ، مخالفين بذلك فلسفة الاسلام العملية التى تهدف الى السيطرة على الحياة وتملكها ، والسلوك الفاضل فيها(٢) •

٤ — أن علماء المسلمين من أهل السنة حاربوا الفلسفة والفلاسفة ورموهم بالكفر والالحاد (٣) •

كما ظهرت المدرسة الصوفية متخذة طريقا آخر للوصول الى الحقيقة غير طريق العقل الذى اعتمد عليه الفلاسفة والذى سلكته مدرسة الاعتزال وقد قامت « على أساس أن الدين نص يفسره العقل وحده ••• ، وغير طريق العقل والنقل الذى اعتمد عليه رجال الدين ، حيث قامت مدرستهم « على أساس أن الدين نصوص تفسرها أسباب النزول »(٤) ، وكان طريق الصوفية هو « طريق القلب بعد أن يصفى من شوائبه ، وطريق النفس بعد أن تتجرد عن لذاتها »(٥) ، وتقديم « المجاهدة بمحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والاقبال بكل الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك فاضت عليه الرحمة ، وانكشف له سر الملكوت ، وظهرت له الحقائق وليس عليه الا الاستعداد بالتصفية المجردة ، واحضار النية مع الارادة الصادقة »(٦) وقد رأت مدرسة الصوفية أنه « لا جدوى من علوم

---

(١) روزنتال : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى — ترجمة انيس فريحة — بيروت — دار الثقافة — ١٩٦١ — ص ١٥٥ ، ١٥٦ •

(٢) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ — ج ١ — ص ٣٥ ، ٣٦ •

(٣) ارجع الى ص ٧٣ من الرسالة •

(٤) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى : الرعاية لحقوق الله — تحقيق عبد القادر احمد عطا — الطبعة الثالثة — مطبعة السعادة — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م — ص ١٠ •

(٥) بهى الدين زيان : مرجع سابق — ص ٣٠ — ٣١ •

(٦) أبو حامد الغزالى : ميزان العمل — القاهرة — شركة الطباعة الفنية المتحدة — بدون تاريخ — ص ٤٠ •

العقل والنقل ، اذا لم تستند الى وجدان روحى يصل الانسان بربه ويلزمه حدود الورع والزهد »(١) ٠

وفى مواجهة النزعة العقلية لمدرسة المعتزلة ، والاتجاه الفلسفى المتأثر بالثقافة الاجنبية وفكرها الوارد ، فى مقابل المدرسة الصوفية بمسلكها الروحى واستغراقها فى العبادات وقفت مدرسة الفقهاء تقدم الدين للناس فى صورة بسيطة بعيدة كل البعد عن الجدل والنظريات الفلسفية الصعبة ، وكان القرآن الكريم والحديث الشريف هما مصدرا العلم الأساسى عند الفقهاء ،وكانت مسائلهما هى المسائل الوحيدة التى تبحث بعيدا عن التطرف العقلى لدى الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة ٠

وليس غريبا أن تكون مدرسة الفقهاء بعيدة التأثير فى العالم الاسلامى حينئذ وذلك لأن أصولها الفكرية وبضاعتها العلمية وجدت فيها العامة والخاصة ما يلائمها ويرضيها بالاضافة الى بساطة العرض لعلم الفقهاء وخلوه من التعقيد والالتواء ، ومواءمته للطبائع البشرية جميعا ، ونظرته المتكاملة للانسان وللحياة الانسانية ٠

« وقد عنى الفقهاء من أهل السنة بالتعليم ليشب العامة على معرفة الدين علما وعملا ، لأن معرفة الدين لا تتم الا بنوع من التعليم » ، ولم يكن من السهل « على المتكلمين ٠٠٠ أن يقوموا بتعليم الصبيان ، ولم يكن جدلهم مما تستسيغه هذه العقول الناشئة ، وطريق المتصوفة وعر يصعب سلوكه على الرجال ، وهو مستحيل على الصبيان ٠ لهذا انتهى تعليم الدين للصبيان على أيدى أهل السنة »(٢) ٠

وفى القرن الرابع الهجرى ظهر الفكر التربوى مستقلا بذاته بعد أن كان ممتزجا من قبل بكتابات الأدباء والفلاسفة والفقهاء ، فألف القابسى الفقيه المالكى القيروانى « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » فى ثلاثة أجزاء(٣) ، ثم ظهر كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،للفيلسوف أبى على

---

(١) أبو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى — مرجع سابق — ص ١٨ ٠

(٢) أحمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ٨١ ٠

(٣) نشرها الدكتور احمد فؤاد الاهوانى فى كتابه « التربية فى الاسلام » — الطبعة الثانية — دار المعارف بمصر — ١٩٧٥ — من ص ٢٢٩ الى ص ٣٠٣ ٠

ابن مسكويه(١) • وقد جاء فى كتابه فصـــل عن تأديب الأحداث (٢) ، والكلام فى هذا الفصل ينصب على تأديب الصبيان واكسابهم العادات الحميدة ، كما ظهر كتاب السياسة لابن سينا(٣) ، وآراؤه فى هذا الكتاب « تدل على حرية شديدة فى التفكير » وهو « ينظر الى البيئة الاسلامية ، ويتحـرى الأساليب الملائمة فى التعليم والتهذيب بما يتفق مع العقل السليم »(٤) ، وفيه نادى ابن سينا بضرورة « مسايرة ميول الصبى ثم توجيه الصبى الى الصناعة أو المهنة التى تتفق مع ميوله »(٥) ، كما رأى « أن يكون التعليم ، جمعيا فى المكتب لا فرديا على مؤدب خاص ، وكانت عادة الأغنيــاء والأشراف ، اتخـاذ المـؤدبين لأولادهم »(٦) كما سنبين فيما بعد •

على أن الفكر التربوى فى القرن الرابع رغم استقلاله كان « يتكامل فى كتابات الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين أكثر مما يتكامل فى كتابات رجال التربية الاسلاميين ، وذلك لأن الفكر التربوى عند أولئك الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين فكر متصل بفكر أكبر يدور حول الفرد المسلم والمجتمع المسلم ، ثم يأتى الفكر التربوى فى النهاية ليكون فى خدمة الفرد والمجتمع ولا يأتى مبتورا منقطعا عنهما »(٧) ، وذلك لأن هذا الفكر التربوى كان ينظر الى الفرد كوحدة وككيان مستقل قائم بذاته له تركيبته الخاصة التى لا بد أن تراعى فى كل فكر تربوى سليم وينظر اليه « كجزء من مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به ويحقق فى حياته ما يريده من حرية فى اطار معقول من النظام »(٨) •

وليس غريبا أن تنعكس هذه النظرة الشمولية للانسان على نظام التربية الاسلامية فى القرن الرابع فى مراحله ومناهجه ووسائله ومؤسساته كما سنرى •

---

(١) أبو على احمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق — مصر — المطبعة الخيرية — سنة ١٣٢٢ هـ •

(٢) المرجع السابق — ص ٢٠ وما بعدها •

(٣) ابن سينا : كتاب السياسة — نشرة لويس معلوف فى « مجلة الشرق » عام ١٩٠٦ م •

(٤) احمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام — مرجع سابق — ص ٢٠١ •

(٥) المرجع السابق — ص ٢٠٣ •

(٦) المرجع السابق — ص ٢٠٣ •

(٧) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ١٣٣ •

(٨) المرجع السابق — ص ١٣٣ •

مراحل التعليم ومناهجه فى القرن الرابع الهجرى

ليس من السهل على الباحث اذا أراد أن يحدد السلم التعليمى فى القرن الرابع الهجرى أن يضع فواصل محددة بين مراحل التعليم المختلفة ، أو أن يحدد مواد الدراسة التى كانت تدرس فى كل مرحلة تعليمية ، وذلك لأن التعليم فىهذه الفترة الزمنية من تاريخ الأمة الاسلامية ، كان يتميز بالمرونة والحرية ، « فليس هناك مرحلة للتعليم الأولى أو الابتدائى ، ومرحلة للثانوى ، وهكذا ، وانما كانت هناك مرحلة واحدة تبتدىء بالكتاب أو بالمعلمين الخاصين ، وتنتهى بأن تكون له حلقة فى المسجد ، ومن المتعلمين من كانت تتيح له ظروفه أن يتم هذه المرحلة من أولها الى نهايتها ومنهم من كان يكتفى بمرحلة الكتاب فيتعلم القراءة والكتابة ويحفظ ما تيسر له حفظه من القرآن الكريم ويحسن أمور دينه ، ثم ينصرف الى حرفة أو تجارة »(١) .

« كما لم يكن هناك منهج خاص تسير عليه الأمة فيكون الكتاب أحيانا مقتصرا فيه على القراءة والكتابة وتعليم القرآن ، ونرى المعلمين فى الكتاتيب أحيانا يعلمون اللغة والنحو والعروض ، وكل شيخ له طريقته ... وفى المسجد الكبير حلقات من الدروس مختلفة الألوان ... ، والمتعلم حر أن يذهب الى أية حلقة ، والى أى شيخ ، فاذا أتم علم الشيخ انتقل الى علم أو شيخ آخر »(٢) .

ولم تكن هناك أيضا درجات علمية يمنحها من أتم دراسته بعد امتحان ، انما كان الامتحان امتحان الرأى المحيط به من علماء ومتعلمين « فمن آنس فى نفسه الكفاية على أن يجلس مجلس العلم جلس وتعرض لجدال العلماء ومناقشتهم . وكان فى هذا ما يكفى لحماية العلماء من المتطفلين والجاهلين »(٣) .

ولم يكن هناك الزام من قبل الدولة بقدر ما كانت الرغبة فى التعليم نابعة من الأفراد أنفسهم ، فالتربية فى الاسلام « مسئولية فردية ، بمعنى أن كل فرد

---

(١) احمد امين : ضحى الاسلام - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٦٦ .

(٢) عبد الله حسين : التعليم العربى والجامعى - مطبعة التوفيق بمصر - بدون تاريخ - ص ١٧١ - ١٧٥ .

(٣) المرجع السابق - ص ١٧٥ .

مسئول عن أن ينمى نفسه (أى يربيها) بنفسه »[١] ، وولى الأمر مسئول مسئولية دينية عن تربية ولده حتى يبلغ رشده « فالذى يعلم ولده فيحسن تعليمه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه فقد عمل فى ولده عملا حسنا »[٢] .

كما لم تكن هناك « قواعد موضوعة للانتظام فى الدراسة بل كان أساس ذلك رغبة الطالب نفسه ، واستعداده الخاص ، وظروفه »[٣] .

وقد كان العلماء يقصدون المساجد ليعلموا الطلاب « دون انتظار من يحثهم على ذلك وظل الطلاب يلتفون حولهم ويأخذون عنهم من غير أن تتدخل الحكومة فى ذلك ، فقد كان هذا العمل غير داخل فى دائرة سلطاتها »[٤] ، فمادام المعلم غير معين منها ، ومادام لا يتقاضى من الدولة على عمله أجرا ، فقد ترك له أن يدرس متى شاء ما شاء من العلوم .

غير أنه بدأ تدخل الحكومة فى التعليم عندما شيدت معاهدتعليمية عينت لها المدرسين ونظمت لهم الأجور ، وقد اتضح تدخل الحكومة فى مؤسسات التعليم التى أنشأها الفاطميون اذ عينوا اتجاها دينيا خاصا ، وهو المذهب الشيعى ليكون موضوع الدراسة ورتبوا له أساتذة بالجوامع المختلفة ، كما حدث فى عهد العزيز الفاطمى فقد عين أساتذة بالجامع الأزهر ، وأجرى عليهم الأرزاق ، ولم يكن داعى الدعاة ونقباؤه ونوابه الا أساتذة رسميين عينتهم الدولة لتعليم المذهب الفاطمى فى المساجد[٥] .

ومع ذلك فمن الممكن تمييز مراحل تعليمية فى النظام التعليمى المعروف آنذاك .

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ١٠٤ .

(٢) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٢٥ ب .

(٣) خطاب على عطيه : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول — مرجع سابق — ص ١٤١ .

(٤) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية — الطبعة الثالثة — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٦ م — ص ٢١٣ .

(٥) راجع القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس احمد بن على) : صبح الأعشى ، فى صناعة الانشا — المطبعة الاميرية بالقاهرة — ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م — جـ ١١ — ص ٢٢٧ .

وسوف أتعرض لمرحلة (سنى المهد) منذ ميلاد الطفل حتى نهاية الثانيــة من عمره كمرحلة تربوية هامة ، لأن حديث فلاسفة التربية الاسلامية فى القرن الرابع عن هذه المرحلة كان يهدف الى أغراض تربوية ذات قيمة كبيرة ، ثم أتناول مرحلة الروضة من سن الثالثة حتى الخامسة ، ثم أتعرض لمرحلة التعليم الأولى أو (مرحلة الكتاب) من سن السادسة حتى الرابعة عشرة وهى بدء التعليم المنظم للصبى ، ثم أتناول مرحلة التعليم العالى أو (تعليم الكبار) بما فى ذلك التعليم المتخصص ، بعد أن يكون الطالب قد تلقى التعليم الأولى فى الكتاتيب ، وظهرت ميوله واتجاهاته فى ميادين مختلفة ٠

* * *

(١) مرحلة سنى المهد (من الميلاد الى نهاية الثانية) :

وهى مرحلة تربوية هامة فيها ينتقل الطفل « من بيئة جسم أمه الى بيئة العالم الخارجى ٠٠٠ كامل التكوين من الناحية الجسمية ، بمعنى أن أجهزة جسمه كاملة النمو وعلى استعداد للعمل »(١) ٠

ولقد حرص الاسلام على العناية بالأطفال منذ ميلادهم ٠ بل لقد شملت عنايته مرحلة ما قبل الميلاد حين دعا الى اختيار الزوجة الصالحة لتكون أما صالحة توفر المناخ الطيب والبيئة الملائمة لتربية الطفل وأيضا برعايته والعناية بصحته الجسمية والنفسية(٢) ٠

ومرحلة الطفولة تمثل جانبا كبيرا من اهتمام مفكرى التربية فى كل عصر وذلك لأن الاهتمام بها يعتبر « من أهم المعايير التى يقاس بها المجتمع وتطوره »

---

(١) احمد زكى صالح : علم النفس التربوى ـ الطبعة التاسعة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ م ـ ص ١٠٩ ٠

(٢) انظر فى عناية الاسلام بالطفولة :

ـ القرآن الكريم : سورة البقرة الآيات (٨٣ ـ ١٧٧ ـ ٢١٥ ـ ٢٣٣) وســورة النساء آية (٨) وسورة الكهف آية (٤٦) وسورة لقمان آية (١٣) ٠

ـ السيوطى : الاحتفال بالأطفال ـ مخطوط ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧٣٢٧٣ ب ، ص ٢ وما بعدها ٠

ـ زكريا احمد البرى : احكام الأولاد فى الاسلام ـ القاهرة ـ الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٨٤ هـ ٠

و « هو فى الواقع اهتمام بمستقبل الأمة كلها ، كما أن اعداد الأطفال وتربيتهم ، هو اعداد لمواجهة التحديات الحضارية ، التى تفرضها حتمية التطور »(١) ، كما أن القوى التربوية المختلفة تؤثر فى شخصية الطفل فى هذه المرحلة ، أكثر من تأثيرها فى كل مراحل نموه الأخرى ، فنفوس الأطفال فى هذه المرحلة ـ كما يرى رجال التربية فى القرن الرابع الهجرى ـ « ساذجة لم تنتقش بصورة »(٢) ، و « ليس لهم عزيمة تصرفهم عما يؤمرون به من المذاهب الجميلة والأفعال الحميدة ، فمن عود ابنه الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة فى الصغر ، حاز بذلك الفضيلة ونال المحبة والكرامة ، وبلغ غاية السعادة »(٣) ، ولهذا حرصت التربية الاسلامية على « أن يؤدب الأطفال ويعودوا الأشياء الجميلة » ، وعلى « تربيتهم تربية فاضلة ، ليكونوا ان قبلت طبائعهم منفعة التأديب والتعاهد ، صاروا أخيارا فضلاء »(٤) .

واذا كان علماء النفس فى عصرنا الحديث يهدفون فى مرحلة المهد الى تحقيق غايات للطفل أهمها « أن يأكل وينام مستريحا وأن يفرز افرازا طبيعيا »(٥) ، ويرون أنه فى هذه المرحلة « يحتاج الى الرضى النفسى والهدوء الانفعالى بجانب الوضع الجسمى المريح ودفء صدر الأم والرضاعة من ثديها وذلك من خلال عملية التغذية فى الرضاعة »(٦) فاننا لانرى فى توجيهات رجال التربية فىالقرن الرابع خروجا على هذه الغايات فالطفل عندهم موضع رعاية منذ لحظة ميلاده الأولى فعقب الولادة مباشرة « يجب أن يبدأ أول شىء بقطع سرته فوق أربع أصابع وتربط بصوف نقى قتلا لطيفا كى لا يؤلم »(٧) لتبدأ بذلك أخطر عمليات التكيف التى يواجهها الطفل عقب الولادة مباشرة ، فيعتمد على نفسه فى استخلاص الدم

---

(١) حامد عبد العزيز : دراسات فى سيكلوجية النمو ـ الطبعة الثالثة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٤ ـ ص ١٣ .

(٢) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ .

(٣) أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن أبى خالد ، المعروف بابن الجزار (المتوفى ٣٦٩ هـ بالقيروان) : سياسة الصبيان وتدبيرهم ـ مخطوط نشر بحوليات الجامعة التونسية (مجلة للبحث العلمى تصدرها الجامعة التونسية) ـ تحقيق فرحات الدشراوى ـ العدد الثالث ـ ١٩٦٦ ـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ـ ص ٣١ .

(٤) المرجع السابق ـ ص ٣٣ .

(٥) أحمد زكى صالح ـ مرجع سابق ـ ص ١١٠ .

(٦) حامد عبد العزيز الفقى : دراسات فى سيكلوجية النمو ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٣ .

(٧) ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن على المتوفى ٤٢٨ هـ) : القانون فى الطب ـ طبعة جديدة بالأوفست من طبعة بولاق ١٢٩٤ هـ ـ مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ـ ج ١ ـ ص ١٥٠ .

من الغذاء المقدم اليه بعد أن كان الحبل السرى يمده بما يحتاجه من غذاء ثم بعد ذلك « نغسله بماء فاتر وننقى منخريه دائما بأصابع مقلمة الأظافر ، ونقطر فى عينيه شيئا من الزيت ، ويدغدغ دبره بالخنصر لينفتح ، ويتوقى أن يصيبه برد »(١) ثم « تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق فتعرض ما يستعرض ، وتدق ما يستدق وتشكل كل عضو على أحسن شكله - كل ذلك بغمز لطيف بأطراف الأصابع ، ويتوالى ذلك معاودات متوالية وتديم مسح عينيه بشئ كالحرير ، وغمز مثانته ليسهل انفصال البول عنها ثم ··· تعمه أو تقلنسه بقلنسوة مهندمة على رأسه »(٢) وتستمر هذه العناية باستمرار نموه ليناسق الطفل بين وظائفه الفسيولوجية وتشمل العناية نوم الطفل وغذاءه وفطامه وحركته وتسنينه ، كل ذلك فى دقة بالغة وبشروط ينبغى توافرها ·

ففى نوم الطفل : حيث يميل الطفل حديث الميلاد « الى النوم ميلا شديدا ... لأنه ينمو أثناء نومه »(٣) رأى فلاسفة التربية فى القرن الرابع ، ضرورة أن ينام الطفل « فى بيت معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار ، ويجب أن يكون البيت الى الظل والظلمة ما هو ، لا يسطع فيه شعاع غالب ، ويجب أن يكون رأسه فى مرقده أعلى من سائر جسده ويحذر أن يلوى مرقده شيئا من عنقه وأطرافه وصلبه »(٤) ·

وفى احمامه ونظافته : « يجب أن يكون احمامه بالماء المعتدل صيفا وبالمائل الى الحرارة الغير لاذعة شتاء وأصلح وقت يغسل ويستحم به هو بعد نومه الأطول وقد يجوز أن يغسل فى اليوم مرتين أو ثلاثة وأن ينقل بالتدريج الى ما هو أقرب الى الفتور ان كان الوقت صيفا وأما فى الشتاء فلا يفارقن به الماء المعتدل الحرارة وانما يحمم مقدار ما يسخن بدنه ويحم ثم يخرج ويصان سماخه عن سيوق الماء اليه ، ويجب أن يكون أخذه وقت الغسل على هذه الصفة وهو أن يؤخذ باليد اليمنى على الذراع الأيسر ، معتمدا على صدره دون بطنه ، ويجتهد وقت الغسل أن تمس راحتاه ظهره وقدمه ورأسه بلطف وبرفق ثم ننشفه بخرقة ناعمة وتمشى بالرفق وتضجعه أولا على بطنه ثم على ظهره ولايزال مع ذلك يمسح ويغمز ويشكل ، ثم يرد فيعصب فى خرقة »(٥) ·

---

(١) المرجع السابق - ج ١ - ص ١٥٠ ·

(٢) المرجع السابق - ج ١ - ص ١٥٠ ، ١٥١ ·

(٣) احمد زكى صالح : علم النفس التربوى - مرجع سابق - ص ١١١ ·

(٤) ابن سينا - القانون فى الطب - المرجع الأسبق - ج ١ - ص ١٥١ ·

(٥) المرجع السابق - ص ١٥١ ·

وفي ارضاعه : يؤكد فلاسفة التربية على أهمية لبن الأم ، ويرون ضرورة « أن يرضع بلبن أمه فانه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو فى الرحم أعنى طمث أمه فانه بعينه هو المستحيل لبنا وهو أقبل لذلك وآلف له حتى أنه قد صح بالتجربة أن القامه حلمة أمه عظيم النفع جدا فى دفع ما يؤذيه »(١) ٠

وفى كيفية الارضاع وتنظيمه يجب « أن يكتفى بارضاعه فى اليوم مرتين أو ثلاثا ولا يبدأ فى أول الأمر فى ارضارعه بارضاع كثير ، ٠٠٠٠ والأجود أن يلعق عسلا ثم يرضع ويجب أن يحلب من اللبن الذى يرضع منه الصبى فى أول النهار حلبتان أو ثلاثة ، ثم يلقم الحلمة »(٢) ٠

واذا كانت أول مشاعر الطفل نحو أمه تتكون « عن طريق اطعامها له وعنايتها به وعن نفس هذا الطريق يكتسب معرفته بها كشخص حيث أنه يتعلم أن يعرف أمه عن طريق صدرها وتظل حياة الطفل الانفعالية مرتبطة بما يصدر عن أمه ٠٠٠ حتى يتم السنة الأولى»(٣) فقد حرص المربون لأجل ذلك على أن تكون الأم فى حالة نفسية طيبة حين قيامها بعملية الارضاع واستحبوا أن تكون من ترضعه أول الأمر « غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه »(٤) ، كما حرصوا على اشـاعة الجو النفسى الملائم لذلك فقالوا ان « من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضا لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف والآخر الموسيقى والتلحين ، الذى جرت به العادة لتنويم الاطفال وبمقدار قبوله لذلك يوقف على تهيئته للرياضة والموسيقى أحدهما ببدنه والآخر بنفسه »(٥)٠ فان لم تتمكن الأم من ارضاع وليدها ومنعها من ذلك « مانع من ضعف أو فساد لبنها أو ميله الى الرقة ، فينبغى أن يختار له مرضـعة على الشرائط التى نصفها بعضها فى سنها وبعضها فى سحنتها وبعضها فى أخلاقها وبعضها فى هيئة ثديها وبعضها فى كيفية لبنها وبعضها فى مقدار مدة ما بينها وبين وضعها ، وبعضها من جنس مولودها »(٦) ٠

---

(١) المرجع السابق — ج ١ ، ص ١٥١ ٠

(٢) المرجع السابق — ج ١ ، ص ١٥١ ٠

(٣) احمد زكى صالح : علم النفس التربوى — مرجع سابق — ص ١٢٤ ٠

(٤) ابن سينا : القانون فى الطب — مرجع سابق — ج ١ — ص ١٥١ ٠

(٥) المرجع السابق — ج ١ ، ص ١٥١ ٠

(٦) المرجع السابق : نفس الصفحة ٠

الشروط الواجب توافرها فى المرضعة :

١ ـ **السن :** «ان الأحسن أن يكون ما بين خمس وعشرين سنة الى خمس وثلاثين سنة فان هذا هو سن الشباب وسن الصحة والكمال »[١] ٠

٢ ـ **السحنة والهيئة :** يجب « أن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعته عضلانية صلبة اللحم متوسطة فى السمن والهزال لحمانية لاشحمائية»[٢] وأما هيئة ثديها ، « فانه يجب أن يـكون ثديها مكتنزا عظيما ، وليس مع عظمه بمسترخ ، ولا ينبغى أيضا أن يكون فاحش العظم ويجب أن يكون معتدلا فى الصلابة واللين »[٣] ٠

٣ ـ **أخلاق المرضعة :** يجب فى المرضعة أن « تكون حسنة الأخلاق محمودتها بطيئة عن الانفعالات النفسانية الردية ، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك ، فان جميع ذلك يفسد المزاج وربما أعدى بالرضاع ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئظار المجنونة ، على أن سوء خلقها أيضا مما يسلك بها سوء العناية بتعهد الصبى واقلال مداراته »[٤] ٠

٤ ـ **صفة اللبن :** أما عن صفة اللبن وكيفية التعرف على مدى جودته فلفلاسفة التربية فى القرن الرابع فى ذلك حديث طويل : من ذلك أن يكون قوامه معتدلا ومقداره معتدلا ولونه الى البياض ٠٠٠ ورائحته طيبة لا لونة فيه ولا عفونة وطعمه الى الحلاوة ولا مرارة فيه ولا ملوحة ولا حموضة والى الكثرة ما هو وأجزاؤه متشابهه ، فهيئته لا يكون رقيقا سيالا ولا غليظا جدا جبنيا ولا مختلف الأجزاء ولا كثير الرغوة ٠٠٠ فان اللبن المحمود ، هو المتعادل الجبنية والمائية »[٥] ٠ ولقد وصفوا طرقا متعددة للكشف عن جودة اللبن وكذلك وصفوا العلاج لمن لم يتوفر فى لبنها شرط الجودة[٦] ٠

٥ ـ **مدة المرضع :** « يجب أن تكون ولادتها قريبة ، لا ذلك القرب جدا، بل ما بينها وبينه شهر ونصف أو شهران وأن تكون ولادتها لذكر وأن يكون وضعها

---

(١) ابن سينا : القانون فى الطب ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٥١ ٠

(٢) المرجع السابق : ج ١ ـ ص ١٥١ ٠

(٣) المرجع السابق : ج ١ ـ ص ١٥٢ ٠

(٤) المرجع السابق : ج ١ ـ ص ١٥٢ ٠

(٥) المرجع السابق : ج ١ ـ ص ١٥٢ ٠

(٦) المرجع السابق : ج ١ ـ ص ١٥٢ ٠

لمدة طبيعية وأن لا تكون أسقطت ، ولا كانت معتادة الاسقاط »(١) ، على أنه من الأفضل طوال مدة الارضاع أن « لا تجامع البتة فان ذلك يحرك منها دم الطمث فيفسد رائحة اللبن وقيل مقداره بل ربما حبلت وكان من ذلك ضرر عظيم على الولدين جميعا ، أما المرتضع فلا نصراف اللطيف من اللبن الى غذاء الجبن ، وأما الجبن فلقلة ما يأتيه من الغذاء ، لاحتياج الآخر الى اللبن »(٢) ٠

٦ ـ **كيفية الارضاع** : « يجب في كل ارضاعة وخصوصا في الارضاع الأول أن يحلب شيء من اللبن ويسيل وأن يعان بالغمز لئلا تضطره شدة المص الى ايلام آلات الحلق والمرىء فيجف به وان ألعق قبل الارضاع كل مرة ملعقة من عسل فهو نافع وان مزج بقليل شراب كان صوابا ، ولا ينبغي أن يرضع اللبن الكثير دفعة واحدة ٠ بل الأصوب أن يرضع قليلا قليلا منه ٠٠ فان ارضاعه الشبع دفعة واحدة ربما ولد تمددا وأنفخة وكثرة رياح وبياض بول ، فان عرض ذلك فيجب أن لا يرضع ويجوع شديدا أو يشتغل بنومه الى أن ينهضم ذلك ، وأكثر ما يرضع في الأيام الأول هو في اليوم ثلاث مرات ٠٠٠ وكذلك اذا عرض للمرضعة مزاج رديءأو علة مؤلمة أو اسهال كثير أو احتباس مؤثر ، فالأولى أن يتولى ارضاعه غيرها الى أن تستقل ، وكذلك اذا أحوجت الضرورة الى سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة »(٣) حتى اذا شبع الطفل و « نام عقب الرضاع ، لم يعنف عليه بتحريك شديد للمهد يخضخض اللبن في معدته بل يرجح برفق»(٤).

فطام الطفل : يرى المربون أن « المدة الطبيعية للرضاع سنتان ، واذا اشتهى الطفل غير اللبن أعطى بتدريج ولم يشدد عليه ، ثم اذا جعلت ثناياه تظهر نقل الى الغذاء الذى هو أقوى بالتدريج من غير أن يعطى شيئا صلب المضغ ، وأول ذلك خبز تمضغه المرضع ثم خبز بماء وعسل أو بشراب أو بلبن ويسقى عند ذلك قليل ماء وفي الأحيان مع يسير شراب ممزوج به » ، « فان عرض له كظة وانتفاخ بطن وبياض بول ، منعته كل شيء »(٥) فاذا تم فطامه « نقل الى ما هو من جنس الاحساء واللحوم الخفيفة ويجب أن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة »(٦) ٠ وهذا أمر هام في الصحة العقلية للطفل في هذه السن حيث أن هذا التدرج في الفطام « لا يفيد فقط من الناحية الجسمية بل انه هام جدا للصحة النفسية للطفل وذلك لأن الفطام المفاجيء يمثل عملية حرمان قاسية لايزال الرضيع أصغر من

---

(١) المرجع السابق : جـ ١ ـ ص ١٥٣ ٠

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ـ ص ١٥٣ ٠

(٣) المرجع السابق : جـ ١ ـ ص ١٥٣ ٠

(٤) المرجع السابق : جـ ١ ـ ص ١٥٣ ٠

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة ٠

(٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة ٠

أن يتحملها كما أن الفطام المفاجيء قد يكون عند الطفل بعض الميول العدوانية ، ازاء العالم الخارجي الذي يعتبر مسئولا في نظره عن حرمانه من صدر أمه »(١) .

النمو الحركي : اذا حرص علماء النفس المحدثون على توجيه الآباء والأمهات « أن لا يسرعوا بتعليم الطفل المشي في وقت مبكر ولكن تيسير الامكانيات اللازمة حتى تتضح تماما العمليات التمهيدية لعملية المشي »(٢) فان ذلك ما تنبه اليه رجال التربية في القرن الرابع الهجري حين قالوا : « اذا أخذ (الطفل) ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن من الحركات العنيفة ولا يجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه اليه بالطبع فيصيب ساقه وصلبه آفة ، والواجب في أول ما يقصد ويزحف على الأرض أن يجعل مقعده على قطع أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض وينحى عن وجهه الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع ، ويحمى عن التزلق من مكان عالي »(٣) .

وبظهور الأسنان عند الطفل « يحدث تغير في استجابات الطفل الانفعالية ، اذ قد يمعن في الهضم » لذا « يجب أن يعطى الطفل ما يتيح له اشباع ميله للقضم »(٤) وعلى الآباء والأمهات أن « يمنعوا كل صلب المضغ لئلا تتخلل المادة التي منها تتخلق الأنياب بالمضغ ، الذي يولع به حينئذ »(٥) .

وهكذا نرى التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري تولي هذه المرحله عناية فائقة لا تختلف كثيرا عن عناية التربية الحديثة بها ان لم تفقها في بعض الأمور ، فتهتم بصحة الطفل الجسمية باشباع حاجاته من الطعام والعناية بنظافته ونومه ومشيه كما تهتم بصحته النفسية فتحرص على اعتدال مزاج الأم قبل الرضاعة وعلى اشتراط الأخلاق الحسنة في المرضعة ، حتى لا ينتقل سوء المزاج ورديء الأخلاق الى الطفل عن طريق الرضاعة . كما حرصت على التدرج في عملية الفطام حرصا على صحة الوليد النفسية والجسمية وحرصت أيضا على اشاعة الجو الهادىء الملائم لنوم الطفل من تحريك لطيف ، وموسيقى باعثة على الراحة - كل ذلك لينمو الطفل نموا طبيعيا .

ولعلنا بعد ذلك نستطيع القول ان التربية الاسلامية في القرن الرابع قد تناولت بتوجيهاتها كل ما يمس حياة الطفل في مرحلة المهد من الناحيتين الجسمية والنفسية .

---

(١) احمد زكي صالح : علم النفس التربوي - مرجع سابق - ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) المرجع السابق - ص ١٤٣ .

(٣) ابن سينا : القانون في الطب - مرجع سابق - ج ١ - ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ... .

(٥) المرجع السابق ، ص ... .

(٢) مرحلة الروضة (من ٣ ـ ٥) :

مرحلة الطفولة المبكرة ذات قيمة كبيرة فى حياة رجل المستقبل ، نظرا لأن الأطفال فى هذه السن يبدءون « فى اكتساب التوافق الصحيح مع البيئة الخارجية كما أنهم يتلقون أول دروس التقاليد والعرف ، كما يشرعون فى تكوين العادات الانفعالية نحو الآخرين ، كما أن خطوط الصحة النفسية للأطفال يجب أن توضح وتقرر فى هذه السن » (١) ، وهكذا تكون قيمة هذه المرحلة من الناحية التربوية كبيرة ·

وقد أدرك مفكرو القرن الرابع الهجرى القيمة التربوية لهذه المرحلة ، وهى تبـدأ عندهم من سن الثالثة تقريبا ، وتنتهى عندما « تشتد مفاصـل الصبى ، ويستوى لسانه ويتهيأ للتلقين ، ويعى سمعه » (٢) ، حتى « اذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤدب والمعلم » (٣) ·

ونستطيع القول أن التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى كانت تهدف الى تحقيق طفولة سعيدة ، وذلك بتوفير العناية الكاملة للطفل ·

وحيث أن فلاسفه التربية فى هذا العصر أدركوا أن « نفس الصبى لا تولد على صورة محددة معينة وانما هى قابلة للفضيلة والرذيلة فى آن واحد والذى صور لها أحد هذين الاتجاهين ، هو الظروف الخارجية ، وحسب ما تروض عليه من العادات فالنفس كالشمع تتشكل حسب ما يوضع لها من أساليب المعـاملات والتهذيب »(٤) ؛ لذا وجهوا اهتمامهم الى أخلاق الأطفال فى هذه المرحلة ·

والاسـلام يعنى دائما « ببذر بذور الأخلاق فى نفس الطفل وهو وليد لأن ذلك أحرى أن يجعلها مكينة الأساس قوية البنيان ، ثم يـكل اليهـا بعد ذلك التنظيم الحقيقى لنشاط الفرد فى المجتمع » (٥) ، ونفس الصبى اذا كتب فيها

---

(١) احمد زكى صالح : علم النفس التربوى ــ مرجع سابق ــ ١٢٩ ·

(٢) ابن سينا : السياسة ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٧٤ ·

(٣) ابن سينا : القانون ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ١٥٠ ·

(٤) عبد العزيز عزت : مرجع سابق ــ ص ٢٧٨ ·

(٥) محمد قطب (مرجع سابق) ، ص ١٠٨ ·

شيء حقـا كان أم باطلا « فقد شغل المكان ومنع أن يكتب فيه شيء آخر ، ويصعب حكه ومحوه »(١) ، فوجب لذلك أن توجه عناية مقصودة لخلق الظروف المناسبة التي تجعل الطفل في هذه المرحلة يكتسب الحميد من الخصال ٠

وليس غريبا أن يدرك فلاسفة التربية في القرن الرابع وهو عصر الازدهار الثقافي للأمة الاسلامية أن التربية الخلقية لا تحدث ولا تتم في هذه المرحلة عن طريق التلقين (٢) ، وانما بتهيئة الظروف التي تسمح بتكوين عادات سليمة ، وذلك لأن « هذه النفس (أي نفس الصبي) مستعدة للتأديب ، صالحة للعناية لا يجب أن تهمل ولا تترك ومخالطة الأضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة . وان كانت بهذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة ، فان نفس الصبي ساذجة لم تنقش بصورة ولا لها رأي ولا عزيمة يميلهـا من شيء الى شيء فاذا نقشت بصورة وقبلتها ، نشأ عليها واعتادها » (٣) ، ومن ثم كان التوجيـه والتأديب ضرورة لتعديل أخلاق الصبي وسلوكه « ولا يزال به التأديب والسنين والتجارب حتى ينتقل في أحوال بعد أحوال » (٤) ٠ وعلى ذلك فيجب « أن تكون كل العناية مصروفة الى مراعاة أخلاق الصبي فيعدل ، وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو خوف شديد ، أو غم أو سهر ، وذلك بأن يتأمل في كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن اليه فيقرب اليه وما الذي يكرهه فينحى عنه وجهه ، وفي ذلك منفعتان أحدهما في نفسه ، بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ، ويصير ذلك ملكة لازمه ، والثانية لبدنه ، فكما أن الأخلاق الردية تابعة لأنواع سوء المزاج ، فكذلك اذا حدثت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب لها ، فان الغضب يسخن جدا ، والغم يجفف جدا ، والتبليد يؤذي القوة النفسانية ، ويميل بالمزاج الى البلغمية ، ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعا »(٥) ٠

وتبدو أهمية خلق البيئة الصالحة للتربية الخلقية ، وضرورة تعديل أخلاق الصبي اذا أدركنا أن الطفل في هذه المرحلة لا يزن الأمور ولا يقدر مرامي الأفعال وانما يتصرف ويسلك تحت وحي من المحاكاة الفطرية في النفس ٠

وفي عملية توجيه الأخلاق وتعديل السلوك ، راعى المفكرون دائما أن تكون أحكامهم متميزة بالثبات لا تتذبذب ولا تتغير ، وذلك لأن « الاستقرار في معاملة

---

(١) رسائل اخوان الصفاء (مرجع سابق) ـ ج ٤ ـ ص ١١٤ ٠

(٢) ارجع الى ص (٩٤) من الرسالة ٠

(٣) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ ٠

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠ ٠

(٥) ابن سينا : القانون ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٥٧ ٠

الطفل يزيل عنه الكثير من مبادىء القلق النفسى كما أنه ييسر له نوعا من الثقة بالنفس »(١) ٠

واذا كانت الحواس هي طريق اكتساب المعارف والمعلومات فى هذه السن رأينا مفكرى التربية فى هذا العصر يهتمون بالنمو البدنى وبالتربية الحسية حيث يكتسب الطفل معلوماته عن العالم الخارجى عن طريق حواسه ، وذلك لأن الحواس هى التى يدرك بها الصبى الأمور الحاضرة فى الزمان والمكان (٢) ، ولأن المعقولات التى هى فى أوائل العقول ليست شيئا سوى رسوم المحسوسات والجزئيات الملتقطة بطريق الحواس والدليل على ذلك قوله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا »(٣) ٠

كما وجه فلاسفة التربية فى القرن الرابع اهتماما عظيما الى النمو البدنى والحركى فى هذه المرحلة ، فلا ينبغى أن يحرم الطفل من اللعب اذ أنه يستفيد وينمو بذلك اللعب فيذكر فلاسفة التربية أنه « إذا انتبه الصبى من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ، ثم يطعم شيئا يسيرا ، ثم يطلق له اللعب الأطول ثم يستحم ، ثم يغذى ويجنبون ما أمكن شرب الماء على الطعام لئلا ينفذ فيهم قبل الهضم » (٤) ، كما أشاروا الى ضرورة أن يتعود الطفل « المشى والركوب والرياضة ، حتى لا يتعود أضدادها »(٥) ٠

ولا شك أن اطلاق اللعب للأطفال فى هذه المرحلة مراعاة لفطرتهم التى فطروا عليها فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن « أهم ما يميز الطفل فى نموه الحركى فى هذه المرحلة قدرته على النشاط العضلى ٠٠٠ لذلك ينبغى أن تتاح الفرص الكافية للطفل لممارسة هذا النشاط الحركى »(٦) ، وهذا ما نادى به فلاسفة التربية فى القرن الرابع كما أشرنا من قبل ٠

ولا نرى أن ما جاءت به التربية الحديثة من برامج لرياض الأطفال ، تختلف كثيرا عما نادت به التربية الاسلامية فى القرن الرابع ، بل ان تلك التربية كان لها قصب السبق فى هذا المجال ٠

---

(١) احمد زكى صالح (مرجع سابق) ، ص ١٣٩ ٠

(٢) رسائل اخوان الصفاء : مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١١٤ ٠

(٣) المرجع السابق : ج ٣ ـ ص ٣٩٢ ٠

(٤) ابن سينا : القانون ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٥٧ ٠

(٥) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ ٠

(٦) احمد زكى صالح (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ٠

(٣) مرحلة التعليم الأولى (من ٦ ـ ١٤) :

تحدد العام السادس من عمر الطفل بداية لتلك المرحلة « واذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤدب والمعلم » (١) ، أى عندما « تشتد مفاصل الصبى ويستوى لسانه ويتهيأ للتلقين ، ويعى سمعه » (٢) ٠

كما ذكر أبو بكر بن العربى « وللقوم فى التعليم سيرة بديعة ، وهى أن الصغير اذا عقل بعثوه الى المكتب » (٣) ، وذكر ابن أبى أصيبعة فى ترجمته لعلى بن رضوان الطبيب المصرى (توفى ٤٥٣ هـ) أنه بدأ دراسته فى السادسة من عمره حيث قال عن نفسه « فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسى فى التعليم » (٤) ، وقال أبو عبيد الجوزجانى « حدثنى أستاذى أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا ، قال فلما بلغت سن التمييز سلمنى أبى الى معلم القرآن ثم الى معلم الآداب » (٥) ، وسن العقل والتمييز هذه « ما بين الخامسة والسادسة تبعا لاختلاف نضج الصبيان وتقدمهم فى الفهم والتمييز » (٦) ٠

وتعتبر سن السادسة كما أثبتت الدراسات الحديثة هى « الفترة الزمنية الملائمة لتعلم القراءة والكتابة ، وذلك لأن القراءة ما هى الا عملية تناسق عضلى بين ما تنظر اليه العين ، وما ينطق به اللسان ، وهذه الدقة فى هذه العملية من التناسق ، تظهر فى الغالبية العظمى من الأطفال فى سن السادسة ، يضاف الى ذلك أن الدقة العضلية فى أطراف الأنامل وهى الشرط الأساسى للكتابة تظهر فى حوالى هذه السن » (٧) ٠

---

(١) ابن سينا : القانون ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٥٧ ٠

(٢) ابن سينا : السياسة ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧٤ ٠

(٣) أبو بكر بن العربى : أحكام القرآن ـ القاهرة ـ مطبعة السعادة ـ ١٣٣١ هـ ـ ج ٢ ـ ص ٢٩١ ٠

(٤) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ـ الطبعة الاولى ـ المطبعة الوهبية ـ ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢ م ـ ج ٢ ـ ص ٩٩ ٠

(٥) عبد الله فياض (مرجع سابق) ، ص ١٥٦ ٠

(٦) أحمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ٥١ ٠

(٧) أحمد زكى صالح (مرجع سابق) ، ص ١٨٠ ٠

ومن هنا يبدو توفيق التربية الاسلامية فى تحديد سن السادسة بداية لهذه المرحلة . أما السن التى تنتهى عندها هذه المرحلة فهى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة تقريبا فقد ذكر بن أبى أصيبعة فى ترجمته لعلى بن رضوان قوله : « ولما بلغت أربع عشرة سنة ، أخذت فى تعلم الطب والفلسفة »(١) ، وقد أشار الى ذلك ابن سينا حين رأى أن يربى الصبيان عند بلوغهم الرابعة عشرة بصورة أكثر جدية حيث يبدأ الاهتمام بتحصيل العلم فقال « الى أن يوافوا الرابع عشر من سنهم ، فيدرجون فى تقليل الرياضة » (٢) ، كما يمكن استنتاج ذلك من رسالة الفقيه القابسى فى قوله « وأنه لينبغى للمعلم أن يحترس الصبيان بعضهم من بعض ، اذا كان فيهم من يخشى فساده ، يناهز الاحتلام »(٣) . والذى يبدو لى من ذلك أنه لم يصل الى سن الاحتلام من صبيان الكتاتيب الا قلة نادرة ينبغى على المعلم أن يراقب سلوكها مع الصغار فى الكتاب ، وسن الاحتلام أو البلوغ تتراوح عند الذكور فى الغالب ، فيما بين الثانية عشرة والرابعة عشرة .

ومرحلة التعليم الأولى فى التربية الاسلامية مرحلة عامة يتعلم فيها أولاد المسلمين أساسيات الثقافة الاسلامية من قرآن كريم ، وقراءة وكتابة وخط وشعر عربى ، ولا يتلقى الصبى فيها أى لون من التعليم المتخصص فذلك يأتى فى مرحلة أخرى تظهر فيها الميول والاتجاهات .

ولهذه المرحلة أهمية كبرى عند مفكرى القرن الرابع لأنهم رأوا أن معظم الآراء التى يعتنقها الانسان تتم فى سن الصبى حيث يحدث اعتناق لها دون فكر ولا روية ولا تمييز والغالب على هذه المرحلة من العمر التوهم فى المعرفة لا الاعتماد على العقل ، وذلك لأن القوة العاقلة - كما يرى اخوان الصفاء - لا ترد الا فى الخامسة عشرة « وهى القوة العاقلة المميزة لمعانى المحسوسات الواردة على القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد والى هذا أشار بقوله تعالى « واذا بلغ الأطفال منكم الحلم » وهم الذين نسميهم فى رسائلنا اخواننا الأبرار الرحماء » (٤) .

والصبى فى هذه المرحلة يعتمد فى اكتساب معرفته على القياس المعتمد على الحواس أساسا ، ومن هنا فهو معرض للخطأ مما يؤدى الى اكتساب الكثير

---

(١) ابن أبى اصيبعة (مرجع سابق) - جـ ٢ - ص ٩٩ .

(٢) ابن سينا : القانون - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٥٨ .

(٣) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٥٧ أ .

(٤) رسائل اخوان الصفاء (مرجع سابق) - جـ ١ - ص ١١٢ .

من الآراء الفاسدة ممن يحيطون به حيث يتجه الى الاقتداء والتقليد لمعلمه وأهله دون فكر أو روية ، ولأجل ذلك حرص المربون فى هذا العصر على تربية الصبيان على أدب الشريعة حتى تثبت هذه الآداب فى نفوس الصبيان وتصبح خلقا ثابتا فيهم « فمن اتفق له فى الصبا أن يربى على أدب الشريعة ، ويؤخذ بوظائفها وشرائطها ، حتى يتعودها ،ثم ينظر بعد ذلك فى كتب الأخلاق ، حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن فى نفسه » (١) ، فقد تحققت له السعادة الكاملة ، كما يرى ابن مسكويه ، الذى بين أثر الشريعة فى تقويم أخلاق الصبى فى هذه السن المتقدمة بقوله « والشريعة هى التى تقوم الأحداث وتعودها الأفعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة ، وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الانسانية » ، « وعلى الوالدين أخذهم بها وبسائر الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضرب اذا دعت اليه الحاجة أو التوبيخات أو الاطماع فى الكرامات أو غيرها ممن يميلون اليه من الراحات أو يحذرونه من العقوبات ، حتى اذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمان كثيرة أمكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا »(٢) ٠

ومرحلة الكتاب هى أول مرحلة فى السلم التعليمى المعروف فى ذلك العصر فقد جاء فى ضحى الاسلام أن التعليم مرحلة « تبتدىء بالكتاب » (٣) وهى على ذلك بداية التعليم المنظم للصبى المسلم ، وكان الكتاب منذ نشأته هو المكان الذى يتعلم فيه الصبيان على أيدى معلمين احترفوا مهنة التعليم فى هذا القرن ٠

والتعليم فى هذه المرحلة تعليم جماعى ٠ فقد أدرك فلاسفة هذا العصر أن التعليم الفردى يسبب الضجر للطفل وللمعلم معا ، كما أنه يحرم الطفل من الاستفادة الناتجة عن مخالطة الرفاق لهذا « ينبغى أن يكون مع الصبى فى مكتبه صبية من أولاد الجلة ، حسنة آدابهم مرضية عاداتهم ، فان الصبى عن الصبى القن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس ، وانفراد الصبى الواحد المؤدب ، أجلب الأشياء لضجرهما ، فاذا راوح المؤدب بين الصبى والصبى كان ذلك أنقى وأبقى للنشاط وأحرى للصبى على التعليم والتخرج ، فانه يباهى الصبيان ، والمحادثة تفيد انشراح العقل ، وتحل منعقد الفهم لأن كل واحد من أولئك انما يتحدث بأغرب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سببا للتعجب منه ، والتعجب منه سببا لحفظه وداعيا الى التحدث به ، ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزيارة

---

(١) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ١٧ ٠

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٢ ٠

(٣) احمد امين : ضحى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٦٦ ٠

ويتكارمون ويتعارضون الحقوق ، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة ، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم ، وتحريك لهممهم ، وتمرين لعاداتهم »(١) ٠

وقد وقفت التربية الحديثة على أهمية التعليم الجماعي حيث « يتصل الطفل اتصالا مباشرا بغيره من الأطفال » ، وكذلك يتصل بالنواحي المعنوية فى مجتمعه « كالتقاليد والعرف والدين وما الى ذلك من أمور يبدأ الطفل فى ممارستها بطريقة ايجابية فعالة » ويجد الطفل فى هذه الحياة الجماعية « منفذا طبيعيا لميله للتنافس من خلال الألعاب التى يمارسها مع غيره »(٢) ٠

ولا تكاد التربية الحديثة ــ فيما توصلت اليه ــ تضيف جديدا الى تربية القرن الرابع الهجرى فى هذا الشأن ــ حيث حرص المربون من المسلمين على تعليم الطفل فى الكتاب مع غيره من الصبيان بما فيهم أولاد الجلة وأبناء الطبقة الأرستقراطية حيث تنمو القيم الخلقية للطفل ، ويتقرر مبدأ أخلاقى تعمل التربية بكل سبلها على تحقيقه وهو المساواة « وعن طريق المساواة ينشأ الاخلاص والصداقة والتسامح ، ويبدأ الطفل فى فهم مدلول هذه الأمور بالممارسة الحقة » (٣) ٠

هذا الى جانب ما تفيده التربية الجماعية فى الكتاب من تكوين شخصية الصبى ، فالمباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة تمهد السبيل لتكوين الشخصية القوية التى تعين صاحبها على الاعتماد على نفسه والنهوض مستقبلا بما يتطلبه المجتمع ٠

وقد سعت التربية الاسلامية فى القرن الرابع الى تكوين شخصية الصبى المسلم وتنميته على الثقة بالنفس والاعتداد بها ، فقد جرت العادة على أن يتخذ المعلم فى الكتاب عريفا من بين أبرز الصبيان ، يساعد المعلم فى أداء مهمته ، وقد أجاز فقهاء القرن الرابع ذلك « اذا كان للصبى فى ذلك منفعة » (٤) ، مما كان يدفع الصبيان الى التنافس فى الفوق على الأقران والتقدم عليهم ، ليصير الصبى بامتيازه عريفا يقوم بتعليم غيره ممن هم أقل منه علما وأصغر سنا ، كما كان

---

(١) ابن سينا : السياسة ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٧٤ ــ ١٠٧٥ ٠

(٢) احمد زكى صالح (مرجع سابق) ، ص ١٥٤ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٧ ٠

(٤) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٦٣ أ ٠

المعلم يسمح للنابهين من صبيان الكتاب بالقيام ببعض أعمال التعليم كالاملاء على غيرهم أو تفقد كتابتهم « ولا بأس أن يجعلهم يملى بعضهم على بعض ، لأن فى ذلك منفعة لهم ، كما كان المعلم يسمح لتلاميذه بالقيام ببعض الأعمال التى تدعم ثقة الصبى فى شخصه ، وتؤكد ذاته بين الرفاق كأن يأذن للصبى أن يكتب لأحد كتابا » (١) . كما ظهر احترام شخصية الصبى فى كتاتيب القرن الرابع ، فى قيام المعلم وحده دون سواه بتوقيع العقوبة على الصبيان ان استحقوا ذلك فهو بمنزلة الوالد « وهو لهم عوض عن آبائهم »(٢) فكان « لا يولى أحدا من الصبيان الضرب »(٣) لغيره ، ففى ذلك امتهان لكرامة الصبى ، وزرع للأحقاد والعداوات بين جماعة الرفاق فى الكتاب ، كما كان المعلم يبتعد عن سبه أو شتم عرضه أو التلفظ بألفاظ تجرح كرامته مثل « يا مسـخ ، ياقرد ، أو ما شابه » (٤) ، كما يبدو احترام شخصية الصبى فى تقديمه لامامة غيره من الصبيان ان رأى المعلم صلاحيته لذلك « فان صلح للامامة قدم » لكى يتدرج الصبيان « على معرفة صلاة الجماعة وليعرفوا فضلها حتى يكبروا على الرغبة فيها »(٥) . ولا شـك أن أمامة الصبى لغيره رفع لقدره وسمو بمنزلته .

وكأنى برجال التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى وقـد أدركوا بحرصهم على التعليم الجماعى ونبذهم للتعليم الفردى ـ أدركوا أن الطفل « فى حاجة الى أن يشعر أنه فرد فى مجموع تربطه بهم مصالح مشتركة تدفعه الى أن يأخذ ويعطى وأن يلتمس منهم الحماية والمساعدة ، كما أنه فى حاجة الى أن يشعر بأنه يستطيع أن يمد غيره بهذه الأشياء فى بعض الأحيان »(٦) .

وقد فهم المسلمون فى هذا العصر أن تعليم جميع الصبيان ضرورى واجب « وان هذا الوجوب هو الوجوب الشرعى ... ذلك أن معرفة العبادات واجبة بنص القرآن ، ومعرفة القرآن واجبة أيضا لضرورتها فى الصلاة ، وان الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة »(٧) .

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٦٣ ـ أ .

(٢) المرجع السابق ـ ص ٥٤ ـ ب .

(٣) المرجع السابق ـ ص ٥٦ ـ أ .

(٤) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٥٥ ـ أ .

(٥) المرجع السابق ـ ص ٧٠ ـ أ .

(٦) ابو الفتوح رضوان وآخرون : المدرس فى المدرسة والمجتمع ـ القـاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٧٣ م ـ ص ٤١ .

(٧) احمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ٨٧ .

« وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها »(١) .
« وهم لا بد اذا علموهم الصلاة أن يعلموهم من القرآن ما يقرءونه فيها ، وقد مضى أمر المسلمين أنهم يعلمون أولادهم القرآن » (٢) ، ولو ظهر على أحد أنه « ترك أن يعلم ولده القرآن تهاونا بذلك لجهل وقبح ونقص حاله ، ووضع عن حال أهل القناعة والرضا »(٣) . فان كان الصبى يتيما ولم يكن له ولى ، « نظر فى أمره حاكم المسلمين وسار فى تعليمه سيرة أبيه أو وصيه » فان لم يكن « لليتيم مال فأمه أو أولياؤه الأقرب فالأقرب به هم المرغبون فى القيام به فى تعليم القرآن » فان لم يكن له أهل « فمن عنى به من المسلمين فله أجره ، وان احتسب فيه المعلم فعلمه لله عز وجل وصبر على ذلك فأجره ان شاء الله يضعف فى ذلك » (٤) .

الثواب والعقاب :

وجدت العقوبة فى كتاتيب القرن الرابع الهجرى ، بل وأجازها مفكرو التربية فقهاء كانوا أم فلاسفة فى حال استئهال التلاميذ لها ، وبينوا حدودها ، وفصلوا مراتبها « وأصبحت عصا المعلم شيئا لا يخلو منها كتاب قط ، وشاعت عبارة (عصا المعلم من الجنة) » (٥) ، وكان على المعلم أن يعاقب تلاميذه فى حالة ارتكابهم ما يوجب هذا العقاب « لأنه الناظر فى زجرهم عما لا يصلح لهم ، والقائم باكراههم على مثل منافعهم ، فهو يسوسهم فى مثل ذلك بما ينفعهم »(٦).

ومع اقرار العقوبة فى الكتاتيب ، فان الرفق بالصبيان دائما كان يسبق العقاب حيث أدرك المربون أن من حسن رعاية المعلم لصبيانه « أن يكون بهم رفيقا »(٧) ، فلا يتشدد على الصبيان فى العقوبة ، ولا يخرجه استئهالهم للعقاب « من حسن رفقه بهم ولا من رحمته اياهم ، فانما هو عوض لهم من آبائهم ، فكونه عبوسا أبدا ، من الفظاظة الممقوتة »(٨) .

---

(١) القابسى — مرجع سابق — ص ٢٧ — أ .
(٢) المرجع السابق — ص ٢٧ — ب .
(٣) المرجع السابق — ص ٢٨ — ب .
(٤) المرجع السابق — ص ٢٩ — أ .
(٥) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ٢٧٠ .
(٦) القابسى — مرجع سابق — ص ٥٤ — أ .
(٧) المرجع السابق — ص ٥٤ — أ .
(٨) المرجع السابق — ص ٥٤ — أ ، ٥٤ — ب .

والغرض من هذا الرفق هو حسن سياسة الصبيان ورياضتهم حتى يصل المعلم بهم مع الزمن الى معرفة طريق الخير . « وكلما أخطأ الصبى منتهكا الطريق السوى راضه المعلم مبينا له السبيل التى ينبغى سلوكها ، وأول سبل الرياضة الافهام والتنبيه » • وهذه السياسة القائمة على « الرفق فى المعاملة ••• من شأنها أن تجعل الصبى يكبر على العمل الصالح من تلقاء نفسه دون حاجة الى عصا تسوقه »(١) •

فاذا ارتكب الصبى الخطأ وفعل المنهى عنه مما يوجب العقاب عالجت التربية الاسلامية ذلك بخطوات هى :

التغافل عن ذلك الخطأ : اذ «الأولى ألا يوبخ عليه ، ولا يكاشف بأنه أقدم عليه ، بل يتغافل عنه تغافل من لايخطر بباله أنه قد تجاسر على مثله ، ولا هم به، لا سيما ان ستره الصبى ، واجتهد فى أن يخفى ما فعله عن الناس »(٢) •

التأنيب واللوم سرا : ثم تأتى بعد ذلك وسيلة التأنيب والتقريع فى السر ، فيعظم عنده ما ارتكب من خطأ ثم يحذر من العودة اليه ، ولقد رأى المربون أن المكاشفة بالخطأ والجهر به أمام غيره قد تحمل الصبى على الوقاحة والعودة الى ارتكاب ذلك الخطأ بعد أن هان عليه سماع اللوم وقبول التأنيب « فان عاد فليوبخ عليه سرا وليعظم عنده ما آتاه ، ويحذر من معاودته ، فانك ان عودته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة وحرضته على معاودة ما كان استقبحه وهان عليه سماع الملامة فى ركوب قبائح اللذات التى تدعو اليها نفسه ، وهذه اللذات كثيرة جدا »(٣) •

فاذا استمر فى ارتكاب الخطأ مثل « هروب من الكتاب ، وادمان للبطالة »(٤) ، أو « تثاقل على المعلم فتباطأ فى حفظه ، أو أكثر الخطأ فى خطه أو فى كتابة لوحة ، من نقص حروفه ، وسوء تهجيه ، وقبح شكله ، وغلطه فى نطقه فنبه مرة بعد مرة فأكثر التغافل ، ولم يغن فيه العذل والتقريع بالكلام »(٥) ، كان الضرب هو الوسيلة الأخيرة التى يلجأ اليها المعلم ، لتقويم الصبى وتعديل سلوكه •

---

(١) احمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ١٢٥ •

(٢) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ •

(٣) المرجع السابق ـ نفس الصفحة •

(٤) القابسى ـ مرجع سابق ـ ص ٥٥ ـ ب •

(٥) المرجع السابق ـ ص ٥٥ ـ ب •

وفى عقاب المعلم لصبيانه باللوم والتقريع والتأنيب ينبغى ألا يلجأ « الى شتم ولا سب عرض كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقا فيقول : يا مسخ يا قرد ، فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله فى القبح » ، « وانما تجرى الألفاظ القبيحة من لسان التقى تمكن الغضب من نفسه وليس هذا مكان الغضب »(١) .

وهكذا تتدرج العقوبة من تغافل الى تأنيب فى السر الى تقريع فى الجهر الى عقاب بالضرب .

عقوبة الضرب : يلجأ اليها المعلم ،حين يستنفذ وسائل التأديب الأخرى ، على أن التربية الاسلامية حين قررت هذه العقوبة البدنية كوسيلة لتأديب الصبيان أحاطت هذه العقوبة بشروط جعلتها تؤدى الغرض منها ولا تتعداه الى الإنتقام والتشفى ، من ذلك : أن الصبى اذا أخطأ و « استأهل الضرب فاعلم أن الضرب من واحدة الى ثلاثة » (٢) ، « وهذا هو أدبه اذا فرط » (٣) ، فاذا ارتكب الصبى خطأ يقتضى زيادة العقوبة وكان « يستأهل من الأدب فوق الثلاث ، فتكون الزيادة عن اذن من القائم بأمر هذا الصبى ، ثم يزاد على الثلاث ما بينه وبين العشر اذا كان الصبى يطيق ذلك » (٤) .

ولا يزيد المعلم فى عقابه للصبى على عشر ضربات الا اذا كان الصبى « يناهز الاحتلام ، ويكون سيىء الرعية ، غليظ الخلق ، لا يريعه وقوع عشر ضربات عليه »(٥) كما يجب أن يقع الضرب من الصبى فى مكان « محتمل مأمون »(٦) ، « وليتجنب أن يضرب رأس الصبى أو وجهه » ، « وضرر الضرب فيهما بين ، قد يوهن الدماغ ، أو تطرف العين ، أو يؤثر أثرا قبيحا ، فليتجنبه ، فالضرب فى الرجلين آمن ، وأحمل للألم ، فى سلامة »(٧) .

---

(١) القابسى — مرجع سابق — ص ٥٥ — أ .

(٢) المرجع السابق — ص ٥٤ — ب .

(٣) المرجع السابق — ص ٥٥ — أ .

(٤) المرجع السابق — ص ٥٥ — ب ، ص ٥٦ — أ .

(٥) المرجع السابق — ص ٥٦ — أ .

(٦) المرجع السابق — ص ٥٦ — أ .

(٧) المرجع السابق — ص ٥٦ — ب .

وفى كل الحالات فان المعلم « لا يوقع الضرب لأدب الا عن ذنب يتبين »(١). ونكاد نرى أن هذه الشروط التى فرضها المربون فى القرن الرابع لتوقيع عقوبة الضرب على الصبى اذا استأهل ذلك عامة لدى المربين المسلمين فى العصور المختلفة (٢) .

كما استخدم المربون المدح والثناء وسيلة من وسائل تقويم الصبيان وتأديبهم واكسابهم الفضائل والعادات الحميدة ، سواء أكان ذلك المدح مدحا للغير أمام الأطفال على فعل حميد فعلوه ، أو مدحا للطفل نفسه على ما قام به من عمل يستحق عليه المدح « ثم يمدح الأخيار عنده ، ويمدح هو نفسه ، اذا ظهر شىء جميل منه ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه » ، « ثم يمدح بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه »(٣) ، فاذا أحسن الصبى ، كان على المعلم أن « يغبطه باحسانه ... ليعرف وجه الحسن من القبح فيدرج على اختيار الحسن »(٤) .

ولقد كان تشجيع الصبى ومدحه على كريم فعله قاعدة نادى بها أغلب المربين فى الاسلام فى العصور المختلفة (٥) .

وهكذا نرى أن العقوبة فى التربية الاسلامية كانت وسيلة من وسائل التأديب وروعى فيها التدرج من الرفق الى الشدة ومناسبتها لما ارتكب من أخطاء وخروجها بما اشترطه المربون فيها عن التشفى والانتقام . كما استخدم المدح والثناء وسيلة فعالة من وسائل اكساب الصبى الفضائل والعادات الحميدة .

(٤) مرحلة التعليم العالى (تعليم الكبار) :

رأينا فى الفصل الأول أن الانسان هو المحور الذى تدور حوله الأيديولوجيا الاسلامية فى كل العصور ، فالانسان (الفرد) فى الاسلام « هو أمة بل عالم بأسره بل الانسانية كلها فى قيمته »(٦) ، والانسان فى الاسلام « ليس مجرد

---

(١) المرجع السابق - ص ٦٩ - ب .

(٢) راجع شمس الدين الانبابى : رسالة فى رياضة الاطفال وتعليمهم وتاديبهم - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٣٢ تعليم - ص ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٣) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠ .

(٤) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٥٨ - ب .

(٥) راجع شمس الدين الانبابى (مرجع سابق) ، ص ٤ .

(٦) مصطفى محمود : الماركسية والاسلام - دار المعارف بمصر - ١٩٧٥ - ص ١٨ .

مخلوق كغيره من مخلوقات الله الكثيرة وانما هو سيد هذه المخلوقات بحكم ذلك الاستخلاف الذى كرمه به ربه »(١) • وكان العقل الانسانى هو مدخل ذلك الانسان الى تلك المنزلة الكريمة ، التى وضعه فيها ربه يوم خلقه واستخلفه ، وغذاء ذلك العقل هو العلم ، فعلى العلم كان تأسيس الحضارة الاسلامية فى عصور الاسلام القوية •

على أن الانسان فى الاسلام ليس بقادر على أن يرقى الى تلك المنزلة الكريمة الا (بالتربية) ، لذلك لم يكن غريبا « ان ترافق التربية الدعوة الاسلامية منذ لحظاته الأولى ••• وكانت هذه التربية شاملة تهتم بالروح والعقل والجسد ، كما كانت تتم فى المسجد والشارع والمنزل وميدان القتال ومحال العمل ، وفى كل مكان يمكن أن تكون فيه تربية ••• كما كان الكل فى هذه التربية يساهم فى تربية الكل ، فمن عنده — فى الاسلام — كان يعطى (أى يربى) من ليس عنده ، فالحكمة — على حد تعبير الرسول الكريم — ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أولى الناس بها »(٢) • ولم يكن غريبا أن تقوم أجهزة تربوية مختلفة لتعميق هذه الأيديولوجيا الاسلامية وتثبيتها ، وهى مهمة اضطلع بها الرسول أول الأمر ، فأعد صفوة الرجال الذين آمنو به صلى الله عليه وسلم ، وقام على هذه المهمة من بعده صحابته وخلفاؤه والولاة الذين حكموا البلاد الاسلامية •

وكانت مادة التربية أول الأمر هى القرآن الكريم الذى كان حجر الأساس فى بناء المجتمع وتربيته وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم تحول المجتمع الاسلامى فى عصوره الأولى ، الى ما يشبه أن يكون مدرسة كبيرة ، فانقسم الى معلمين ومتعلمين ، أو بتعبير آخر : كان « الكل يساهم فى تربية الكل »(٣) •

ولما تقدمت الحضارة الاسلامية واتصل المسلمون بغيرهم دخلت مناهج التعليم علوم أجنبية كالطب والفلسفة والطبيعيات والرياضيات وغيرها ، وكان لا بد من قيام أجهزة تربوية أقوى وأوسع انتشارا من الأجهزة القديمة • فقامت المساجد كمراكز للتعليم والدعوة بجانب كونها أماكن للعبادة ، وظهر مربون لم يكونوا معروفين من قبل (فالقراء) يقرئون الناس القرآن ويحفظونهم اياه ، و (القصاص والرواة) يحدثون الناس بأخبار الاسلام ومغازيه ، و (الفقهاء)

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ١٥٢ •

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٦ •

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٦ •

يجلسون الى الناس ، يفتونهم ويعلمونهم ، واستأجر الأغنياء (المؤدبين) لتأديب أبنائهم ليضمنوا حسن تربيتهم وتعليمهم (١) .

وحتى القرن الرابع الهجرى لم يكن هناك نظام للتعليم تشرف عليه الدولة وكان التعليم حرا يقوم به المجتمع ، الا أن زيادة الاحتكاك بالحضارات الأخرى ، واستمرار التقدم ، وتراكم الثروة ، وتزايد أعداد التلاميذ ، ثم الصراع المذهبى كل ذلك أدى الى دخول الدولة ميدان التعليم ، فأنشأت دور الحكمة والعلم - والى جانب المسجد ودار الحكمة ظهرت بعد ذلك منازل العلماء وقصور الخلفاء وحوانيت الوراقين والمكتبات ودور العلم ثم المدرسة ، ورغم ذلك ظل دور الدولة فى التربية محدودا ، بجانب ذلك الدور الذى يقوم به الأفراد ، فقد ظل الخلفاء والحكام - كأفراد - وكذلك الأثرياء والخيرون « يتنافسون فى انشاء المدارس وبيوت الحكمة ودور العلم ... ويرصدون الاراضى والممتلكات للانفاق عليها » (٢) .

على أن الذى تجدر الاشارة اليه أن التربية الاسلامية فى القرن الرابع قد اهتمت بتعليم الكبار فاقيمت مؤسسات التعليم للتربية العالية من مساجد ودور علم وبيمارستانات وغيرها ، دون الاهتمام باقامة مؤسسات أخرى كالكتاتيب مثلا لتغذية هذه المؤسسات بالطلاب مكتفية بمن تتلقفهم ممن أتموا تعليمهم فى الكتاتيب .

وتعليم الكبار كان « هدف الأهداف فى التربية الاسلامية ، ومن أجل هذا الهدف كان تعليم الصغار فيما بعد ، حينما ظهر أن تعليم الكبار يتطلب اعدادهم مسبقا ليستفيدوا مما يقدم لهم من برامج فى الكبر »(٣) .

واذا كانت التربية فى المجتمعات الحديثة المعاصرة تنصب على تعليم الصغار وتنسلخ من هذه التربية أجهزة التعليم الأخرى ، فان التربية الاسلامية كانت تنصب « على تعليم الكبار ، وعن تربية الكبار تفرعت أجهزة تربوية أخرى تهتم

---

(١) محمد اسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام - بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٥٧ م - ص ١٧ وما بعدها .

(٢) عز الدين عباس : التعليم فى الاسلام - الرائد - مجلة المعلمين - السنة السابعة - العدد الخامس - مارس ١٩٦٢ - ص ١٦ .

(٣) عبد الغنى عبود : التعليم مدى الحياة فى الاسلام - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية - المؤتمر الدولى للتنمية وتعليم الكبار المنعقد بدار السلام - تنزانيا فى الفترة من ٢١ - ٢٦ يونيو ١٩٧٦ - استنسل - ص ٩ .

بتعليم الصغار ، وذلك عندما أحس المعلمون بأن هؤلاء الكبار لا بد من اعداد مسبق لهم يمكنهم من الاستفادة من برامج التعليم التى تقدم للكبار » (١) ٠

وذلك منطقى فى اطار أيديولوجى رأيناه يقوم على أساس أن الانسان المسلم (خليفة) الله فى الأرض وأنه نتيجة لذلك انسان ذو رسالة ، والمسئولية يتحملها الكبار والصغار لا يقدرون تبعاتها ٠

فتعليم الكبار اذن كان موضع اهتمام التربية الاسلامية « وهو سبق اسلامى لم تستطع بلاد الغرب المتقدمة أن تصل اليه الا بعد الثورة الصناعية ، أى بعد أكثر من عشرة قرون من تطبيقه فى بلاد الاسلام ، وقد اضطرت بلاد الغرب اليه تحت ضغط الثورة الصناعية وحاجة المصانع والمؤسسات والمرافق المختلفة ، الى (قوى بشرية) ذات مواصفات معينة استجابت لهـــا الجامعــات أول الأمر ، ثم استجابت لها بعد ذلك المدارس الابتدائية والثانوية اعدادا للصغار حتى يستفيدوا من برامج التعليم التى تقدمها الجامعات » (٢) ، ولكن التربية الاسلامية اختارته منذ البداية لتحقيق (انسانية) الانسان المسلم ٠

سن التعليم فى المرحلة العالية ومدة التحصيل :

من الصعب على الباحث أن يحدد السن التى يبدأ عندها الطالب فى تلقى العلم فى المسجد ، بعد اتمام المرحلة الأولى فى الكتاب فى القرن الرابع الهجرى، ومثل ذلك ينطبق على المدة التى كان يقضيها الطالب فى تحصيل العلم فى هذه المرحلة ، حيث لم تكن هناك « قواعد موضوعة للانتظام فى الدراسة بل كان أساس ذلك رغبة الطالب نفسه واستعداده الخاص وظروفه ، وهو الذى يختار أستاذه ويختار دروسه ويأتى الى المسجد متى أراد وينقطع عنه متى شاء »(٣) ٠

وكانت السن التى يبدأ عندها التعليم فى هذه المرحلة تختلف باختلاف المتعلمين أنفسهم ٠

ولقد عثرت على اشارات تلقى الضوء على هذا الموضوع قد تفيد فى تحديد السن التى يبدأ عندها التحصيل فى المرحلة العالية والمدة التى يقضيها الطالب فى التحصيل ٠

---

(١) عبد الغنى عبود : التعليم مدى الحياة فى الاسلام ـ المقولة الثانية من كتاب ـ فى التربية المعاصرة ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٦١ ٠

(٣) خطاب على عطيه : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول ـ مرجع سابق ـ ص ١٤١٠

ذكر ابن أبى أصيبعة فى ترجمته لعلى بن رضوان قوله « ولما أقمت أربع عشرة سنة ، أخذت فى تعلم الطب والفلسفة »(١) .

وحدث ابن سينا تلميذه أبا عبيد الجوزجانى « أنه تعلم كتاب الصفات وأدب الكتاب واصلاح المنطق وكتاب العين وشعر الحماسة وديوان ابن الرومى وتصريف المازنى قبل العاشرة من عمره » وقال أيضا « فلما بلغت عشر سنين كانوا فى بخارى يتعجبون منى ثم شرعت فى علم الطب ، وصنفت القانون وأنا ابن ست عشرة سنة ... فلما انتهى عمرى الى أربع وعشرين سنة كنت أفكر فى نفسى أنه لا شىء من العلوم لا أعرفه »(٢) .

وهذه الاشارة تشمل نابغة من نوابغ القرن الرابع الهجرى لا يمكن القياس عليه ، والمثال الأول لعلى بن رضوان لايمكن أن نستند اليه فى تقدير السن التى يبدأ بها الطالب مرحلة التعليم فى المسجد ونستنتج منها قاعدة فى ذلك .

ولما كان الصبى ينتهى من مرحلة الكتاب كما سبقت الاشارة الى ذلك فى سن الرابعة عشرة(٣) ، فيمكن أن تقترح سن الخامسة عشرة تقريبا بداية لهذه المرحلة . يؤيد ذلك ما ذهب اليه بعض الباحثين من أن الدراسة فى هذه المرحلة تبدأ فى سن « المراهقة أو البلوغ »(٤) .

أما مدة الدراسة اللازمة للتحصيل فى هذه المرحلة ، فيصعب على الباحث تحديدها ، فى الفترة موضوع البحث ، لأن الدراسة فى هذه المرحلة كانت تقوم على الاتصال الشخصى بين الطالب وشيخه أو شيوخه المتعددين الذين يتلقى عنهم ، ولم تكن هناك ، مؤسسات تخضع لنظام معين ، وعلى ذلك فأى تحديد لمدة الدراسة فى هذه المرحلة لا يعدو الحدس والتخمين .

وقد ذكر ابن خلكان قول ثعلب « نظرت فى حدود القراء وسنى ثمانى عشرة سنة ، وبلغت خمسا وعشرين سنة ، وما بقيت على مسألة للقراء الا وأنا أحفظها »(٥) . فمدة الدراسة على ذلك سبع سنوات ، وقد سبق أن ذكرت أن

---

(١) ابن أبى اصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٩٩ .

(٢) عبد الله فياض : مرجع سابق نقلا عن : آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت ١٩٦٠ - ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٣) ارجع الى ص (١١٦) من الرسالة .

(٤) خطاب على عطيه (مرجع سابق) ، ص ١٤١ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان - دار الطباعة الميرية المصرية - ١٢٧٠ هـ - ج ١ - ص ٤١ .

ابن سينا عندما بلغ أربعا وعشرين سنة من عمره تصور أنه عرف جميع العلوم المعروفة فى عصره ، فاذا افترضنا أن ابن سينا بدأ تحصيله للعلوم فى هذه المرحلة بعد الخامسة عشرة فتكون مدة الدراسة على ذلك حوالى ثمانى سنوات ، ولهذا يمكن أن نقترح بناء على ذلك أن مدة الدراسة للمرحلة العالية تتراوح بين سبع وثمانى سنوات لاتمام هذه المرحلة .

ألقـاب المتعلمين :

أطلق على المتعلمين فى الفترة موضوع البحث ألقاب متعددة نذكر منها :

(١) غـلام :

وقد أطلق على طلبة العلم أحيانا لقب غلام ، فقد وصف أبو سليمان المنطقى وهو تلميذ يحيى بن عدى بأنه « من غلمان يحيى بن عدى النصرانى ، ويقرأ عليه كتب يونان وتفسير دقائق كتبهم » (١) ، كما ذكر ياقوت فى ترجمته لأبى اسحاق الفارسى قوله « وكان من غلمان أبى سعيد السيرافى » (٢) . ويظهر أن استعمال لقب (غلام) لطالب العلم كان نادرا ، اذ قلما نراه مكررا فى المصادر .

(٢) متأدب أو متعلم :

وقد ورد اللقبان المذكوران بين الستة والثلاثين لقبا التى لقب بها المقدسى أثناء تجواله فى البلاد الاسلامية (٣) .

(٣) تلميذ :

ويسمى الطلبة أحيانا تلامذة ، فحين قدم الحسن بن أحمد الفارسى بغداد علت منزلته فى النحو « حتى قال قوم من تلامذته هو فوق المبرد وأعلم منه » (٤) . وذكر ياقوت فى ترجمته لابراهيم بن على الفارسى النحوى قوله « من تلاميذ أبى على الفارسى » (٥) .

---

(١) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة - مرجع سابق - ج ٢ - ص ١٨ .

(٢) ياقوت الرومى : معجم الأدباء - ج ١ - راجعه الدكتور أحمد رفاعى - وزارة المعارف العمومية - مطبوعات دار المأمون (بدون تاريخ) ، ص ٢٠٥ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم - مرجع سابق - ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) ياقوت الرومى - المرجع الأسبق - ج ٧ - ص ٢٣٤ .

(٥) المرجع السابق - ج ١ - ص ٢٠٤ .

(٤) فقيه أو متفقه :

وهو على ما يظهر لقب نادر الاستعمال جـــدا لطالب العـــلم ، فقد ذكر ابن خلكان أنه عندما أحصى الطلبة الذين كانوا يحضرون مجلس درس الشيخ الاسفرايينى ، ظهر أنهم « أكثر من سبعمائة فقيه » ، وفى رواية أخرى « ثلثمائة فقيه » (١) ، كما وردت كلمة « متفقة » بمثابة اسم لطالب العـــلم بين ألقاب المقدسى الستة والثلاثين ، التى لقب بها أثناء تجواله فى البلاد الاسلامية (٢) ·

ولعل اطلاق كلمة فقيه على طالب العلم كما وردت فى رواية ابن خلكان كان من باب التجوز لأن كلمة فقيه أطلقت على الشيخ والمدرس والعـــالم وكل هؤلاء من العلماء ، كما سيتضح عند الحديث عن ألقاب المعلمين ·

(٥) الطالب :

ويبدو أنه من أكثر الأسماء استعمالا فى الفترة التى تناولها البحث ، هو الاسم الأكثر ورودا فى المصادر ، وكتب التراجم فى هذا العصر مليئة بهـــذا اللقب ، مما يدل على شيوع استعماله فى القرن الرابع فقد كان الاسم الاصطلاحى للمتعلم ، قال ابن الأثير فى معرض حديثه عن الوزير أبى الحسن بن الفرات أنه « جرى ذكر أصحاب الأدب وطلبة الحديث وما هم عليه من الفقر والتعفف ، فقال أنا أحق من أعانهم » (٣) ·

حلقة التعليم وعدد التلاميذ :

كان نظام الحلقات ، هو النظام المتبع فى التعليم فى معظم الأقطار الاسلامية ، وكان « قوام الحياة الجامعية والفكرية فى العالم الاسلامى » (٤) ، وكانت هـــذه الحلقات وسيلة هامة من وسائل نشر العلم والثقافة بطريقة سهلة « يدفع اليها الرغبة الذاتية فى تلقى العلم ونشره ، دون تقيد بمكان خاص » (٥) ، فكانت تعقد فى أى مكان يصلح للتعليم كالمساجد ومنازل العلمـــاء وحوانيت الوراقـــين ، والمكتبات ودور العلم وصالونات القصور ·

---

(١) ابن خلكان (مرجع سابق) — ج ١ — ص ٢٧ ·

(٢) المقدسى (مرجع سابق) ، ص ٤٣ ، ٤٤ ·

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ — الطبعة الاولى — المطبعة الازهرية المصرية — ١٣٠١ هـ — ج ٨ — ص ٥٧ — حوادث سنة ٣١٢ هـ ·

(٤) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الازهر فى العصر الفاطمى — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م — ص ٦٥ ·

(٥) اسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ٣٨ ·

أما عدد الطلبة في الحلقة ، فيظهر أنه كان غير محدود ، فيصعب فى هذا العصر الوقوف على أرقام تبين عدد الطلبة فى الحلقة الواحدة ، ويعود ذلك الى عدم توفر الشكليات الموجودة فى مؤسسات التعليم الحديثة ، ولأن التعليم آنذاك كان من الأعمال التى لها صبغة دينية فى الغالب ، لذا كان يصعب على الشيخ المعلم دفع من شاء التعلم ٠

ويظهر أيضا أن عدد الطلبة فى الحلقة كان يتناسب مع شهرة الشيخ ورغبة الطلبة فى السماع منه ، وتلقى العلم عليه ، فقد كان يصل عدد الطلبة أحيانا فى الحلقة الواحدة ثلثمائة طالب أو يزيد (١) ٠

وقد حذر بعض العلماء الطلبة من « التقيد بالمشهورين وترك الأخذ عن الخاملين فان ذلك من الكبر على العلم وهو عين الحماقة ، لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ، ويغتنمها حيث ظفر بها » (٢) ٠

* * *

مناهج التعليم فى القرن الرابع الهجرى

نستطيع القول بأن التربية الخلقية كانت المحور الذى دارت حوله برامج التعليم فى القرن الرابع الهجرى ، بل وفى التربية الاسلامية عموما ، فقد « أجمع فلاسفة الاسلام على أن التربية الخلقية هى روح التربية الاسلامية ، فالغرض الأول والأسمى من التربية الاسلامية ، تهذيب الخلق وتربية الروح » (٣) ٠

والمقصود بالخلق هنا ، « هو أن يتصرف الانسان فى حياته تصرفا يليق بانسانيته أى بتلك المنزلة الكريمة التى وضعه الله فيها بين سائر خلقه ، وبذلك الاستخلاف الذى شرفه الله سبحانه به ، ومن ثم يكون العلم هو السبيل الى تلك التربية الخلقية » (٤) ٠

والمقصود بالعلم، هو العلم بمفهومه الشامل، الذى ينتظم كل ما يتصل بالحياة، و « لا يقتصر على علم الشريعة أو العلم الدينى ، كما يتبادر الى بعض الأذهان ، أو ما ذاع فى عهود التخلف عن القرآن ، فقد دعا الى النظر فى ظواهر الوجود ومظاهر الحياة » و « جعل من الكون كتابا للمعرفة ووجه القلوب والعقول

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان — مرجع سابق — جـ ١ — ص ٢٧ ٠

(٢) عبد الله فياض (مرجع سابق) ، ص ٢٣٢ ٠

(٣) محمد عطيه الابراشى : التربية فى الاسلام — مرجع سابق — ص ٩ ٠

(٤) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ١١٧ ٠

والأبصار ، الى بدائع صنع الله فيه ، ودعا الى التفكير فى آياته ، واستكناه أسراره ، وفهم نظمه ونواميسه ، ففتح بهذا العرض والتوجيه باب العلم ، وحرر العقول والتفكير من أسرار الجمود والجهل ، وأغرى بالبحث والدراسة والعلم » (١) ٠

وينقسم العلم فى الاسلام ، من حيث وجوبه وفرضه ، الى نوعين :

١ - ما هو فرض عين : « أى ما يطلب تعلمه وجوبا من كل فرد مكلف ، ولا يعذر أحد فى الجهل به ، وهو ما يحتاج اليه الانسان فى اقامة دينه وقبول عمله عند الله تعالى واستقامة معاملته ومعاشرته للناس » ٠

٢ - وما هو فرض كفاية : « وهو كل ما يحتاج اليه المجتمع ، من غير نظر الى شخص بذاته كتعلم الصناعات التى يحتاج اليها الناس ، وتعلم المهن ٠٠٠ من تجارة وطب واقتصاد وهندسة ٠٠٠ وكل ما يجد فى المستقبل من الحاجة الى علوم أخرى » (٢) ٠

وفى القرن الرابع الهجرى كان هناك توازن بين علوم الدين وعلوم الدنيا فى منهج التعليم الى حد ما ، ومع هذا التوازن كان هناك تركيز على بعض العلوم دون بعضها الآخر حسب مرحلة النمو وحسب مرحلة التعليم - كما سيبدو فى عرض مناهج التعليم للمراحل المختلفة - وحسب التخصص الدقيق فى مراحل التعليم العليا فى المساجد ودور الحكمة والبيمارستانات ٠

واللافت للنظر، أن مناهج التعليم فى القرن الرابع الهجرى، كانت وظيفية ، تهدف الى تخريج وتشكيل انسان مسلم عارف بدينه يتحلى بأخلاق القرآن ويتصرف وفق قواعده ومبادئه ، وفى الوقت ذاته تخريج انسان فاهم للحياة قادر على أن يعيش حياة كريمة فى مجتمع حر ، يقدر أن يعطيه ، ويساهم فى حركة بنائه ودفعه وتطوير الحياة فيه من خلال عمل معين يتقنه ويجيده ، كما سنرى فى التعليم المتخصص ٠

وسوف أتناول فى عرضى للمناهج التعليمية فى القرن الرابع الهجرى :

١ - منهج التربية لأطفال ما قبل السادسة ٠

٢ - منهج التعليم فى المرحلة الأولى (٦ - ١٤) ٠

٣ - منهج التعليم للمرحلة العالية ، والتخصص فى التعليم ٠

---

(١) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز - بدون تاريخ - ص ١٣٧ ، ١٣٩ ٠

(٢) مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام - دار مطابع الشعب - ١٩٦٢ ، ص ١٠٣ - ١٠٥ ٠

منهج التربية لأطفال ما قبل السادسة (مرحلة الروضة) :

من الحديث السابق عن مرحلة الروضة (١) ، نستطيع أن نقرر ، أن منهج التربية فى هذه المرحلة كان يتركز فى التربية الخلقية ، والاهتمام بالنمو الحسى حركى ، عن طريق اللعب ، الذى يتعلم الصبى عن طريقه العادات الخلقية والذهنية الكثيرة ، وكذلك العناية بالحواس وتدريبها وتنميتها باعتبارها أداة المعرفة الأولى ، والنمو الحسى يقوم بدور هام فى تثبيت الخبرات التى يمارسها الطفل فى هذه المرحلة ·

أما النمو الحركى ، فكان يتم فى هذه المرحلة عن طريق منح الطفل الفرصة الكاملة للعب ، ولممارسة العديد من الرياضيات ، التى كانت معروفة فى هذا العصر (٢) ·

ولقد جاءت نصائح رجال الفكر التربوى فى القرن الرابع عن أهمية الرياضة والعناية الجسمية فرسموا قواعد منظمة لما يجب اتباعه مع الصبى فى صغره بقولهم : « واذا انتبه الصبى من نومه ، فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ، ثم يطعم شيئا يسيرا ، ثم يطلق له اللعب الأطول ، ثم يستحم، ثم يغذى، ويجنبونه ما أمكن شرب الماء على الطعام لئلا ينفذ فيهم قبل الهضم »(٣) ، وحين يخلى بين الطفل وبين اللعب ، فانه يمارس ما يتفق وعمره من الألعاب المختلفة التى يطلق له العنان لممارستها · وقد أدركت التربية الاسلامية فى القرن الرابع قيمة الرياضة والعناية الجسمية فى هذه المرحلة ، كما أدركت أن أهم ما يميز الطفل فى هذه المرحلة ، هو قدرته على النشاط العضلى ·

كما تناول منهج التربية لهذه المرحلة التربية الخلقية وذلك بتهيئة الظروف التى تسمح بتكوين عادات سليمة حيث أن نفسه كما رأى فلاسفة هذا العصر

---

(١) ارجع الى ص ١١٢ - ١١٤ من الرسالة ·

(٢) راجع أنواع الرياضات فى القرن الرابع (كالمنازعة ، والمباطشة ، والملاكزة ، والرمى ، والقفز ، وغيرها) فى :

ابن سينا : القانون - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٥٩ ·

(٣) ابن سينا : القانون - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٥٧ ·

« مستعدة للتأديب ، صالحة للعناية ، لا يجب أن تهمل ولا تترك ومخالطة الأضداد ، الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة » (١) .

كما حرص المنهج التربوى فى هذه المرحلة على تكوين عادات طيبة تساعد على خلق الانسان المسلم - كما أراده الاسلام - كعادة طاعة الوالدين والمعلمين والكبار ، وحب الآخرين وايثارهم على نفسه ، والتواضع ، والصدق ، والعفة ، والصبر ، وقوة الاحتمال وغيرها (٢) .

فالعناية الخلقية ، وتعديل سلوك الصبى والرياضة والعناية الجسمية هى أهم مواد المنهج التربوى فى هذه المرحلة اعدادا للصغير كى يلتحق بالكتاب فى سن السادسة .

* * *

منهج التعليم للمرحلة الأولى (٦ - ١٤) :

وقع خلاف بين البلدان الاسلامية فى منهج تعليم صبيان الكتاتيب ، فعكس كل منهج اهتمام أهله بمواد معينة أو بقيم محددة أبرزها ذلك المنهج وركز عليها .

وقد ذكر لنا ابن خلدون فى مقدمته هذا الخلاف ، فقال :

« فأما أهل المغرب فمذهبهم فى الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم فى أثناء المدارسة بالرسم ومسائله ، واختلاف حملة القرآن فيه ، ولا يخلطون ذلك بسواه فى شىء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب ، الى أن يحذق فنه » .

« وأما أهل الأندلس ، فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذى يراعونه فى التعليم ، الا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ، ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا فى التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطونه فى تعليمهم للولدان رواية الشعر فى الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها ، وتجويد الخط والكتابة » .

---

(١) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق - مرجع سابق - ص ٣٠ .

(٢) ارجع الى ص ٩٥ من الرسالة .

« وأما أهل أفريقيا فيخلطون فى تعليمهم للولدان القرآن بالحديث فى الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها الا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه ، وعنايتهم بالخط تبع لذلك » .

« وأما أهل المشرق فيخلطون فى التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدرى بم عنايتهم منها ، والذى ينقل الينا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه فى زمن الشبيبة ، ولا يخلطونه بتعليم الخط ، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها فى مكاتب الصبيان » (١) .

وعلى الرغم من هذا الخلاف فى المنهج الذى يدرسه الصبيان وفى ترتيب العلوم التى يبدءون بتعلمها ، الا أن الملاحظ أن القرآن الكريم فى جميعها كان نقطة الارتكاز والمحور الذى يدور حوله التعليم فى الكتاتيب ، فبعض البلدان كان منهج تعليم الصبيان فيها يقتصر عليه ، ولا يخلط بسواه من التعليم ، وبعضها كان المنهج فيها يشتمل على القرآن وغيره من العلوم كالخط والعربية والكتابة ورواية الشعر .

ونستطيع أن نتعرف على منهج التعليم للمرحلة الأولى فى بلدان المشرق ، من عرض ابن سينا لهذا المنهج فى قوله : « فاذا اشتدت مفاصل الصبى واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعى سمعه أخذ فى تعلم القرآن ، وصور له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين ، وينبغى أن يروى الصبى الرجز ثم القصيدة فان رواية الرجز أسهل وحفظه أمكن لأن بيوته أقصر ووزنه أخف » ، « على أن يختار من الشعر ما قيل فى فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وما حث منه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف » (٢) .

وأيضا مما ذكره ابن مسكويه فى وصفه للعلوم والفضائل التى يأخذ الناس بها أنفسهم منذ الصبا بقوله : « فمن اتفق له فى الصبا أن يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ، ثم ينظر بعد ذلك فى كتب الأخلاق

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مطبعة مصطفى محمد ـ بدون تاريخ ـ ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

(٢) ابن سينا : السياسة ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧٤ .

حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن فى نفسه بالبراهين ثم ينظر فى الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان ثم يتدرج فى منازل العلوم فهو السعيد الكامل »(١) ٠

وكذلك من حديث ابن العربى عن منهج التعليم فى المشرق بقوله : « وللقوم فى التعليم سيرة بديعة وهى أن الصغير منهم اذا عقل بعثوه الى المكتب ، فاذا عبر المكتب أخذوه بتعلم الخط والحساب والعربية ، فاذا حذقه كله وحذق منه ما قدر له خرج الى المقرىء فلقنه كتاب الله فحفظ منه كل يوم ربع حزب أو نصفه أو حزبا ، حتى اذا حفظ القرآن خرج الى ما شاء الله من تعليم أو تركه » (٢) ٠

ومما سبق يتبدى لنا اهتمامات مجتمع القرن الرابع الهجرى بالثقافة الاسلامية ، بعناصرها الأصيلة ، من قرآن ومعارف دينية وأخلاق وعربية وشعر ٠

فالصبى يتعلم القرآن فى الكتاب ، ويلقن معالم الدين من صلاة ووضوء وغيرهما ويتعلم الهجاء بأن تصور له حروفه ثم بروى الصبى الشعر ، ولصغر سن الصبى فى هذه المرحلة ينصح بأن يروى الرجز وهو نوع من الشعر حفظه أسهل وروايته أيسر وأبياته أقصر ووزنه أخف ، حتى اذا كبر يروى القصيدة ، وفى ذلك مراعاة للمستوى العقلى للصبيان ، حين يبدأ تعليمهم بالسهل ، ثم يتدرج معهم الى الصعب ، كما يعلم الخط والحساب ٠

كما حرص رجال التربية على التربية الوجدانية أو الذوقية باشتمال المنهج على الشعر الخفيف ذى الأوزان السهلة بموسيقاه التى تحمل لنفس الصبى طربا ومرحا بجوار ما يحض عليه من قيم وفضائل خلقية ٠

فالمنهج على ذلك فى المشرق يشتمل على القرآن الكريم والعبادات والكتابة والحساب والشعر والخط ٠

والشعر الذى يرى المربون فى القرن الرابع تقديمه للصبى هو الشعر الهادف الحامل للقيم والفضائل الخلقية بين أبياته ، أو هو الأدب الملتزم الذى يفيد فى تهذيب الصبى وفى تربيته التربية الخلقية التى هى ـ كما أشرنا من قبل ـ المحور الذى تدور حوله برامج التعليم ومناهجه فى التربية الاسلامية ،

---

(١) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ١٧ ٠

(٢) أبو بكر العربى : أحكام القرآن ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٩١ ٠

ومن هنا جاء تحذير ابن مسكويه ، من تقديم الأشعار السخيفة للصبيان ، وذلك لضررها ، « ويحذر النظر فى الأشعار السخيفة ، وما فيها من ذكر العشق وأهله وما يوهمه أصحابها من أنه ضرب من الظرف ورقة الطبع فان هذا الباب مفسدة للأحداث جدا » (١) .

ومن هذه الرعاية الخلقية والعناية بتقديم الأدب الهادف، يتكون لدى الصبى ما يسمى بالضمير ، فى علم الأخلاق .

وباشتمال المنهج على الخط الى جوار الشعر يظهر تقدير المسلمين فى القرن الرابع الهجرى للفنون وادراكهم لقيمها فى الحياة فكلاهما فن من الفنون التى تكسب التذوق الفنى والتربية الجمالية .

فاذا ما اتجهنا الى المغرب لنتعرف على منهج الكتاب هناك طالعنا الفقيه السنى « القابسى » بمنهج يتلاءم ومتطلبات المجتمع ، ذلك لأن الشخصية تتحدد بالثقافة التى تنشأ فيها « فالتربية اذ تهتم بانماء الشخصية تعتمد على ثقافة المجتمع الذى توجد فيه » (٢) .

فالقرآن محور الدراسة « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٣) ، « وما زال المسلمون، وهم يرغبون فى تعليم أولادهم القرآن ، وعلى ذلك يربونهم وبه يهدونهم وهم أطفال لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا »(٤) ، والعبادات جزء من هذا المنهج « وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها ويدربوهم عليها ويؤدبوهم بها ، ليسكنوا اليها ويألفوها » (٥) ، « وينبغى للمعلم أن يأمرهم بالصلاة ، اذا كانوا بنى سبع سنين ، ويضربهم عليها اذا كانوا بنى عشر »(٦) .

ويشتمل المنهج على النحو وذلك لاعراب الكلمات اعرابا يوضح معناها ، وذلك متمم لدراسة القرآن والعلم به على وجه صحيح ، ذكر القابسى عن ابن وهب

---

(١) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠ .

(٢) ا. ك. اوتاواى : التربية والمجتمع - ترجمة الدكتور وهيب سمعان وآخرين - القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٧٠ - ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٢٥ - أ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥ - أ .

(٥) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٢٧ - أ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٣ - ب .

« قلت للحسن أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويصلح بها منطقه ؟ قال : نعم فليتعلمها ، فان الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك » (١) .

كذلك اشتمل المنهج على تعلم الهجاء والخط ، لكتابة القـرآن والنطق به صحيحا ، « وينبغى أن يعلمهم (أى المعلم) اعراب القرآن ، وذلك لازم لـه ، والشكل والهجاء والخط الحسن » (٢) .

كما تضمن المنهج مواد أخرى تأتى فى مرتبة ثانية بعد القرآن والنحو والكتابة والخط ، مثل الحساب « وينبغى له (للمعلم) أن يعلمهم الحساب وليس ذلك بلازم له » (٣) ، وقد نظر فقهاء المسلمين الى الحساب من وجهة نظر دينية ، فعندهم الحساب فرض كفاية وهو ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وكذلك الشعر وينبغى أن يقتصر منه فى المنهج « على ما يقيم لسانه ويفصحه ويأنس اليه فى بعض الوقت ، ويستشهد به فيما يريد بيانه » (٤) ، واتفق هذا الفقيه مع غيره من رجال التربية فى هـــذا العصر ، فى ضرورة تقديم الشعر الأخلاقى والبعد عن الأشعار التى فيها « ذكر الحمية والخنا أو قبح الهجاء » (٥) . والذى يظهر لى أن غالبية المربين من المسلمين ، ان لم يكونوا جميعا ، قد ذهبوا الى ضرورة تقديم الشعر الخلقى ، وكذلك حفظ الصبيان من الأشعار الخالية من الهزل والمجون ، فانها تغرس فى نفوس الأطفال بذور الفساد (٦) .

كذلك تضمن المنهج التاريخ والسير « ولا بأس أن يعلمهم من كلام العرب وأخبارها وليس ذلك بواجب عليه » (٧) ، والغرض من دراسة التاريخ والسير عند المسلمين هو التشبه بالرجال والأبطال والصالحين ، والاقتداء بهم ، كما بين الانبابى ذلك بقوله « وأن يوجهه الى المكتب ، فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم ، لينغرس فى نفسه حب الصالحين » (٨) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥ ـ ب ، ٤٦ ـ أ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ أ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤ ـ أ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ ـ ب .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤ ـ ب .

(٦) راجع الغزالى : احياء علوم الدين ـ القاهرة ـ المطبعة الازهرية ـ ١٣١٦ هـ ـ ج ٣ ، ص ٦٢ .

وأيضا ، شمس الدين الانبابى (مرجع سابق) ، ص ٢ ، ٣ .

(٧) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٤٤ ب .

(٨) شمس الدين الانبابى (مرجع سابق) ، ص ٢ .

فالمنهج على ذلك يتضمن القرآن الكريم وهو أساس المنهج وأهم مواده ، والهجاء للتدريب على قراءته ثم العبادات ثم النحو والعربية والخط فانها من معانى التقوية على القرآن ، ويتضمن الى جانب ذلك فى بعض الأحيان الحساب والشعر وأيام العرب .

وهكذا عكس منهج الكتاب ثقافة مجتمع القرن الرابع وأكد اهتمامه بالتربية الخلقية وليس غريبا أن يظل منهج تعليم الصبيان فى كتاتيب القرن الرابع الهجرى هو المتبع فى كتاتيب المسلمين فى كل عصر حتى عهد قريب حين كانت القيم الدينية والخلقية هى أبرز قيم المجتمع عموما ، فقدم المنهج ثقافة المجتمع الاسلامى لصبيانه وراعى تراثه الثقافى ومعاييره وآماله .

وقد يوجه النقد الى هذا المنهج فى أنه حصر اهتمامه على تحصيل المادة الدراسية وحفظها واستظهارها وأغفل ميول التلاميذ ولم يعتمد فى اكتساب الخبرة على نشاط التلاميذ أنفسهم ، وفى اغفاله للرياضة البدنية رغم أهميتها .

أما مراعاة الميول والاتجاهات والاعتماد على نشاط المتعلم فى اكتساب الخبرة فذلك تقدم فى المنهج الدراسى لم يصل اليه المربون الا من وقت قريب تقدمت فيه أبحاث التربية وعلم النفس فى النمو وفى الميول والقدرات نتيجة للتطور الذى لحق المجتمع فى كل نواحيه ونتيجة للتقدم العلمى الهائل .

أما عن الرياضة البدنية فلم يفت فلاسفة التربية فى القرن الرابع أن يتحدثوا عن أهميتها ودورها فى بناء التلاميذ ، فذكر ابن سينا قوله : « واذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤدب والمعلم ويدرج أيضا فى ذلك ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرة واحدة ، واذا بلغ سنهم هذا السن نقص من أحمامهم وزيد من لعبهم قبل الطعام ... وليطلق لهم من الماء البارد العذب النقى شهوتهم ويكون هذا النهج فى تدبيرهم الى أن يوافوا الرابع عشر من سنهم فيدرجون فى تقليل الرياضة » (١) .

وذكر ابن مسكويه : « ويعود المشى والركوب والرياضة ، حتى لا يتعود أضدادها » (٢) .

ويرجع اهمال الرياضة فى الكتاتيب الى أن معلم الكتاب فى هذا العصر

---

(١) ابن سينا : القانون – مرجع سابق – جـ ١ – ص ١٥٨ .

(٢) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق – مرجع سابق – ص ٢٠ .

كان فقيهـا ، ينحصر عمـله فى تحفيظ التلاميذ القرآن ، وتعليمهم الكتـابة ، وكان تعليم التلاميذ القرآن والكتابة والنحو والعربية والحساب يستغرق كل وقت الصبيان فلا يتسع بعد ذلك للرياضة ، كما أن الكتاب ـ كما هو معروف عن الكتاتيب ـ كان مكانا متواضعا لا يزيد على حجرة أو حانوت فى دار ليس فيه متسع ليمارس التلاميذ فيه ألوان الرياضة والألعاب المختلفة ٠

ومع ذلك فلا أرى عذرا لاغفال المنهج فى المرحلة الأولى فى القرن الرابع الهجرى للتربية البدنية فهى لازمة لصحة البدن التى تنعكس بدورها على قدرة التلاميذ على استيعاب دروسهم وتحصيل شتى المعارف ٠

وليس من الانصاف أن نحكم على منهج تعليم الصبيان فى القرن الرابع فى ضوء مقاييس عصرنا الحاضر ، بل ينبغى أن نحكم على المنهج فى ضوء ظروف العصر وثقافة المجتمع آنذاك وآماله وتطلعاته ، فالمنهج فى القرن الرابع بهذه الصورة كان مناسبا لذلك العصر حيث استطاع أن يقدم ثقافة المجتمع للصبيان بقصد تشكيلهم على نحو يجعلهم قادرين على أن يكونوا حمـلة لهـذه الثقافة ومساهمين ـ فيما بعد ـ فى بناء ذلك المجتمع والنهوض به ٠

ويبدو لى أن الامتحانات بشكلها المعروف الآن فى عصرنا الحديث لم تكن معروفة فى التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ولقد عثرت على اشارة ذات صلة بالامتحانات فى الكتاب حينئذ وهى قول القابسى (انما دراسة الصبيان أحزابهم ، وعرضهم اياه على معلميهم ، فى عشى الأربعاء وغدو يوم الخميس) (١) ، حيث يعرض الصبيان أحزابهم على معلميهم، ويتأكد المعلمون من حفظ التلاميذ لها، باستظهارهم اياها ٠ والذى يظهر لى أن المعلمين كانوا أحرارا فى تقرير الطريقة التى يتأكدون بها من تحصيل التلاميذ لما درسوه ٠

* * *

منهج التعليم للمرحلة العالية :

عرف منهج التعليم للمرحلة العالية فى القرن الرابع الهجرى ، المواد العامة التى يجب أن يدرسـها الطلاب جميعا ، والمـواد التى تخضع لميول المتعلم واهتماماته وهذه المواد العامة هى المواد الدينية واللغوية ٠

---

(١) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٦٠ ـ ب ٠

وفى هذا العصر تعددت العلوم ، وتعددت بالتالى المناهج نظرا للازدهار الثقافى الذى عاشه القرن الرابع الهجرى ، واختلفت المناهج باختلاف الغرض الذى يرمى اليه المتعلم ، فمنهج من أعد نفسه ليكون كاتبا غير منهج من أراد أن يكون محدثا وكلاهما غير من أراد أن يكون طبيبا أو فيلسوفا ، ونقرأ فى تراجم كثير من العلماء انهم ذهبوا الى المكاتب ثم ذهبوا الى حلقات الدروس حسب ميولهم فمنهم من يتعلم الشعر ومنهم من يأخذ الحديث وتفسير القرآن ومنهم الكلام وكثير منهم كان يجمع بين هذه الأشياء فيلازم شيخا ، حتى يأخذ علمه ، ثم يتحول الى حلقة أخرى (١) ، وهكذا كانت المناهج مختلفة ومتشعبة ٠

ولم يكن الطالب فى هـذه المرحلة مقيدا بدراسـة مواد معينة ٠ كذلك الأستاذ ، حيث لم يفرض عليه منهج خاص ، لتدريسه لطلابه ٠

وقد ذهب بعض الباحثين الى تقسيم المناهج فى المرحلة العالية الى قسمين رئيسيين (٢) :

أ ـ المنهج الدينى الأدبى : ويتلخص فى :

(١) علم الفقه الذى يبحث فى الصلاة والصوم والزكاة والزواج والبيع والشراء ٠

(٢) علم النحو ٠

(٣) علم الكلام ٠

(٤) الكتابة ٠

(٥) العروض ٠

(٦) علم الأخبار ، وخصوصا تاريخ الفرس والتاريخ الاسلامى ، وما قبل الاسلام وتاريخ الاغريق والرومان ، وفى حالات كثيرة كان يدرس الحساب نظرا لفائدته فى الميراث ومعرفة التقويم.

---

(١) احمد امين : ضحى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٩٦ ٠

(٢) اسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ٦٠ ، ٦٢ ٠
وايضا : محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٧ ، ١٧٢ ٠

ب - المنهج العلمى الأدبى : وقد شمل هذا المنهج كل ما عرفه العصر من علوم الاغريق والهنود والفرس من علوم رياضية وطبيعية وفلسفة وطب وموسيقى بعد ترجمتها الى اللغة العربية ، الى جانب العلوم العربية ، من لغة ودين ٠

ولا نستطيع الجزم بأن هذا التقسيم للمنهج كان مطبقا فى القرن الرابع الهجرى ٠ ويبدو أن منهج المرحلة العالية فى الفترة التى تناولها البحث ، لم يكن مقسما الى مواضيع معينة كالفقه والحديث وغير ذلك من العلوم ، بل كان الطلبة يدرسون العلوم المختلفة على الشيوخ من كتب توارثها الشيوخ من العلمــاء السابقين أو ألفها أولئك الشيوخ ، ولم يكن هناك نظام خاص للتعليم بل كان التعليم مسئولية تقع على الطالب نفسه مدفوعا فى ذلك بميوله ورغباته ، ويتضح ذلك من تعدد الاجازات الممنوحة للطالب الواحد فى فروع مختلفة للعلم من شيوخ متعددين فى أمكنة وأزمنة مختلفة ٠ وقد سبقت الاشارة الى أن ابن سينا قرأ على شيوخه عدة كتب ، هى كتاب الصفات ، وكتاب غريب المصنف ، ثم أدب الكتاب ، واصلاح المنطق ، وكتاب العين ، وشعر الحماسة ، وديوان ابن الرومى ، وتصريف المازنى ، ونحو سيبوية ، مما يدل على أن الطالب كان يدرس كتبا ، لا مواضيع ، كالفقه وعلم الكلام والحديث وغيرها ٠

واذا أردنا حصرا لفروع العلم المختلفة التى كانت تدرس فى الفترة التى تناولها البحث فعلينا أن نرجع الى مؤلفات هذا العصر والى الكتب التى أحصت هذه العلوم ، مثل مفاتيح العلوم للخوارزمى ، ورسائل اخوان الصفاء ، وهى تشتمل على « ٥٢ رسالة تبحث ١٤ رسالة منها فى الرياضيات والمنطق ، ١٧ فى العلوم الطبيعية وعلم النفس ، ١٠ فى الميتافيزيقا ، وأخيرا ١١ فى موضوعات أخرى من التصوف والسحر والتنجيم » (١) ، وكتب التراجم التى سبق الاشارة اليها ، كوفيات الأعيان لابن خلكان ، والفهرست لابن النديم ، وعيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ، وغيرها ٠

ولعل نظرة فاحصة يلقيها المتأمل على الأوصاف التى حفظتها لنا كتب التاريخ الثقافى - عن القرن الرابع الهجرى - لمكتبات بغداد والقاهرة وقرطبة وما كانت تحتويه من مئات الكتب فى فروع العلم المختلفة ، توضح لنا عمق مناهج التعليم ، فى هذه المرحلة العالية ، وشمولها واتساع نطاقها ، ومن هذه العلوم :

---

(١) الدومييلى : العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى - نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ، الدكتور محمد يوسف موسى - قام بمراجعته على الاصل الفرنسى الدكتور حسين فوزى - جامعة الدول العربية - الادارة الثقافية - الطبعة الاولى - دار القلم - ١٩٦٢ - ص ٢٥٦ ٠

« **العلوم العقلية** : كالفلسفة النظرية بأقسامها الثلاثة الالهى والرياضى والطبيعى ، والفلسفة العملية كذلك بأقسامها الثلاثة : الأخلاق وعلائق الأسرة والسياسة ، وما كتب فى ذلك من مطولات الكتب فيما وراء الطبيعة،عن الألوهية والعقل المدبر والنفس الكلية ثم العقول والنفوس البشرية .

وفى الرياضة : عن الأفلاك ... ثم عن الحساب والهندسة والموسيقى .

وفى علم النفس : عن القوى والملكات والغرائز والعادات .

وفى الطبيعة : عن الكيمياء والتشريح والطب .

وفى الأخلاق : عن الخير والشر والفضيلة والرذيلة والسعادة والضمير والخلق ...

وفى السياسة : عن أنواع الأنظمة ، وما يصلح لسعادة الشعوب ، ثم كيفية تكوين الممالك ، أو المدن الفاضلة ، التى هى الرمز الأعلى للانسانية .

وفى المنطق : عن المفرد والمركب والجزئى والكلى والتصور والتصديق والقضية والقياس والاستقراء والبرهان والحجة الاقناعية والخطابية والسوفسطائية » (١) .

ولا غرابة فى ذلك فلقد وصلت حضارة المسلمين فى القرن الرابع الهجرى الى أقصى نموها وبلغ نشاطهم أبعد حدوده .

على أن الملاحظ أن الطلبة الذين درسوا العلوم الدينية كانوا أكثرية بالقياس الى الطلبة الذين درسوا العلوم العلمية ، فكان الفقهاء والمحدثون أكثر العلماء تلاميذ ، فقد جاء فى وفيات الأعيان على لسان الخطيب : « وحضرت تدريسه (أى أبو حامد الاسفرايينى) فى مسجد عبد الله بن المبارك ... وسمعت من يذكر انه كان يحضر درسه سبعمائة متفقه » (٢) ، كما ذكر السبكى فى طبقاته عن هذا الفقيه أن « جميع مجلسه ثلثمائة متفقه ... وقال الخطيب سمعت من يذكر أنه كان يحضر مجلسه سبعمائة فقيه ، وكان الناس يقولون لو رآه الشافعى لفرح به » (٣) ، وذكر فى حديثه عن الفقيه أبى الطيب الصعلوكى « وبلغنى أنه

---

(١) محمد غلاب : المعرفة عند مفكرى المسلمين - القاهرة - الدار المصرية للتاليف والترجمة - ١٩٦٦ - ص ١٤٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٧ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعلية الكبرى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٥ .

وضع فى مجلسه أكثر من خمسمائة متفقه عشية الجمعة الثالث والعشرين من المحرم ، سنة سبع وثمانين وثلثمائة » (١) •

على أن اللافت للنظر ، أن منهج التعليم لهذه المرحلة ، كان بعيدا كل البعد عن التخصص الضيق للعلوم ، بل كان يمتاز بالتوسع فى معرفة كثير من العلوم ، فدارس الطب لا يقتصر فى دراسته عليه فحسب، وانما يدرس الى جانبه علوما أخرى، بعضها يتصل بالطب اتصالا وثيقا ، وبعضها بعيد عنه ، كما كان على الفيلسوف مثلا أن يدرس الى جوار الفلسفة المنطق وعلوما أخرى ، ويتضح ذلك بجلاء فى قراءاتنا لتراجم علماء هذا العصر ، وكيف كان كل منهم رغم تخصصه واشتهاره بعلم من العلوم عالما بفنون أخرى ، فليس غريبا فى هذا العصر أن نرى النحوى اماما فى الحساب والهندسة « ومنهم أبو سعيد السيرافى شيخ الشيوخ وامام الأئمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافى والقرآن والحديث والكلام والحساب والهندسة » (٢) ، كما كان ابن سينا طبيبا وفيلسوفا وشاعرا (٣) ، وكذلك كان الفارابى والمنطقى وغيرهم •

فالتخصص الضيق لم يكن سمة منهج التعليم فى المرحلة العالية خلال القرن الرابع وهو ما يؤخذ على مناهج التعليم للمرحلة العالية فى عصرنا الحديث •

الاجازات العلمية :

لم تكن هناك درجات علمية تمنحها مؤسسة تعليمية أو جهة حكومية لمن أتم دراسته فى المرحلة العالية، و « انما كان الامتحان امتحان الرأى المحيط به ، من علماء ومتعلمين فمن آنس فى نفسه الكفاية على أن يجلس مجلس العلم جلس وتعرض لجدل العلماء ومناقشتهم » (٤) ، وكان الطالب يحصل على اجازة أو اجازات ، تجيز له رواية الحديث أو تدريس كتاب أو الافتاء ، من شيخه الذى تلقى عليه العلم (٥) • ذكر القلقشندى « أما الاجازة بالفتيا ، فقد جرت العادة على أنه اذا

---

(١) المرجع السابق — ج ٣ — ص ١٧٠ •

(٢) أبو حيان التوحيدى : المقابسات — مرجع سابق — ص ٥٨ •

(٣) عباس محمود العقاد : الشيخ الرئيس ابن سينا — دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية — كتاب رقم ٤٦ من سلسلة — اقرأ — ١٩٦٧ — ص ١٠٣ وما بعدها •

(٤) عبد الله حسين (مرجع سابق) ، ص ١٧٥ •

(٥) انظر نماذج لهذه الاجازات عند : اسماء حسن فهمى — مرجع سابق — ص ١٥٠ • وأيضا القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا — مرجع سابق — ج ١٤ — ص ٣٢٢ — ٣٣٥ •

تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له شيخه فى آن يفتى ويدرس ويكتب له بذلك » (١) • وقد تكون الاجازة شفهية ، فيأذن الشيخ لتلميذه أن يروى عنـــه الأحاديث ، أو كتابا فى علم من العلوم ، قال السبكى « أخبرنا أبو سعيد خليل ••• سماعا » (٢) ، و « قال ابن الصابونى سماعا ، وقال الدميرى اجازة » (٣) •

والاجازة « رخصة شخصية ولا علاقة لها بمعهد تعليمى ، ويمنحها الشيخ عادة بعد أن يقتنع بصلاح المستجيز لرواية الحديث عنه ، فالطالب للحـديث يستجيز العـــالم علمه ، أى يطلب اعطاءه له على وجه يحصل به الاصـــلاح لنفسه »(٤) •

ولقد كان تعدد هذه الاجازات لطالب واحد من شيوخ مختلفين دليلا على أن الدراسة فى القرن الرابع وفى المرحلة العالية لم تكن مقيدة بمناهج معينة تشتمل على مواضيع مختلفة كالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك ، بل كان يدرس الطالب كتبا مختلفة المواضيع على أكثر من شيخ واحد عادة •

وهناك شروط لصحة الاجازة ، منها :

« **أولا** : أن يكون مانح الاجازة عارفا بموضوعه ، وعرف عنـــه أنه من العلماء الذين يعتمد عليهم •

ثانيا : يجب أن يكون طالب الاجازة من طلاب العلم المجدين وأن تثبت جدارته للتعليم ، وذلك أن الاجازة يجب أن لا تعطى الا لأولئك الذين يبحثون عن المعرفة » (٥) •

التخصص فى التعليم :

يأتى التعليم المتخصص بعـد مرحلة الدراســة العامة ، وعقب ظهور ميول الطالب واتجاهاته ، وعلى ضوء تلك الميول وهذه الاتجاهات ، يحدد الفتى لنفسه نوع الدراسة أو نوع العمل الذى يتخصص فيه •

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا — مرجع سابق — ج ١٤ — ص ٣٢٢ •
(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى — مرجع سابق — ج ٢ — ص ١٩٤ •
(٣) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى — مرجع سابق — ج ١ — ص ١٢٨ •
(٤) عبد الله فياض (مرجع سابق) ، ص ٢٤٠ •
(٥) المرجع السابق ، ص ٢١٤ •

وقد ذكرنا فى الحديث عن الحياة الفكرية للقرن الرابع أن هناك أسبابا كثيرة فى هذا العصر دعت الى التخصص المهنى والتربوى (١) .

وليس غريبا على التربية الاسلامية فى عصر الازدهار الثقافى أن تدعو الى مراعاة ميول الفتى واتجاهاته فى تحديد مستقبله وتحديد نوع المهنة أو الدراسة التى تتقبلها نفسه ، فلا تفرض هذه التربية على الفتى ما لا يتفق وطبيعته وما لا تقبله ميوله فليس « كل صناعة يرومها الصبى ممكنة له مواتية ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ، اذن ما كان أحد غفلا من الآداب وعاريا من صناعة ، واذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات ، وربما نافر طباع الانسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشىء » ، « ولذلك ينبغى لمدير الصبى اذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبى ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك » (٢) .

فالله سبحانه قد خلق الناس مختلفى الميول والاستعدادات والقدرات ، ولهذا ينبغى أن تراعى هذه الميول والقدرات ، ضمن اطار الأيديولوجيا الاسلامية العامة ونظرتها الى الانسان وقد رأينا أنها تتناول الكائن البشرى كله على ما هو عليه بفطرته التى خلقه الله عليها ، وباستعداداته واتجاهاته وميوله وقدراته(٣)، وبهذا يستطيع الانسان ــ وهو مخلوق ذو رسالة ــ أن يقوم برسالته فى مجتمعه وأن يؤدى دوره فى الحياة الاجتماعية ، ولولا هذا الاختلاف فى الميول والاتجاهات ما كان هذا التنظيم الاجتماعى والتكامل الانسانى .

واذا كانت التربية الاسلامية فى القرن الرابع وفى كل عصور الاسلام القوية « تدور حول تنمية الفرد من مختلف جوانبه ورعاية نموه بحيث يكون هذا النمو متكاملا يقدر به أن ينفع نفسه ويستمتع بحياته ويساهم فى بناء مجتمعه » (٤) ، فان ذلك لن يتحقق دون مراعاة الميول والاتجاهات والاستعدادات .

وقد أدرك فلاسفة هذا القرن أن الناس تختلف اختلافا بينا فى تلك الميول والقدرات ، وآية ذلك كما رأى ابن سينا أن واجدا من الناس « تواتيه البلاغة ، وآخر يواتيه النحو وآخر يواتيه الشعر وآخر يواتيه الخطب وآخر يواتيه النسب ولهذا يقال بلاغة القلم وبلاغة الشعر ، فاذا خرجت من هذه الطبقة الى طبقة أخرى

---

(١) ارجع الى ص (٨٠ ، ٨١) من الرسالة .

(٢) ابن سينا : السياسة ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٧٥ .

(٣) ارجع الى ص (٤٠) من الرسالة .

(٤) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٨٩ .

وجدت واحدا يختار علم الحساب وآخر يختار علم الهندسة وآخر يختار علم الطب ، وهكذا تجد سائر الطبقات اذا افتليتها طبقة طبقة ، حتى تدور عليها جميعا » (١) ، ولذلك ينبغي لمدير الصبى اذا رام اختيار صناعة ، أن يزن أولا طبع الصبى ويسبر قريحته » (٢) ، وتبدو هذه الميول فى سلوك الصبى وتصرفاته ، ومن السهل لمدير الصبى ملاحظتها .

وقد وقف فلاسفة القرن الرابع على صنف من الناس لا يستجيب لأى لون من ألوان التربية ولا تسمح له قدراته بمزاولة مهنة من المهن أو دراسة علم من العلوم وهم المتخلفون عقليا « وربما نافر طباع انسان جميع الآداب والصنائع فلم يعلق منها بشىء » ، والدليل على ذلك « أن أناسا من أهل العقل رأوا تأديب أولادهم واجتهدوا فى ذلك وأنفقوا فيه الأموال ، فلم يدركوا من ذلك ما حاولوا » (٣) .

وهكذا أدركت التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى قيمة الميول والاستعدادات فى تحديد مهنة الصبى واختيار نوع دراسته ، كما أدركت العلاقة بين هذه الميول وحاجات المجتمع ، فالانسان فى الاسلام مطالب أن يحسن عمله فاحسان العمل عبادة لله ، وثمرة العمل الخاص ملك للجماعة ، وعائدة عليها (٤) ، ولن يستطيع ذلك ما لم يوافق هذا العمل ميوله ، ويناسب قدراته واستعداداته .

كما أدركت أن المرحلة العالية من التعليم هى مرحلة التخصص للوفاء بحاجات المجتمع . ولم يكن التخصص فى مرحلة التعليم الأولى ، حيث لم تظهر بعد الميول والقدرات . كما عرف القرن الرابع التخصص فى المهنة الواحدة ، فضلا عن التخصص فى مهنة أو علم معينين ، ففى هذا العصر ازدهر الطب وكثر الأطباء وكان الأطباء بحسب تخصصهم أنواعا مختلفة . « والطبيب فى هذا الحديث يتناول من يطب بوصفه وقوله ، وهو الذى يختص باسم الطبائعى ، وبمروده وهو الكحال ، وبمبضعه ومراهمه وهو الجرائحى ، وبموساه وهو الخاتن ، وبريشته وهو الفاصد وبمحاجمه ومشرطه وهو الحجام ، وبخلعه ووصله ورباطه وهو المجبر ، وبمكواته وهو الكواء ، وبقربته وهو الحاقن ، وسواء كان طبه لحيوان بهيم أو انسان فاسم الطبيب يطلق لغة على هؤلاء كلهم » (٥) .

---

(١) ابن سينا : السياسة — مرجع سابق — ص ١٠٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٧٥ .

(٤) ارجع الى ص (٤٥) من الرسالة .

(٥) ابن القيم الجوزية : زاد المعاد — القاهرة — مكتبة الازهر — الطبعة الثانية — بدون تاريخ — ص ١١٠ .

وهكذا نرى أنّ التخصص ظهر فى المهنة الواحدة ٠

وخلاصة القــول : أن مرحلة التخصص فى القرن الرابع ، كانت تأتى فى مرحلة الدراسة العالية وبعد فترة دراسية عامة يتلقى فيها الطالب أساسيات الثقافة الاسلامية وبعد أن تظهر ميوله واتجاهاته ٠

ومن هذا العرض لمناهج التعليم فى القرن الرابع الهجرى يمكن استخلاص النتائج الآتية :

أولا ـ مناهج المرحلة الأولى :

١ ـ كانت التربية الخلقية هى المحور الذى تدور حوله برامج التعليم فى هذه المرحلة وقد عكس ذلك منهج هذه المرحلة باهتمامه بعلوم الدين من قرآن وعبادات وبحرصه على تقديم الشعر الحامل للقيم الخلقية وبتقديم سير الصالحين للاقتداء بهم ٠

٢ ـ كان القرآن الكريم محور الارتكاز الذى دار حوله المنهج وكان غيره من العلوم كالنحو والكتابة والخط معينة على دراسته وفهمه ، اذ كان جل الاهتمام موجها لحفظ التلاميذ لكتاب الله حيث حفظه كله أو بعضه ضرورة دينية للزومه فى الصلاة والعبادات ٠

٣ ـ لم يهمل المسلمون فى كتاتيب القرن الرابع الهجرى الفنون كما هو شائع ، وانما ظهر اهتمامهم بالناحية الفنية فى هذه المرحلة بتدريس الشعر وما يحدثه ذلك من أثر وجدانى وذوقى بأوزانه وقوافيه وموسيقاه ، وبتدريس الخط وهو فن من الفنون التى تساعد على التربية الجمالية ، ولم يشتمل المنهج على مواد فنية أخرى ، كالرسم والأشغال اليدوية ، لأن المسلمين حرموا تصــوير ذى الروح ، لما فيه من تشبه بالوثنية ٠

٤ ـ لم تدرس التربية الرياضية فى الكتاتيب ، رغم ادراك فلاسفة هذا العصر لقيمتها التربوية ونصائحهم بممارستها ٠ وربما كان ذلك بسبب طبيعة معلم الكتاب وهو فقيه ينحصر عمله فى تحفيظ التلاميذ القرآن ، وأيضا لطبيعة الكتاب التى لم تكن تسمح بممارسة أى لون من ألوان الرياضة ٠

٥ ـ لم تعرف الامتحانات فى كتاتيب القرن الرابع بشكلها المعروف لدينا الآن ، وانما كان المعلمون أحرارا فى تقرير الطريقة التى يتأكدون بها من تحصيل التلاميذ لدروسهم أو بالأحرى اظهار القناعة الشخصية التى يقيمون بها معرفة الصبيان الذين يعلمونهم ٠

٦ ـ راعت المناهج فى هذه المرحلة المجتمع ، وقدمت ثقافة هذا المجتمع للصغار ، وأعدتهم لحياة تلائم بيئة مجتمع القرن الرابع الهجرى ، ولكنها لم تراع ميول الصبيان أنفسهم واتجاهاتهم واستعداداتهم · ذلك لأن مراعاة الميول والقدرات من الاتجاهات الحديثة فى التربية ولم يقف عليها المسلمون فى القرن الرابع ·

ثانيا ـ مناهج المرحلة العالية :

١ ـ كانت هناك مواد مشتركة بين جميع المناهج سبقت جميع أنواع الدراسات المتخصصة وهى علوم الدين واللغة ، وكان على جميع الطلاب دراستها ·

٢ ـ لم تعرف مناهج التعليم فى المرحلة العالية التخصص الضيق للعلوم بل كان المنهج يمتاز بالتوسع فى معرفة كثير من العلوم والمواد الانسانية ·

٣ ـ كان الطلبة الذين يدرسون المنهج الدينى الأدبى أكثر من أولئك الذين يدرسون المنهج العلمى مما يدل على سيطرة العلوم النقلية آنذاك الى حد ما وربما كان ذلك بسبب أن الفقه كان يؤهل صاحبه لتولى منصب يتكسب به وأيضا لكراهية علماء المسلمين من الفقهاء للفلسفة بدعوى أنها تثير الشكوك فى النفوس ، كما رأينا عند الحديث عن الحياة الفكرية فى القرن الرابع ، وموقف الأمة الاسلامية من العلوم الوافدة ·

٤ ـ هناك ظاهرة يجدر الالتفات اليها ، وهى استقلال الأستاذ وقيمته فى التعليم وشهرته التى كانت تفوق شهرة المسجد أو المكان الذى يدرس فيه ، فقد كان المعلم فى القرن الرابع الهجرى هو عماد الحركة التعليمية ، وحيثما وجد المعلم وجد التعليم ، وقد كان حرا يدرس ما يشاء من علوم دون أن يتقيد بمنهج خاص تفرضه السلطة الحاكمة ·

٥ ـ لم تكن هناك درجات علمية تمنحها جهة مسئولة لمن أتم تعليمه فى هذه المرحلة وانما كانت هناك اجازات شفهية وكتابية يحصل عليها الطالب من شيوخه الذين درس عليهم وتلقى عنهم بعد أن يقتنع الشيخ بصلاح المستجيز لرواية الحديث أو الافتاء أو تدريس كتاب معين ·

٦ ـ لم يكن هناك منهج محدد فى هذه المرحلة على الطالب أن يدرسه ، بل تمتع الطالب بحريته فى اختيار المواد التى يرغب فى تعلمها والشيوخ الذين يدرس عليهم فنمت تبعا لذلك مسئولية الفرد نحو نفسه ، اذ كان عليه أن ينمى نفسه بنفسه بالاغتراف من مناهل العلم بقدر ما تطيق امكانياته ويتوفر له من علوم ·

طرق التدريس

تعددت طرق التدريس وتنوعت فى القرن الرابع الهجرى بتعدد العلوم ومعاهد التعليم آنذاك ، كما اختلفت طرق التدريس من مرحلة الى أخرى :

طرق التدريس فى المرحلة الأولى :

سادت طريقة التلقين والتكرار بسبب أن منهج التعليم كان يدور حول حفظ القرآن واستظهاره ، وقد اعتمد تحفيظ القرآن على التلقين والتكرار ، حيث كان الصبيان يقومون بتقليد معلميهم والحفظ عنهم ، وكان التلميذ يتدرج من الحفظ عن طريق التلقين والتكرار الى تعلم الكتابة فى اللوح وأيضا تعلم الحساب والفرائض (١) ، وكان التلاميذ قبل تعلم القراءة فى المكتب يحفظون من القرآن سورا قصيرة بطريقة التلقين والتكرار (٢) .

وكان الحفظ والاستظهار كوسيلة للتعلم أمرا معروفا عند المسلمين قبل القرن الرابع ، وربما يرجع شيوخ تلك الطريقة الى « ما قبل الاسلام » ، حيث « العرب أميون لا يقرءون ولا يكتبون ، الا القليل منهم ، فاعتمدوا على الذاكرة فى حفظ أشعارهم ، فلما جاء الاسلام كان المسلمون يعتمدون على ذاكرتهم أكثر من اعتمادهم على الكتابة ... وقد عرف العرب بالحفظ وقوة الذاكرة للمرانة المستمرة والتعود على الحفظ » (٣) .

على ذلك كان الحفظ عنصرا هاما فى الثقافة الاسلامية ، يقول ابن قتيبة الدينورى « أول العلم الصمت والثانى الاستماع والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس النشر » (٤) ، فجاء الحفظ فى الترتيب قبل الفهم وأعمال العقل ، وكان

(1) Tritton, A.S., Materials of Muslim Education in the Middle Ages, London, Luzac. Co. L.T.P., 1957, p. 51.

(2) Dodge Rayard, Muslim Education in Medieval Times the Middle East Institute, Washington, D.C., 1962, pp. 3-5.

(٣) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - مرجع سابق - ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٤) ابن قتيبة الدينورى : عيون الاخبار - القاهرة - دار الكتب العربية - ١٩٢٥ - ص ١٢٢ .

تقدير العلماء يرجع في جزء منه الى ما يحفظونه فكثيرا ما نقرأ فى تراجم العلماء هذه العبارات « أملى كذا ألف حديث من حفظه ولم ينظر فى كتاب » أو « كان يحفظ من أول نظرة » (١) ، بل لقد حدثنا بعض المشهورين من علماء القرن الرابع عن حفظهم لبعض الكتب عن ظهر قلب (٢) ·

ولم يكن الحفظ والاستظهار خاصا بالقرآن الكريم أو الحديث الشريف ، وانما تعدى العلوم النقلية الى العلوم العقلية (٣) ·

وكان الصبى الممتاز فى الكتاب فى القرن الرابع هو الذى يجيد حفظ ما لقن كلمة كلمة وقد حفظ كثير من أبناء المسلمين القرآن واستظهروه وبعضهم لم يتجاوز العاشرة من عمره (٤) ·

وطريقة الحفظ والاستظهار تتطلب ذاكرة قوية (٥) ، وهى تقلل عادة من الابتكار والتفكير فمما لا شك فيه أن هذا النوع من الذاكرة يعتمد على الترابط الآلى بمعنى أن اللفظة الأولى تدعو للفظة الثانية ، والصفحة الأولى تدعو الصفحة الثانية، وهكذا من غير نظر الى المعنى، وكثيرا ماكان الأطفال يضطرون الى استعادة السورة بأكملها ، كى يعثروا على الجزء الذى يبغون عرضه على المعلم ، وهذا يقلل من قوة التفكير والاستنباط اللذين هما أساس الحياة العقلية ·

واذا كانت الحياة العقلية للفرد لا تنفصل عن الحياة الاجتماعية بل هى جزء منها ، وأن الطريق الذى تسلكه الحياة العقلية يستضىء بهدى المجتمع ، ويتأثر به ، وفى الوقت نفسه تتشكل الحياة العقلية بحيث تلائم المجتمع كان الحفظ والتلقين وسائل تربوية توافق المجتمع الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى حيث كان الغرض الأساسى من تعليم الصبيان فى الكتاتيب ، هو تحفيظهم القرآن ، والتربية عملية « اجتماعية أو ثقافية ··· تتأثر بالقوى والعوامل الثقافية التى أثرت وتأثر فى هذا المجتمع »(٦) ، وهى « نتاج من نتاجات المجتمع ، مثلها فى

---

(١) آدم متز (مرجع سابق) — ج ١ — ص ٢٥٣ ·

(٢) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء — مرجع سابق — ج ٢ — ص ٣ ·

(٣) واجع حديث ابن سينا عن حفظه لكتاب ما بعد الطبيعة لنفارابى عن ظهر قلب فى : ابن ابى اصيبعة — المرجع السابق — ج ٢ ، ص ٣ ·

(٤) المرجع السابق — ج ٢ — ص ٢ ·

(٥) خطاب على عطيه (مرجع سابق) ، ص ٧٧ ·

(٦) عبد الغنى عبود : التعليم مدى الحياة فى الاسلام — مرجع سابق — ص ٤٧ ·

ذلك مثل أى جانب ثقافى آخر ابتكره المجتمع ، وهى تتصف عادة بما يتصف به هذا المجتمع » (١) ، ومجتمع القرن الرابع كان حريصا على تحفيظ صبيانه القرآن الكريم للزومه فى العبادات والصلاة ، وهو حريص على أن « يستظهر الصبى القرآن حفظا من أوله الى آخره » (٢) ، لذا كان الحفظ والاستظهار طريقة من طرق التدريس للمجتمع آنذاك ·

وكانت القراءة الجهرية وسيلة شائعة حيث يردد التلاميذ آيات القرآن مضبوطة صحيحة خلف معلمهم ويكررها المعلم عدة مرات حتى يحفظها التلاميذ عن ظهر قلب ، ويرى البعض أن هذه الطريقة تدل على روح الحماسة الدينية (٣) ·

وقد وقف المسلمون على القيمة التربوية للقراءة الجهرية حيث « الجهر أفضل لأنه يوقظ القارىء ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ، ويطرد النـــوم ويزيد فى النشاط » (٤) ، كما جرت العادة فى الكتاتيب أن يقـــرأ الصبيان أحزابهم قراءة جهرية ، والمعلم يستمع اليهم جميعا وكان عليه أن ينتبه لقراءة كل منهم والا يغفل عن متابعته لتصحيح خطئه « لأن اجتماعهم فى القراءة بحضرته يخفى عليه قوى الحفظ من الضعيف » (٥) ، فان شعر المعلم أن بعض الصبية يلهو فلا يحفظ « فينبغى على المعلم أن ينظر فيما هو أصلح لتعليمهم فليأمرهم به ، ويأخذ عليهم فيه » (٦) ، كان يختبر « كل واحد منهم فى حزبه ، فيؤدبه على ما كان من تقصير » (٧) ·

طريقة تدريس الشعر :

لفلاسفة القرن الرابع التربويين طريقة خاصة فى تدريس الشعر، فقد كانوا يختارون للصبيان من الأشـعار ، ما كان سهل العبارة قصـير الأبيات خفيف

---

(١) ابو الفتوح رضوان (مرجع سابق) ، ص ٦ ·

(٢) القابسى - مرجع سابق - ص ٧٠ - ب ·

(٣) اسماء حسن فهمى - مرجع سابق - ص ٩٦ ·

(٤) السيوطى : الاتقان فى علم القرآن - القاهرة - مطبعة حجازى - الطبعة الثالثة - ١٩٤١ - ص ١٨١ ·

(٥) القابسى - مرجع سابق - ص ٦٩ - أ ·

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٩ - أ ·

(٧) المرجع السابق ، ص ٦٩ - ب ·

الوزن ، وذلك ليسهل عليهم حفظه (١) ، كما راعوا في اختيار هذا الشعر السهل ما قيل في مدح الأخلاق النبيلة ، وذم الرذيلة ، والحث على فعل المعروف (٢) ، أما أشعار الغزل المبتذل التى كان الشعر العربى يحفل بها فى القرن الرابع الهجرى فيجب أن لا تعطى فى تلك السن الصغيرة التى تتشكل فيها أخلاق الصبى ومثله وعاداته ، كما كانوا يبدءون فى تدريس الشعر من السهل الى الصعب حيث يدرس الصبى الرجز ، وهو نوع خفيف من الشعر قصير الأبيات ، ثم يتدرج منه الى دراسة القصيدة (٣) •

وقد سبقت الاشارة الى أثر الشعر فى التربية الوجدانية والذوقية التى تحدث فى نفوس الصبيان من أثر أوزان الشعر الخفيفة وكذلك اشباع ميولهم الغريزية للناحية الموسيقية بالشعر وقوافيه ذات الايقاع الموسيقى •

طريقة التدريس فى المرحلة العالية :

عرفت فى المرحلة العالية طرق متعددة للتدريس منها :

طريقة المحاضرات : وكان المحاضر يعتمد على الالقاء والتكرار حتى يتمكن السامعون من الحفظ خاصة فى حلقات الحديث ، وكان الطلبة يدونون ما يفهمونه من المحاضرات ، وتميزت هذه المحاضرات بما يتيحه الأستاذ من فرص أمام تلاميذه، من مناقشة ،والاستفسار عن الغامض مما يتيح لايجابية التلاميذ الظهور ، اذ كان الأساتذة يشجعون تلاميذهم على المناقشة ، « وكان المدرس يقوم مقام السائل ، فيلقى على طلابه بضعة أسئلة ليختبر فهمهم ، ثم يجيب بنفسه على ما تعسر أن يجيبوا عليه ، وهو بهذا يعطى فرصة للطلاب محدودى المواهب أن ينتفعوا بما تستدعيه هذه الأسئلة ، من اعادة للموضوع ، وزيادة بسط لمسائله » (٤) •

وتنقسم هذه الطريقة الى :

أ ـ طريقة الاملاء : سواء كان الاملاء من حفظ الشيخ أو من كتاب بين يديه ، وهى طريقة مشهورة ، حتى سميت بعض كتب هذا العصر بالأمالى ، مثل : أمالى المرتضى وأمالى القالى ، ولقد روى أن الجبائى المعتزلى « أملى مائة ألف ورقة

---

(١) ارجع الى ص (١٣٤) من الرسالة •

(٢) ارجع الى ص (١٣٤ ، ١٣٥) من الرسالة •

(٣) ارجع الى ص (١٣٤ ، ١٣٥) من الرسالة •

(٤) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧٧ •

وخمسين ، وما نظد فى كتاب » (١) ، كما أملى العالم عبد الله بن سليمان الأشعث (٣١٦ هـ) « ثلاثين الف حديث من حفظه » (٢) ، وكان المستملى يكتب أول الدرس « مجلس أملاه شيخنا فلان فى جامع كذا يوم كذا » (٣) . واذا كانت الحلقة كبيرة استعان المعلم بمستمل « يكرر على التلاميذ ما يقوله المعلم حتى لا يفوتهم شيء مما يقال » (٤) ، وقد قعد الوزير الصاحب بن عباد لاملاء الحديث ، وحضر خلق كثير « فكان المستملى الواحد ينضاف اليه ستة كل يبلغ صاحبه » (٥) ، وفى ذلك دلالة على امكان الاستعانة بأكثر من مستمل ، اذا كانت الحلقة كبيرة ، وقد كانت بعض حلقات الفقهاء فى ذلك العصر « يتراوح عدد طلابها بين ثلثمائة وسبعمائة » (٧) ، وتبدو الحاجة الى هذا المستملى ملحة اذا كانت الحلقة حلقة املاء الحديث ، ففيها يكون الطلاب حريصين على التأكد من صحة النقل وصحة الاسناد وسلامة المتن وهذه كلها أمور ضرورية لصحة النقل .

غير أن الحاجة الى طريقة الاملاء بدأت تقل تدريجيا فى القرن الرابع الهجرى مع انتشار الكتب ورواج صناعة الورق وان لم تختف طريقة الاملاء تماما فى هذا العصر (٧) .

ب ـ القراءة على الشيخ أو العرض : يقول ابن الصلاح : تتحقق القراءة « سواء كنت أنت القارىء أو قرأ غيرك وأنت تسمع أو قرأت من كتاب أو من حفظك ، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه ، أولا يحفظ ، لكن يمسك أصله هو أوثقة غيره » (٨) ، وقد يحدد الأستاذ كتابا يقرأ منه أحد الطلاب فى الحلقة ، ثم يشرح الأستاذ المادة المقروءة (٩) . وقد روت المصادر أن تلاميذ ابن سينا قرءوا

---

(١) احمد امين : ظهر الاسلام ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٢٥ .

(٢) آدم متز ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٥١ .

(٣) احمد امين : ظهر الاسلام ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٥٥ .

(٤) خطاب على عطيه ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٣ .

(٥) آدم متز ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٥٦ .

(٦) السبكى ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٥ ، ص ١٧٠ .

وابن خلكان : وفيات الأعيان ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٧ .

(7) Tritton, A.S., Materials of Muslim Education in the Middle Ages, London, Luzac. Co., L.T.P., 1957, p. 32.

(٨) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٤ ـ نقلا عن ابن الصلاح : المقدمة ـ ص ٢٠ .

(٩) راجع محمد عبد الرحيم غنيمة ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٣ ـ ١٨٦ .

عليه المجسطى مرة ، والشفاء مرة ، والقانون مرة ثالثة ،وابن سينا يشرح لهم(١)، كما قرأ الشيخ عبد الرحمن الرازى على تلاميذ فى بيته ، الكتاب الذى صنفه فى الجرح والتعديل (٢) • ويبدو أن التعليم بطريقة القراءة على الشيخ أو العرض ، يكون فرديا على الأغلب ويكون الطالب حرا فى اختيار الموضوع الذى يريد قراءته على الشيوخ ،«ويعرض الطالب عند دراسته للموضوع المذكور ،الكتاب الذى يحتوى ذلك الموضوع ، ويقرأ الطالب أو غيره الكتاب الذى يراد درسه بحضور الشيخ ، وحينئذ يتحقق اطلاع الشيخ على المعلومات التى احتواها الكتاب ، أو الكتب التى تدرس باشرافه وبحضرته ، وبعد أن تتم عملية التعليم يصح للتلميذ أن يروى الكتاب أو الكتب التى درسها على شيخه » (٦) •

طريقة المناظرة :

ولهذه المناظرة أثرها فى « شحذ الذهن ، وتقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير ، والفوق على الأقران ، وتعويد المناظرين الثقة بالنفس ، والقدرة على الارتجال »(٤) ، ولهذه الأسباب « عنى بها المسلمون ، وعدوها طريقة من طرق التعليم » (٥) • ولفائدة هذه الطريقة - كما قال الغزالى - « رؤى الرخصة فى علم المناظرة فى الفقهيات ، لأنها بواعث على المواظبة لطلب المباهاة أولا ، ثم بالآخرة يتنبه لفساد قصده ، ويعدل عنه الى النهج القويم » (٦) • والحق أن علماء المسلمين كانوا مولعين كل الولع بالمناظرة ، حتى أن المعتزلة جعلوا المناظرة « ركنا من أركان الاسلام » (٧) ، وكان العلماء « يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة ، ويوجبون عليهم التمرن عليها وكان الطالب يخالف أستاذه فى الرأى أحيانا مع مراعاة التأدب والاحترام »(٨) •

---

(١) ابن ابى اصيبعه : عيون الأنباء - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٥ - ٦ •

(٢) ابن تغرى بردى - مرجع سابق - ج ٣ - ص ٢٦٥ - حوادث (٣٢٧ هـ) •

(٣) عبد الله فياض - مرجع سابق - ص ٢٣١ •

(٥) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - مرجع سابق - ص ٢٠٩ •

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ •

(٦) ابو حامد الغزالى : ميزان العمل - مرجع سابق - ص ١٢٨ - ١٢٩ •

(٧) احمد امين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - ج ٢ - ص ١٢٩ •

(٨) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - مرجع سابق - ص ٢٠٩ •

التعليم بالمراسلة :

كانت المراسلة احدى طرق التدريس فى القرن الرابع ، اذ كان الطالب يرسل مسألته الى أستاذه ويتلقى منه الاجابة مكتوبة ، فاذا اشتهر عالم بعلم من العلوم فى أى بلد اسلامى أتته الرسائل من طلاب العلم فى أنحاء الدولة الاسلامية حاملة اليه مسائلهم واستفساراتهم فيجيب عليها ويبعث أجوبتـه للسائلين . فمثلا كتب المرزبان بن محمد الى أبى سعيد السيرافى يسأله عن مائة وعشرين مسألة أكثرها من القرآن وباقى ذلك من الروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه رضوان الله عليهم ، كما كتب اليه أبو جعفر كتابا يسأله عن سبعين مسألة فى القرآن ، ومائة كلمة فى العربية وثلثمائة بيت من الشعر ، وأربعين مسألة فى الأحكام ، وثلاثين مسألة فى الأصول على طريقـة المتكلمين (١) ، كما بعث داعى الدعاة الى المعرى كتابا « يسأله فيه لم كان نباتيا ، وحرم على نفسه أكل الحيوان ، وقد أحله الله »(٢) .

ويدل كتاب الهوامل والشوامل (٣) على وجود هذه الطريقة فى القـرن الرابع والكتاب عبارة عن أسئلة من التوحيدى سماها الهوامل وأجوبة عليها من ابن مسكويه سماها الشوامل « ومعنى الهوامل الابل السائمة يهملها صاحبها ويتركها ترعى والشوامل الحيوانات التى تضبط الابل الهوامل فتجمعها ، وقد استعار أبو حيان كلمة الهوامل لأسئلته المبعثرة التى تنتظر الجواب ، واستعمل ابن مسكويه كلمة الشوامل فى الاجابات التى أجاب عليها فضبطت هـوامل أبى حيان » (٤) .

كانت طرق التدريس السابقة هى المتبعة فى العلوم النقلية ، أما بالنسبة للعلوم العملية كالطب والكيمياء فقد عرف المسلمون فى هذا العصر الجمع بين النظر والتطبيق وفى أوائل هذا القرن كان أبو بكر الرازى يدرس الطب فى أول مدارس للطب ، نظرية وعملية ، وهى التى سميت بالبيمارستانات(٥) ، وكان

---

(١) راجع أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة — مرجع سابق — ج ١ — ص ١٣٠ .

(٢) احمد امين : ظهر الاسلام — مرجع سابق — ج ٢ — ص ٢٢٧ .

(٣) أبو حيان التوحيدى ، وابو على بن مسكويه : الهوامل والشوامل — تحقيق ونشر احمد امين والسيد احمد صقر — القاهرة — لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥١ م — فى ٣٣٩ صفحة .

(٤) المرجع السابق ، ص ج ، من المقدمة .

(٥) طه الراوى : بغداد مدينة السلام — الكتاب رقم ٢٧ من سلسلة — اقرأ — دار المعارف بمصر — فبراير — ١٩٤٥ — ص ٩٠ ، ٩١ .

تدريس الطب يتم فى البيمارستانات ، ليتمكن الطلاب « من التطبيق العملى للنظريات العلمية ، التى كان يلقيها الأساتذة على الطلاب ، وكان بالبيمارستان ، ايوان » ، « أى قاعة يستمع فيها الطلاب الى الدرس ، ثم ينسابون بين المرضى ليروا الأمراض ، وليعالجوها تحت اشراف أساتذتهم » (١) .

الرحلة فى طلب العلم :

- من وسائل التعليم المعروفة فى الاسلام الرحلة فى طلب العلم من أساتذته المشهورين ، حيث يخرج الطلاب فرادى وجماعات يسعون فى صبر لتحصيل العلم ، وهى مفيدة غاية الفائدة لأنها كما قال ابن خلدون تفيد كثرة الشيوخ وعلى « قدر كثرة الشيوخ ، يكون حصول الملكة ورسوخها » (٢) .

ولقد روت لنا المصادر أن مئات من طلاب العلم فى القرن الرابع الهجرى ارتحلوا ، وطوفوا فى أرجاء الدولة الاسلامية ، ليأخذوا العلم على رجاله ومشايخه (٣) ، وكانت قيمة الطالب آنذاك تقدر بما قام به من رحلات ، وبما قام به من لقاء الشيوخ والعلماء . فلا نزال نقرأ فى تراجم علماء القرن الرابع أمثال هذه العبارات « طوف بالبلاد — كان رحالا — رحل فى طلب العلم — طاف الدنيا شرقا وغربا » (٤) ، وذلك لأن المسلمين حينئذ كانوا يرون « أن العلم الذى يكسبه الطالب مشافهة من الشيخ أجدر بالاعتماد من العلم الذى يؤخذ من الدفاتر والكتب ، لذا كانوا يثنون على المشايخ الذين لم يستعملوا الكتب أثناء تدريسهم، ولذا كان العلماء يحذرون الطلاب من أخذ علومهم من بطون الكتب وينصحونهم بالقراءة على الشيوخ ، لأن من (تفقه من بطون الكتب ، ضيع الأحكام) » (٥) .

ولقد أدت الرحلات الى سرعة انتقال العلم والمؤلفات العلمية فى أرجاء المملكة الاسلامية ، فما أن ظهرت فى هذا العصر رسائل اخوان الصفاء حتى انتقلت فى وقت قريب الى المغرب ، حيث درست فى بلاد الأندلس (٦) .

---

(١) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ١٢٤ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة — مرجع سابق — ص ٥٤١ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة — مرجع سابق — ج ٣ — صفحات ١٩٤ — ٢٢٦ — ٢٢٨ — ٢٣١ — ٢٣٤ — ٢٥٩ ، ج ٤ — صفحات ١٣ — ٢٠ — ٥٩ — ١١١ .

(٤) المرجع السابق : نفس الصفحات .

(٥) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية — مرجع سابق — ص ٢٠٢ .

(٦) راجع جورج سارطون : الثقافة العربية فى رعاية الشرق الاوسط — ترجمة عمر فروخ — بيروت — منشورات مكتبة المعارف — ١٩٥٢ — ص ٣٩ ، ٤٠ .

المعلمون فى القرن الرابع الهجرى

أولا : معلمو الكتاتيب

فى صدر الاسلام ، كان الوالد يقوم بتحفيظ ولده القرآن الكريم . وتعليمه أمور دينه ، ولما انتشر الاسلام ، واستقر الأمر للمسلمين فى البلاد ، ندر أن يوجد من الناس « من يتطوع للمسلمين فيعلم أولادهم ويحبس نفسه عليهم ويترك التماس معايشه وتصرفه فى مكاسبه وفى سائر حاجياته » (١) ، لذا اتخذ المسلمون « لأولادهم معلما يختص بهم ويداومهم ويرعاهم » (٢) ، و « يحمل عن آباء الصبيان مؤنة تأديبهم ويبصرهم استقامة أحوالهم ، وما ينمى لهم فى الخير أفهامهم » (٣) ، اذ لو انتظر المسلمون « من يتطوع بمعالجة تعليم الصبيان القرآن لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هى القائدة الى السقوط فى فقد القرآن من الصدور والداعية التى تثبت أطفال المسلمين على الجهالة » (٤) ، فأرسل المسلمون أولادهم الى الكتاتيب وأسندوا تعليمهم الى المعلم ، حيث يحفظون القرآن وما يتطلبه ذلك من تعلم القراءة والكتابة .

اعداد معلم الكتاب وثقافته :

لم يرد فيما اطلعت عليه من مصادر ما يدل على أن معلمى الكتاتيب فى القرن الرابع الهجرى كانوا يعدون اعدادا مهنيا كما هى الحال اليوم .

أما ثقافتهم ودرجة تحصيلهم ، فقد ذهب البعض الى أن معلم الكتاب لم يتزود من العلم الا بالقليل ، حيث لا يحتاج فى عمله فى الكتاب الا حفظ القرآن الكريم والالمام ببعض النحو (٥) ، فمن وجد فى نفسه القدرة على القيام بهذا العمل، قام به من تلقاء نفسه، حيث لم يكن هناك من القوانين أو القواعد ما يقتضى

---

(١) القابسى - مرجع سابق - ص ٣٣ - أ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ - ب .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ - أ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣ - أ .

(٥) خطاب على عطيه - مرجع سابق - ص ٨٠ .

امتحانه قبل قيامه بمهنة التعليم ، ويبدو أن المعلمين فى هذا العصر كانوا يتلقون معلوماتهم التى يعتقدون أنها ضرورية لممارستهم التعليم الأولى ، لا عن طريق الاعداد المهنى بل عن طريق الاتصال الشخصى بالشيوخ .

وهم من حيث الثقافة قسمان : قسم اتسعت ثقافته ، فقام بتعليم الصبيان علوما غير القرآن، مثل « الشكل والهجاء وعلم العربية والشعر والنحو والحساب » ، وهؤلاء قلة ، أما الكثرة من المسلمين فكان الواحد منهم « لا يحسن الا قـراءة القرآن والكتابة »(١) . ولعل الجاحظ حين وصف معلمى الكتاتيب بالحمق (٢) ، قصد أن هؤلاء لم يكونوا ذوى ثقافة عالية ولهذا عدهم من حاشية القوم .

ولم تكن هناك اجازات تمنح لهذه الطائفة من المسلمين فيقومون بتعليم الصبيان بمقتضاها بل « من علم فى نفسه الأهلية جاز له ذلك وان لم يجزه أحد وعلى ذلك السلف الأولون والصدر الصالح »(٣) ، واشتراط حصول معلم الكتاب على اجازة لتعليم القرآن ، « انما جاء بعد القرن الرابع ، وهو دليل على شعور المعلم بوجود كثير من المعلمين غير أهل للقيام بالتدريس » (٤) .

حالة معلم الكتاب الاجتماعية :

يبدو أن المجتمع الاسلامى فى غالبيته كان ينظر للغالبية العظمى من طبقة معلمى الكتاتيب نظرة لا تتسم بالتقدير والاحترام ، وقد أورد الجاحظ أمثلة توضح رأى العامة كقولهم « أحمق من معلم كتاب » (٥) و « الحمـق فى الحاكة والمعلمين والغزالين » (٦) ، الى غير ذلك من أمثلة .

وقد أرجع بعض الباحثين هذه النظرة التى لا تتسم بالاحترام الى أن معلم الصبيان ، لم يكن « يختار مهنة التعليم ، حبا للعلم ونشره ، وابتغاء مرضاة الله

---

(١) القابسى ـ مرجع سابق ، ص ٦٨ ـ ب .

(٢) الجاحظ (ابو عمرو بن بحر) : البيان والتبيين ـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ـ ج ١ ـ ص ٢٤٨ (باب فى ذكر المسلمين) .

(٣) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٧٨ .

(٤) احمد فؤاد الاهوانى ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٤ .

(٥) الجاحظ ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٤٨ .

(٦) المرجع السابق ـ ج ١ ـ ص ٢٤٩ .

وارشاد عباده ، وانما وسيلة لكسب الرزق وتحصيل القـوت ، ولذلك حط الناس من قدره وقللوا من شأنه » (١) ، وأرجع البعض الآخر السبب فى احتقار معلمى الكتاتيب وتصغير شأنهم الى احتقار العرب للمهن التى لا تظهر فيهـا أعمال البطولة كالفروسية ، والى ما أظهره بعض المعلمين من صـغر النفس والمسكنة وسخافة العقل والغطرسة على الصغار وضربهم بالعصا واذاقتهم آلام الفلقة (٢) • وأحسب أن هذا الرأى ينقصه الدليل ، لأن الاسلام جعل التعليم والتعلم من أعمال التقوى ، فالعلماء « ورثة الأنبياء » و « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة ». والعالم فى الاسلام أقرب الى الله من العابد حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى — أى رسول الله — على أدناكم رجلا » (٣) ، أى أقل المسلمين تدينا ، ولو صح ما ذهب اليه هذا الرأى لكانت كل الحرف غير الفروسية وأعمال الحرب محتقرة عند العرب، ولكان الفقهاء والشعراء والفلاسفة والأطباء محتقرين وهذا غير صحيح فقد حفظ لنا التاريخ أن مئات من هؤلاء الذين قضوا حياتهم فى الدراسة والعلم تحصيلا وتدريسا قد تبوءوا مكانة لم يرق اليها سواهم •

وربما كان السبب فى نظرة المجتمع لمعلمى الصبيان فى القرن الرابع بغير التقدير ، ما شاع عن بعض هؤلاء في ذلك العصر من عيوب ، ألحقت بهم المهانة ، وجعلتهم موضع نقد المجتمع آنذاك « وهؤلاء جلبوا السمعة الرديئة الى الطائفة كلها ، وأحيانا الى المعلمين جميعا » (٤) ، مما جعل الفقهاء يحذرون المعلمين من طلب الهدايا ، فوق ما يحصلون عليه من أجر من الصبيان الذين يقومون بتعليمهم (٥) ، ومن ارسال صبيان الكتاتيب لطلب المنح والأعطيات من طعام أو غيره من صاحب التزويج أو ممن ولد له ولد(٦) كما يحذرونهم من تكليف الصبيان باحضار أشياء تنفعهم من بيوتهم ، من طعام أو غير طعام(٧) • وربما كان سبب هـذه النظرية أيضا أن المعلمين اتخذوا مهنة التعليم وسيلة لكسب الرزق وخالفوا بذلك ما كان

---

(١) خطاب على عطيه — مرجع سابق — ص ٨٠ •

(٢) خليل طوطح : التعليم عند العرب — مرجع سابق — ص ٣٨ — ٣٩ •

(٣) صحيح البخارى — مرجع سابق — ج ١ — ص ٢٦ — ٢٧ •

(٤) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ٢٢٠ •

(٥) القابسى — مرجع سابق — ص ٦٢ — أ •

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٢ — ب •

(٧) المرجع السابق ، ص ٦٦ — أ ، ٦٦ — ب •

عليه السلف الصالح حين كانوا لا يطلبون على افادة التعليم أجرا ولا يقصدون به جزاء ولا شكورا ٠ وأيضا بسبب أن طائفة من معلمى الصبيان كان يستخدمهم السلطان لأغراض التجسس أحيانا وقد قبلوا القيام بذلك ، قال أبو شجاع « وكان معلمو الصبيان موافقين على أن يسألوا أولاد الجند الذين فى مكاتبهم عن أمور آبائهم وتصرفات أحوالهم فى منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دار » (١) ٠

حالة معلم الكتاب المالية :

لم تكن مهنة تعليم الصبيان فى الكتاب تدر شيئا كثيرا من المال ، فقد قال متز « أما اذا كان معلم صبيان أو معلم كتاب ٠٠٠ فمعنى هذا عيش مر وحرفة محتقرة » (٢) ، ولم يكن لهذه الطبقة من المعلمين بطبيعة الحال حظ وافر من أرزاق الخلفاء أو عنايتهم الخاصة لقلة شهرتهم ولبعدهم عن مراكز الخلافة ٠

أما ما كان يدفعه الصبيان من أجور فكان على ما أحسب قليلا ، وكان المعلمون يستوفون أجورهم أحيانا مواد عينية أو بعضا مما يأكله الناس وينتفعون به ، لذلك كانت رغفان المعلم مثلا يضرب في الاختلاف وشدة التفاوت لأنه من بيوت صبيان مختلفى الأحوال (٣) ٠

وفى القرن الرابع الهجرى - كما فى غيره - اختلف الفقهاء فى جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن أو عدمه ، كما اختلفوا فى قصر الحظر على تعليم القرآن دون غيره ، فمن كره للمعلم أخذ أجر على تعليم القرآن احتج بأن أئمة المسلمين فى صدر هذه الأمة لم يعرف عن أحد منهم أنه « أقام معلمين يعلمون للناس أولادهم من صغرهم فى الكتاتيب ، ويجعلون لهم على ذلك نصيبا من مال الله » (٤) ، وقد ذهبت طائفة كبيرة من الفقهاء الى عدم جواز أخذ الأجر فى ذلك ، كالحنفية جميعا ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان الثورى (٥) - هذا الى أن على المعلم أن يقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يطلب على افادة العلم أجرا (٦) ٠

---

(١) عبد الله فياض : مرجع سابق ، ص ١١٠ - نقلا عن أبى شجاع محمد بن الحسين : ذيل تجارب الأمم - القاهرة - ١٩١٦ م - ص ١٥ ٠

(٢) آدم متز - مرجع سابق - ج ١ - ص ٢٦٠ ٠

(٣) المرجع السابق - ج ١ - ص ٢٦١ ٠

(٤) القابسى - مرجع سابق ، ص ٣٢ - ب ٠

(٥) آدم متز - مرجع سابق - ج ١ - ص ٢٥٩ ٠

(٦) الغزالى : احياء علوم الدين - مرجع سابق - ج ١ - ص ٤٩ - ٥٠ ٠

أما من ذهب الى جواز أخذ الأجر ، فقد احتج بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله »(١) ، كما أجازوه لظهور التوانى والتكاسل فى هذا الزمان عن تعليم القرآن ، ولو منع الأجر لانسد الباب ،« ولضاع كثير من الصبيان ، ولما تعلم القرآن كثير من الناس »(٢) ٠

ورغم هذا الخلاف ، فقد كان الرأى الراجح هو جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن (٣) ٠ أما أخذ الأجر على تعليم غير القرآن من العلوم ، فيبدو أنها كانت مباحة « ولا بأس باجازة المعلم على تعليم الشعر والنحو والرسائل وأيام العرب وما أشبه ذلك من علم الرجال وذوى المروءات »(٤) ٠

أما الهدية فلا خلاف عليها للمعلم و « تجوز اجماعا لأن النبى كان معلما للخلق ، وكان يقبل الهدية »(٥) ٠

ولم أعثر فى المصادر على ما يحدد المبلغ الذى يتقاضاه المعلم أجرا لتعليم الصبى الواحد ٠ فقد اختلف الأجر باختلاف المستوى الاجتماعى للصبى ، ولكنه فى الغالب كان « شحيحا ٠ ويرجع السبب فى ذلك الى المستوى الاجتماعى المتدهور ، الذى أشيع عن هذا الفريق من المعلمين بالحق أو بالباطل ، والى أن هؤلاء كانوا يعلمون القرآن ، فقد كان متوقعا منهم أن يكونوا زهادا يرضون بالقليل ، وليست لهم أطماع مالية ، ولذا قلت أجورهم »(٦) ٠

* * *

ثانيا : المؤدبون

جرى العرف فى القرن الرابع الهجرى ، أن ينتدب الأغنياء معلمين خاصين لأبنائهم وبناتهم بدلا من ارسالهم الى الكتاب ، وعرف هؤلاء المعلمون بالمؤدبين ، وكان المؤدب يقوم بمثل العمل الذى يقوم به معلم الكتاب ، وقد كان يختار فى

---

(١) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٣٦ - أ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣ - أ ٠

(٣) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن - مرجع سابق - ج ١ - ص ١٧٨ ٠

(٤) القابسى (مرجع سابق) ، ص ٤٤ - ١ ٠

(٥) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن - مرجع سابق - ج ١ - ص ١٧٨ ٠

(٦) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٢٣٨ ٠

الغالب ممن اشتهروا بالعلم والنجابة ، وممن يتحلون بالخلق المتين ، وكان يقوم بالعناية بأخلاق الصبيان « وآدابهم كما كان يقوم بتعـليمهم وهو ظاهر من التسمية »(١)، يؤيد ذلك ما ذكره الدكتور طه حسين من أن لفظة مؤدب كانت تطـلق على « الذين يحترفون تعـليم الشـعر والخبر وما الى ذلك لأبنـاء الأرستقراطية »(٢) ٠

فالمؤدب معلم لصبيان الخاصة يعلمهم ويرعى أخلاقهم ، فأبو داود بن سهل كان مؤدب سيف الدولة الحمدانى(٣) ، والزجاج النحوى كان مؤدبا لأولاد بنى مارقة وهم من أكابرة الصراة ، ثم جعله عبيد الله بن سليمان الوزير مؤدبا لابنه القاسـم(٤) ، وكان محمد بن العباس بن يحيى مؤدبا لأولاد الخليفة المقتـدر العباسى(٥) ، كما اتخذ الخليفة الراضى العباسى (٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ) أبا بكر الانبارى مؤدبا للأمير عبد الواحد(٦) ، كما عمل كافور الاخشيد قبل توليه حكم مصر مؤدبا لأولاد محمد بن طغج الاخشيد(٧) ، واتخذ فخر الدولة البويهى أبا الحسين بن زكريا الرازى مؤدبا لابنه أبى طالب(٨) ٠

ولم يكن المؤدب خاصا بتعليم القرآن الكريم والأدب والعربية ، وانما كان يعلم علوما أخرى أيضا ٠ ذكر أبو عبيد الجوزجانى عن الشيخ ابن سينا قوله : « ثم جاء الى بخارى أبو عبد الله الناتلى وكان يدعى المتفلسف وأنزله أبى دارنا رجاء تعلمى منه ٠٠ ثم ابتدأ بكتاب ايساغوجى ٠٠ وكذلك كتاب اقليدس ٠٠ ثم انتقلت الى المجسطى »(٩) ٠ وليس من الضرورى أن يسمى من يعلم أبناء الخاصة « مؤدبا » فالجاحظ حين يورد أمثلة من معلمى أولاد الملوك نراه يسميهم (معلمين)

---

(١) خطاب على عطية (مرجع سابق) ، ص ٨٣ ٠

(٢) طه حسين : فى الأدب الجاهلى - مرجع سابق - ص ٢٤ ٠

(٣) عبد الله فياض (مرجع سابق) ، ص ١٠٧ ٠

(٤) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى - ترجمة عبد الحليم النجار - الطبعة الثالثة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٤ - ج ٢ - ص ١٧١ ٠

(٥) المرجع السابق ، ص ١٧٠ ٠

(٦) المرجع السابق ، ص ٢١٤ ٠

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان - مرجع سابق - ج ١ - ص ٦١٤ ٠

(٨) كارل بروكلمان - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٢٦٥ ٠

(٩) ابن أبى أصيبعة - مرجع سابق - ج ٢ ص ٣ ، ٤ ٠

مرة ، (ومؤدبين) مرة أخرى ، أمثال أبى سعيد المؤدب(١) ، والجاحظ نفسه فى مكان آخر ، يسمى أبا سعيد نفسه بالمعلم(٢) .

فالمعلم حين ينتدب لتعليم أولاد الخاصة يسمى غالبا بالمؤدب ، ولكن تبقى كلمة معلم أكثر شيوعا من غيرها ، كاسم اصطلاحى لمعلمى الصبيان . والفرق الرئيسى بين المعلم والمؤدب هو أن المعلم رجل ممتهن للتعليم فى الكتاتيب ، وأن المؤدب قد يشترك معه أحيانا فى تعليم الصبيان فى الكتاتيب ، ولكنه فى الغالب ، معلم خصوصى لأبناء الخاصة ، ينتدب لهذه المهمة .

وباستعراض الأسماء التى امتهنت تأديب أولاد الخاصة ، كما يظهر من وصفهم فى تراجمهم بأسماء المؤدبين ، فى القرن الرابع الهجرى أمثال الزجاج والانبارى ومحمد بن يحيى والصولى والسيرافى وابن زكرياء وغيرهم ، نرى أنهم جميعا من علماء عصرهم الذين نبغوا فى العلم حتى كانوا من مشاهير علماء القرن الرابع ومن قادة الفكر فيه .

ولمكانة المؤدبين العلمية ، ونبوغهم وشهرتهم ، ولقربهم من الخلفاء والأمراء والخاصة حظيت هذه الطائفة برغد العيش وسعة الرزق ، وارتفع مستواهم الاجتماعى ، حتى كان ينظر الى المؤدب على أنه أحد أفراد الأسرة التى يؤدب صبيانها ، بل لعله كان ينتسب الى هذه الأسرة ويأخذ اسمها(٣) .

وقد جرت العادة أن يشترك الوالد مع المؤدب فى تحديد المنهج التعليمى الذى يريد تعليمه لولده ، فقد أوصى عبد الملك بن مروان مؤدب ولده وأولاد أقاربه بقوله « علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فانهم أسوأ الناس رعة وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، واحف شعورهم تغلظ رقابهم ، واطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضا ، ويمصوا الماء مصا ولا يعبوه عبا ، واذا احتجت الى أن تتناولهم بأدب ، فليكن ذلك فى ستر ، لا يعلم به أحد من الغاشية ، فيهونوا عليه »(٤) .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين - مرجع سابق - ج ١ - ص ٢٥٢ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٢٢١ .

(٣) احمد شلبى - مرجع سابق - ص ٢٣٦ .

(٤) احمد عبد العليم البردونى : مختارات من عيون الاخبار لابن قتيبة الدينورى - راجعه اسماعيل مرزوق - وزارة الثقافة والارشاد القومى - مكتبة نهضة مصر ومطبعتها - ١٩٦٠ - ص ١٦٣.

ولعل ذلك يؤكد ما سبقت الاشارة اليه من أن عمل المؤدب يتعدى تعليم العلم الى الاشراف على صبيان الخاصة والعناية بأخلاقهم وأدبهم ، « وكان المؤدب يستعين بالعصا لتقويم أخلاق الصبى اذا لزم الأمر ، وقد رضى الخلفاء لأنفسهم ذلك وطبقوه على أبنائهم »(١) ٠

وما دام الوالد كان يشترك مع المؤدب فى وضع المنهج ، فنستطيع القول بأن هذه المناهج كانت تختلف باختلاف الآباء وآرائهم فى تعليم أبنائهم ٠

ومع أن انتداب مؤدب لأولاد الخاصة ليعلمهم ، كان عرفا جاريا فى القرن الرابع الهجرى الا أن مفكرى التربية فى هذا العصر رأوا أن يكون تعليم الصبى فى هذه المرحلة من العمر تعليما جماعيا ونصحوا بضرورة تعليم الصبى مع غيره فان ذلك أنفى للسأمة وأبقى للنشاط وأحرص على التعلم والتخرج(٢) ، على أن ذلك لم يحل دون قيام المؤدبين بدورهم المعهود فى تأديب أولاد الخاصة فى هذا العصر واعدادهم لتولى المناصب الكبيرة فى الدولة ٠

* * *

ثالثا : المعلمون العلماء

أصبح التعليم فى القرن الرابع الهجرى صناعة وفنا اختصت به طائفة العلماء التى تمتعت بكثير من الاجلال والتقدير من خاصة الناس وعامتهم ، ولا أدل على ذلك من سؤال الوزير ابن العارض لأبى حيان التوحيدى عن أستاذه أبى سليمان المنطقى بقوله « كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاؤه عنا »(٣) ، كما خاطب عز الدولة البويهى عليا بن عيسى الرمانى (٢٧٦ هـ ــ ٣٨٤ هـ)

---

(١) فيليب حتى وادوارد جورجى وجبرائيل جبور : تاريخ العرب ــ بيروت ــ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ــ ١٩٥٠ ــ ص ٤٩٦ ٠

(٢) ارجع الى ص (١١٧) من الرسالة ٠

(٣) ابو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٢٩ ٠

بقوله : « أما أنت يا أبا الحسن ، فوحق أبى انى لأحب لقاءك وأوثر قربك »(١) ٠ كما خرج الحاكم بأمر الله للقاء الحسن بن الهيثم يوم وصل مصر وأمر بانزاله واكرامه واحترامه(٢) ٠

ومن تقدير العامة لهذه الطائفة أنه « كانت ترمى رقاع فى حلقة بعض العلماء الصالحين أمام العالم وتتضمن هذه الرقعة طلب الدعاء لمريض أو صاحب حاجة فيقبض العالم عليها ويقرؤها ويدعو لصاحبها ، ويؤمن على دعائه من حضر ثم يمضى فى درسه(٣) ، ولقد سئل أحدهم « ما بال الانسان يحتمل من معلمه مالا يحتمله من أبويه ؟ فقال : لأن أبويه سبب لحياته الفانية ومعلمه سبب لحياته الباقية »(٤) ٠ وقال طالب لمعلمه حين زاره ، تعبيرا عن تقديره لهذا المعلم : « ان زرتنا فبفضلك ، وان زرناك فلفضلك ، فلك الفضل زائرا ومزورا »(٥) ، وفى هذا المعنى قيل « أنا عبد من تعلمت منه ، ومن علم انسانا مسألة ملك رقه »(٦) ٠

اعداد المعلمين :

لم يكن فى القرن الرابع الهجرى نظام خاص لاعداد المعلمين ، حيث كان الاعداد العلمى للفرد تقع مسئوليته على الفرد ذاته وتحدده ميوله ورغباته فى هذا النظام التعليمى الحر ، فعلى الرغم من وجود مؤسسات للتعليم فى القرن الرابع ، كالمساجد ودور العلم وغيرها ، فيظهر أن اعداد الشيوخ للتدريس فى هذا العصر كان يتم عن طريق الاتصال الشخصى بين الطالب وشيخه بدليل أن الاجازات التى كان يحصل عليها فى هذا العصر من شيوخه الذين درس عليهم لم يكن يحصل عليها من معهد علمى أو من مؤسسة أو من جهة حكومية مسئولة(٧) ، ثم ان تعدد تلك الاجازات وصدورها من شيوخ مختلفين يعيشون فى أمكنة متعددة يدل على أن الطلبة كانوا يتصلون بعدد من الشيوخ فى أمكنة وأزمنة مختلفة تقررها ظروف كل من الشيخ وتلميذه ٠

---

(١) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٥٨ ٠

(٢) ابن أبى اصيبعة ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٩٠ ـ ٩١ ٠

(٣) آدم متز ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٥٦ ٠

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٢ ٠

(٥) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ١٦١ ٠

(٦) المرجع السابق ، ص ١٦١ ٠

(٧) ارجع الى ص (١٤٣ ، ١٤٤) من الرسالة ٠

أما ثقافة الشيوخ ودرجة تحصيلهم فكانت جيدة فيما أعتقد بدليل :

١ ـ ظهور طائفة كبيرة من العلماء فى القرن الرابع الهجرى فى كل فروع العلم والمعرفة آنذاك ربما فاقوا فى شهرتهم وكثرتهم ما ظهر من العلماء فى أى عصر اسلامى آخر .

٢ ـ أن القرن الرابع الهجرى كان أزهى العصور الاسلامية ثقافة وأكثرها انتاجا فكريا(١) .

٣ ـ أن هؤلاء العلماء تركوا عددا كبيرا من المؤلفات الهامة ذات القيمة العلمية الكبيرة ، وردت أسماؤها فى كتب كثيرة ، كالفهرست لابن النديم ، وعيون الانباء لابن أبى أصيبعة ووفيات الاعيان لابن خلكان وغيرها من الكتب التى ترجمت لعلماء القرن الرابع .

٤ ـ أن علماء القرن الرابع حين يتصدرون للتدريس ، وتلاميذهم حين يتحلقون حولهم لطلب العلم يعتقدون جميعا أنهم يؤدون عملا من شأنه أن يكسبهم رضاء الله ، فان « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة »(٢) .

٥ ـ أن مستقبل الطالب فى هذا العصر وشهرته فيما بعد كانت تتوقف على شهرة شيخه الذى درس عليه وقدرته ، مما دفع الطلاب الى ملازمة مشاهير الشيوخ وأعلامهم ، ولقد روت لنا المصادر أن حلقات بعض مشاهير العلماء كانت تضم مئات من طلاب العلم(٣) .

٦ ـ كان الطالب لا يتصدر للتدريس بالمساجد حتى يقرأ عددا كبيرا من الكتب على شيوخه الذين يضعون عليها خطوطهم ، ثم يأنس فى نفسه علما كافيا وملكة يتمكن بها من افادة غيره ثم يعرض نفسه على الراغبين من طلاب العلم فان أنسوا فيه الكفاية العلمية وسعة الاطلاع التفوا حوله ، وأقبلوا عليه ، واذا رأوه غير ذلك انصرفوا عنه(٤) ولذا حرص الطالب على اعداد نفسه اعدادا علميا ممتازا يؤهله للقيام بمهنة التعليم .

---

(١) ارجع الى ص (٦٦ ـ ٦٨) من الرسالة .

(٢) صحيح البخارى ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٦ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ، ص ٢٥ ، ص ١٧٠ .

(٤) عبد الله حسين ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٥ .

ألقاب المعلمين :

كان للمعلمين رتب وألقاب مختلفة حفظتها لنا المصادر ، منها :

١ ــ **المعلم :** وكان أقل الرتب العلمية وأعمها ، ولم يكن يدل على كثير من العلم أو الأدب أو المقدرة أو المقام الاجتماعى(١) .

٢ ــ **المؤدب :** وكان معلما خصوصيا يذهب الى بيوت الخاصة لتأديب أولادهم وكان أحسن حالا من المعلم وأعلى قدرا وأرفع مستوى(٢) .

٣ ــ **الشيخ :** ذكر القلقشندى أن الشيخ « من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله فى اللغة الطاعن فى السن ولقب به أهل العلم والصلاح توقيرا لهم كما يوقر الشيخ الكبير »(٣) .

واستعمال لقب (الشيخ) فى التعليم ، كان كثيرا فى القرن الرابع ، فذكر أبو حيان عند الحديث عن أستاذه أبى سليمان قوله « ان شيخنا أبا سليمان غزير البحر واسع الصدر »(٤) ومرة أخرى يصفه بقوله « أما شيخنا أبو سليمان فانه أدقهم نظرا »(٥) ، كما وصف أستاذه أبا سعيد السيرافى بقوله « شيخ الشيوخ » ، وذكر ياقوت عن أبى على الحسن بن أحمد النحوى قوله « كان شيخنا يعنى أبا منصور موهوب بن الخضر الجواليقى » (٦) ، وأيضا « حدثنى الشيخ أبو العلاء »(٧) .

ومما يؤيد استعمال لفظ الشيخ لقبا تعليميا ما رواه ابن مسكويه فى معرض كلامه عن تشجيع عضد الدولة البويهى للعلم بقوله « فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا ، وتراجع أهلها وكانوا أشتاتا ، ورغب الأحداث فى التأدب ، والشيوخ فى التأديب »(٨) .

---

(١) خليل طوطح : التربية عند العرب ــ مرجع سابق ــ ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) آدم متز ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٢٦١ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ــ مرجع سابق ــ ج ٦ ــ ص ١٧ .

(٤) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٢٣ .

(٥) المرجع السابق ــ ج ١ ــ ص ٣٣ .

(٦) ياقوت : معجم الأدباء ــ مرجع سابق ــ ج ٧ ــ ص ٢٥٣ .

(٧) المرجع السابق : ج ٧ ــ ص ٢٥٥ .

(٨) ابن مسكويه : تجارب الأمم ــ مرجع سابق ــ ج ٦ ــ ص ٤٠٨ .

٤ - **المدرس :** يظهر أن لقب المدرس من حيث هو لقب تعليمي كان متأخرا في الاستعمال عن لقب الشيخ ، « ويبدو أن هذا اللقب شاع بعد ظهور المدرسة في أواخر القرن الرابع »(١) .

غير أن لقب المدرس كان مستعملا قبل ذلك على قلة ، فقد قال المقدسى عند كلامه عن جزيرة العرب التى بها بيت الله الحرام ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى منها « انتشر دين الاسلام ... ثم هى عشرية قد ذكرها الأئمة فى دواوينهم ، ولا بد للمدرسين من معرفتها فى شروحهم »(٢) . وذكر القلقشندى أن المدرس « هو الذى يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو والتصريف ونحو ذلك وهو مأخوذ من درست الكتاب دراسة اذا كررته للحفظ »(٣) .

٥ - **الفقيه :** « من ألقاب العلماء ... وانما يقع على المجتهد دون المقلد أما اطلاقة على فقهاء المكاتب ونحوهم ، فعلى سبيل المجاز »(٤) .

٦ - **الاستاذ :** أطلق هذا اللقب الفارسى أولا على أصحاب المصانع ثم أطلق على من أظهر مهارة فى التعليم(٥) ، وكان نادر الاستعمال للمعلمين فى تلك الفترة(٦) - قال ياقوت « الأستاذ أبو العلاء الحسين »(٧) .

٧ - **الرحلة :** وكان يطلق على كبار العلماء ، ممن اشتهر بالعلم والتعليم ، حتى أن الطلبة يرحلون اليه من كل ناحية للأخذ عنه ، قال القلقشندى الرحلة « من ألقاب أكابر العلماء والمحدثين ، والرحلة فى اللغة ما يرحل اليه ، لقب بذلك لأنه فى حيز أن يرحل اليه للأخذ عنه »(٨) ، وقد وصف أبو المحاسن بن الحباب بقوله « كان رحلة الآفاق »(٩) .

---

(١) عبد الله فياض - مرجع سابق - ص ١٤٧ .

(٢) المقدسى - مرجع سابق - ص ٦٧ .

(٣) القلقشندى - مرجع سابق - ج ٥ - ص ٤٦٤ .

(٤) المرجع السابق - ج ٦ - ص ٢٢ .

(٥) خليل طوطح - مرجع سابق - ص ٥٠ .

(٦) عبد الله فياض - مرجع سابق - ص ١٤٦ .

(٧) ياقوت الرومى : معجم الأدباء - مرجع سابق - ج ٧ - ص ٢٤٢ .

(٨) القلقشندى - مرجع سابق - ج ٦ - ص ١٤ .

(٩) ابن تغرى بردى - مرجع سابق - ج ٣ ، ص ١٩٣ .

٨ - **الامـام** : وكان هذا اللقب يمنح للمبرزين فى العلوم مثل محمد بن سنان ، الذى « كان اماما محدث عصره بلا مدافعة »(١) ، ومثل القاضى أبى السائب الهمذانى ، الذى « كان اماما عالما »(٢) .

٩ - **الحبـرة** : « من ألقاب أكابر العلماء »(٣) .

١٠ - **المحقق** : « من ألقاب العلماء ، والمراد أنه يأتى بالأشياء على حقائقها ، لحدة ذهنه ، أو صحة حدسه »(٤) .

١١ - **المفيد** : « من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من الافادة ، وهى انالة الشخص مالم يكن حاصلا عنده »(٥) .

١٢ - **المقرىء** : « وهو الذى يقرىء القرآن العظيم ، وقد غلب اختصاصه فى العرف على مشايخ القراءة »(٦) .

١٣ - **المعيد** : « وهو ثانى رتبة المدرس فيما تقدم ، وأصل موضوعه أنه اذا ألقى المدرس الدرس وانصرف ، أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس اليهم ليفقهوه ويحسنوه »(٧) .

١٤ - **المستملى** : « وكان الشيخ يستعين به فى مجلس الدرس، خاصة اذا كان عدد الطلبة كبيرا ليبلغ ما يقوله المدرس للحاضرين من الطلاب الذين لم يستطيعوا سماع الشيخ »(٨) .

الحالة المالية للمعلمين العلماء :

لم أحصل على أدلة تفيد أن العلماء الذين تصدروا للتدريس في القرن الرابع الهجرى كانوا يأخذون أجرا على التعليم ، ويؤيد ذلك أن عددا كبيرا من هؤلاء

---

(١) المرجع السابق - ج ٣ - ص ٣١٧ .

(٢) المرجع السابق - ج ٣ - ص ٣٢٩ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى - مرجع سابق - ج ٦ ، ص ١٢ .

(٤) المرجع السابق - ص ٢٦ .

(٥) المرجع السابق - ج ٦ - ص ٢٩ .

(٦) المرجع السابق - ج ٥ - ص ٤٦٤ .

(٧) المرجع السابق - ج ٥ - ص ٤٦٤ .

(٨) آدم متز - مرجع سابق - ج ١ - ص ٢٥٦ .

قد أمتهن مهنا مختلفة ، بالاضافة الى اشتغالهم بالعلم والتعليم ، فكان محمد بن صالح بن هانىء الوراق النيسابورى « صبورا على الفقر ، لا يأكل الا من كسب يده »(١) ، وكان الفقيه المحدث محمد بن عبد الله أبو بكر الصبغى « يبيع الصبغ بنفسه أو يعمله بنفسه فى الحانوت على عادة العلماء المتقدمين الذين كانوا يتسببون فى المعاش » ، وكان « حانوته مجمع الحفاظ والمحدثين » . ويذكر السبكى قول أحدهم « كنا نقرأ على أبى عبد الله بن يعقوب على باب حانوته »(٢) ، وكان ابن الهيثم « يكتب فى كل سنة اقليدس والمجسطى ، ويبيعها ويقتات من ذلك الثمن ، ولم تزل هذه حاله الى أن توفى »(٣) ، وكانت صناعة محمد بن عبد الواحد ، المعروف بغلام ثعلب « التطريز وكان اشـتغاله بالعلم قد منعه من التكسب فلم يزل مضيقا عليه »(٤) .

وقد جرى العرف على أن المعلمين « يتعلمون الحرفة ، ثم يتعلمون العلم ، حتى لا يطمع فى أموال الناس »(٥) ، وكانوا يعدون أخذ الأجرة على التعليم ، وخاصة تعليم القرآن والعلوم الدينية الأخرى من الأمور المحظورة ، ورأى البعض « أن النظامية (فى القرن الخامس الهجرى) كانت أول معهد علمى ، تقاضى معلموه أجرة على تعليم العلوم »(٦) .

على أن بعض هؤلاء المعلمين فى القرن الرابع كانوا يحصلون على أرزاق من الخلفاء والحكام ، « كالزجاج المتوفى ٣١٠ هـ ، فقد كان له رزق فى الندماء ، ورزق فى الفقهاء ، ورزق فى العلماء ، ومبلغ ذلك ثلثمائة دينار »(٧) ، كما « أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر ، حينما قدم بغداد فقيرا وكذلك أجرى سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب على أبى نصر الفارابى ، الفيلسوف التركى المتوفى٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م ، أربعة دراهم كل يوم ،

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٦٨ .

(٣) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٩٠ .

(٤) السبكى ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٦٤ .

(٥) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٢ .

(6) Tritton, A.S., «Muslim Education in the Middle Ages» Muslim World, 43, 1953, p. 90.

(٧) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ـ مرجع سابق ـ ج ١ ، ص ٢٦٢ .

فاقتصر عليها »(١) • كذلك « سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس ، الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق •• وأمر لهم بشراء دار وبنائها •• ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين »(٢)•

لباس العلماء المعلمين :

وردت اشارة ربما أعانت على التعرف على لباس المعلمين فى القرن الرابع الهجرى ، حيث « روى أبو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بكيا ، قال : سمعت أبا الفضل زيد بن صالح الحنفى يقول : لما عزم الصاحب بن عباد على الاملاء وكان حينئذ فى الوزارة ، خرج يوما متطلسا ، متحنكا بزى أهل العلم ••• »(٣) •

ويفهم من هذه الاشارة أن الطيلسان كان زى العلماء ، يؤيد ذلك رواية المقدسى ، التى جاء فيها « أما الفقهاء والكبراء ، فيتطلسون ولا يتحنكون ، الا من يستحق ••• ولا يتطلس بما وراء النهر الا كبير ، انما هى الأقبية المفتوحة ، وبمرو أنصاف العلماء يجعلون الطيالسة على أحد أكتافهم مجتمعة ، فاذا أرادوا أن يرفعوا فقيها أمروه بالتطليس »(٤) ، فيظهر أن الشيوخ المعلمين كانوا يستعملون الطيلسان ، بدليل نص المقدسى السابق ، وقد زار المقدسى خراسان ، ورأى أهلها حوالى « سنة ٣٨٧ هـ ، وكانت خاضعة للسامانيين ، وميلهم الى مذهب أبى حنيفه »(٥) •

غير أن هذه الاشارات لا تعين الباحث على استنتاج قاعدة عامة للباس العلماء خلال القرن الرابع ، وان رأى بعض الباحثين أن زى العلماء كان يتمثل « فى سروال واسع ، وقميص ، فقفطان وجبة ، أو العباءة المغطاة بالطيلسان وعمامة سوداء ، كما كانوا يستعملون الطيلسان المربع ، ويضعونه فوق العمامة ، ويسدل على الأكتاف »(٦) •

---

(١) المرجع السابق - ج ١ - ص ٢٦٣ •

(٢) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٢٧٣ •
وايضا : كارل بروكلمان - مرجع سابق - ج ٢ - ص ١٧٨ •

(٣) عبد الله فياض - مرجع سابق - ص ١٧٢ - نقلا عن ابن الجوزى : المنتظم - ج ٧ - ص ١٨٠ •

(٤) المقدسى - مرجع سابق - ص ٣٢٨ •

(٥) المرجع السابق - ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ •

(٦) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٢٧٧ •

وفي هذا العصر كان المعز لدين الله الفاطمي ، قد بنى دار الكسوة بمصر ، حيث تفصل الثياب لموظفي الدولة على اختلاف مراتبهم ، وتنوعت هذه الأكسيات بتنوع الطبقات « وكانت كسوة رجال التعليم مذهبة تتكون من ست قطع أهمها القلنسوة والطيلسان وأصبحت الخضرة شعار الفاطميين بدل السواد الذى كان رمز العباسيين »(١) ، ومن هنا لبس رجال العلم في مصر خلال القرن الرابع ، عمامة خضراء .

واجبات المعلم :

كان على المعلمين واجبات تجاه من يقومون بتعليمهم ، لخصها رجال التربية في :

١ - أن يترفق بالمتعلمين ، فلا يتشدد عليهم ، فان « من حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقا »(٢) ، وكون المعلم « عبوسا دائما من الفظاظة المقوتة »(٣) ، وعليه « أن يجرى المتعلم منه مجرى بنيه كما قال عليه السلام « انما أنا لكم مثل الوالد لولده »(٤) . والمعلم في الاسلام لصبيانه « عوض من آبائهم »(٥) ، فلا يخرجه خطأ تلاميذه « من حسن رفقه بهم ، ولا من رحمته اياهم »(٦) ، والتلاميذ رفاقه في طريق العلم ، « والترافق في الطريق يوجب تأكد المودة »(٧) .

٢ - « ألا يدخر شيئا من نصح المتعلم وزجره عن الأخلاق الرديئة ، بالتعريض والتصريح »(٨) فالمعلم راع لتلاميذه « وكل راع مسئول عن رعيته »(٩) وهو « الناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم ، والقائم باكراههم على مثل منافعهم ، فهو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم »(١٠) . وفي زجره لتلاميذه عن ارتكاب

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - مرجع سابق - ج ٣ - ص ٣٢٣ .

(٢) القابسي - مرجع سابق - ص ٥٤ - أ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ - ب .

(٤) الامام الغزالي : ميزان العمل - مرجع سابق - ص ١٢٧ .

(٥) القابسي - مرجع سابق - ص ٥٤ - أ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٤ - أ .

(٧) الغزالي : ميزان العمل - مرجع سابق - ص ١٢٧ .

(٨) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٩) القابسي - مرجع سابق - ص ٥٣ - ب .

(١٠) المرجع السابق ، ص ٤٥ - أ .

ما يؤدى الى فساد الحال ، عليه أن يستعين بطريق « التعريض ما أمكن ، لا بطريق التصريح ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة »(١) . وغالبا ما تجمل المكاشفة بالخطأ ، والجهر به ، على العودة الى ارتكاب ذلك الخطأ ، بعد أن هان عليه سماع اللوم ، « فانك ان عودته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة ، وحرضته على معاودة ما كان استقبحه ، وهان عليه سماع الملامة »(٢) . وقد قيل : « رب تعريض أبلغ من تصريح » ، و « التعريض لا يهتك حجاب الهيبة ، والتصريح يرفعه بالكلية ، فيستفيد المنهى جرأة على المخالفة ، اذا اضطر الى المخالفة مرة أخرى »(٣) .

٣ ــ ألا يحقر بقية العلوم التى لا يقوم بتعليمها ، أو يزجر تلاميذه عنها ، بل ينبه الى قيمتها وضرورتها « ولا ينبغى له أن يقبح فى نفس المتعلم العلم الذى ليس بين يديه ، كما جرت ... عادة الفقهاء من تقبيح العلوم العقلية والزجر عنها ، بل ينبه على قدر العلم الذى فوقه ، ليشتغل به عند استكمال ما هو بصدده »(٤) .

٤ ــ أن يقتصر بالمتعلمين على قدر أفهامهم « فلا يرقيهم الى الدقيق من الجلى والى الخفى من الظاهر ، هجوما وفى أول رتبة » ، « ولكن على قدر الاستعداد ، اقتداء بمعلم البشر كافة ومرشدهم حيث قال (انا معشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونكلم الناس بقدر عقولهم) » (٥) ، وعليه « أن يفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ولا يعطيه مالا يحتمله ذهنه ولا يبسط الكلام بسطا ويخاطب كل واحد على قدر درجته ، وحسب فهمه »(٦) .

٥ ــ أن يراعى ما بينهم من فروق فى القدرات والاستعدادات فان « المتعلم القاصر ينبغى أن يذكر له ما يحتمله فهمه »(٧) ، فان كان المتعلم « ذكيا مستعدا لقبول الحقائق العقلية ، جاز أن يساعده على التعليم ، الى أن تنحل له الشبهات »(٨).

---

(١) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ١٥١ .

(٢) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ .

(٣) الغزالى : ميزان العمل ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٦) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ١٥١ .

(٧) الغزالى : ميزان العمل ـ مرجع سابق ـ ص ١٣١ .

(٨) المرجع السابق ، ص ١٣١ .

٦ ــ أن يكون المعلم عاملا بعلمه « قال الصادق : العلم مقرون الى العمل فمن علم عمل ، ومن عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل عنه »(١) ، فلا يكذب المعـلم « مقاله بحاله ، فينفر الناس عن الاسـترشاد والرشد »(٢)، ولذلك قال تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم »(٣) . و « المتعلم يقلد معلمه ليستفيد منه »(٤) .

٧ ــ العـدل بين المتعلمين والمساواة بين غنيهم وفقـيرهم « ومن حقهم (المتعلمين) عليه أن يعدل بينهم فى التعليم ، ولا يفضل بعضهم على بعض ، وان تفاضلوا فى الجعل ، وان كان بعضهم يكرمه بالهدايا والارفاق »(٥) .

٨ ــ أن يكون حريصا على تعليم تلاميذه باذلا وسعه فى تقريب الفائدة الى أفهامهم وأذهانهم ، و « أن يتفقدهم بالتعليم والعرض ... لأن ذلك مما يصلحهم »(٦) .

٩ ــ اذا تأهل الطالب للاستقلال بالتعليم ، واستغنى عن التعليم ، «فينبغى أن يقوم المعلم بنظام أمره فى ذلك ، ويأمر الناس بالاشتغال عليه والأخذ عنه »(٧) ، وقد كانت الاجازات التى يمنحها المعلمون لمن درسوا عليهم هى وسائل تعبير المعلمين عن رأيهم فى مقدرة تلاميذهم العلمية(٨) .

وخلاصة الحديث عن المعلمين فى القرن الرابع :

انقسم المعلمون الى ثلاث طوائف :

أولا : معلمو الكتاتيب : وهؤلاء كانوا يقومون بتعـليم صبيان المسـلمين بالكتاتيب ولم يعدوا فى هذا العصر اعدادا مهنيا ، ولم يتزودوا من العلم الا بالقليل ، وهو العلم الضرورى لممارستهم مهنة التعليم فى الكتاب ، ووسيلتهم

---

(١) عبد الله فياض ــ مرجع سابق ــ ص ١٥٠ .

(٣) الغزالى : ميزان العمل ــ مرجع سابق ــ ص ١٣٣ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ــ آية ٤٤ .

(٤) الغزالى : ميزان العمل ــ مرجع سابق ــ ص ١٢٨ .

(٥) القابسى ــ مرجع سابق ــ ص ٥٦ ــ ب .

(٦) القابسى ــ مرجع سابق ــ ص ٥٧ ــ ا ، ٥٧ ــ ب .

(٧) عبد الله فياض ــ مرجع سابق ــ ص ١٥١ .

(٨) ارجع الى ص ١٤٣ ، ١٤٤ من الرسالة .

فى ذلك هو الاتصال الشخصى بالشيوخ وقد انقسموا من حيث الثقافة الى قسمين : القلة منهم اتسعت ثقافتها لتعليم الصبيان مواد أخرى غير القرآن ، كالنحو والشعر والحساب وغيرها ، والكثرة منهم كان الواحد فيهم لا يحسن الا قراءة القرآن والكتابة ، ويبدو أن المجتمع الاسلامى فى غالبيته كان ينظر الى معلمى الكتاتيب نظرة لا تتسم بالتقدير والاحترام ، وذلك لأنهم فى هذا العصر قد خالفوا ما كان عليه السلف الصالح حين كانوا لا يطلبون على افادة التعليم أجرا وأيضا ما شاع عن بعضهم من عيوب ألحقت بالطائفة كلها المهانة وجعلتها موضع نقد المجتمع ٠

ولم تكن مهنة تعليم الصبيان تدر شيئا كثيرا من المال ، وقد اختلف الفقهاء فى القرن الرابع ، كما اختلفوا فى غيره ، فى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، كما اختلفوا فى قصر الحظر على تعليم القرآن دون غيره ، وكان الرأى الراجح هو جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن وغيره من العلوم ، غير أن ذلك الأجر كان شحيحا فى الغالب ٠

ثانيا : المؤدبون : وهؤلاء كانوا أحسن حالا من معلمى الكتاتيب ، وكانوا يختارون ممن اشتهروا بالعلم والنجابة والخلق الحميد ، وقد حظيت هذه الطائفة برغد العيش وسعة الرزق ٠

المعلمون العلماء : وقد تمتعت هذه الطائفة بكثير من الاجلال والتقدير من خاصة الناس وعامتهم ، ولم يكن هناك نظام خاص لاعداد المعلمين لمهنة التعليم حيث تقع مسئولية الاعداد العلمى للفرد على الفرد ذاته ، وكانت ثقافة هذه الفئة جيدة فى الغالب بدليل ظهور طائفة كبيرة من العلماء فى كل فروع العلم خلال القرن الرابع ، ولطبيعة هذا العصر وتقدمه الثقافى ، ولأن الطالب كان لا يتصدر للتدريس حتى يأنس فى نفسه علما كافيا وملكة يتمكن بها من افادة غيره ٠

وكان للمعلمين ألقاب ورتب فى هذا العصر ، منها المعلم والمؤدب والمدرس والشيخ والفقيه والأستاذ والرحلة والمعيد والمستملى ٠

ولم يكن هؤلاء العلماء يحصلون على أجرة حين يتصدرون للتدريس ، بل كان الواحد منهم يتكسب من عمل آخر غير التدريس ، حيث اعتبروا أخذ الاجرة على التعليم من الأمور المحظورة الا أن بعضهم كان يحصل على أرزاق من الخلفاء والحكام ٠ وكانت واجبات المعلمين تجاه من يقومون بتعليمهم كثيرة منها : الرفق بالمتعلمين وحسن رعايتهم وارشادهم الى ما يصلح أحوالهم وتنبيههم الى قيمة العلم وشرفه ومراعاة ما بينهم من فروق فى القدرات والاستعدادات والعدل بينهم فى التعليم ٠

ادارة التعليم وتمويله

يبدو أن نفقات التعليم فى القرن الرابع الهجرى كانت قليلة ، لأن المعلمين العلماء كانوا لا يتقاضون ، أجرا على تعليمهم كما أسلفنا ، فقد كانوا يعدون أخذ الأجرة على التعليم من الأمور المحظورة(١) ، وان التعليم فى هذا العصر كان يجرى فى أمكنة غير مستأجرة كالمساجد ومنازل العلماء وصالونات القصور ، ومجالس العلم أمام الحوانيت فى سوق الوراقين ، وحين انتشرت دور الكتب ودور العلم ظهرت الحاجة الى الانفاق عليها لتقوم بدورها التعليمى فى ايواء ورعاية الطلاب الذين يفدون اليها ، للتزود بالعلم ، وقد كان الطلاب يقيمون بهذه الدور مدة قد لا تكون قصيرة بعد أن تجشموا مصاعب السفر للوصول اليها ، وقد كانت الكتب تبذل لهم والنفقة تجرى عليهم من أموال أصحاب هذه الدور ، مما أدى الى تخصيص أوقاف للتعليم ٠

وكانت هبات المحسنين تقوم بقسط من نفقات التعليم وانشاء مؤسساته وصيانتها فقد بنى عضد الدولة بن بويه دارا للكتب بشيراز ، كما بنى ابن سوار دارا للكتب « وفيها اجراء على من قصدها ، ولزم القراءة والنسخ ٠٠ وفى هذه أبدا شيخ ، يدرس عليه علم الكلام »(٢) ٠ كما أنشأ الشريف الرضى دارا للعلم ، « وفتحها لطلبة العلم ، وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه »(٣) ٠ وروى ابن الأثير ، « أنه جرى ذكر أصحاب الأدب وطلبة الحديث ، وما هم عليه من الفقر والتعفف ، فقال أنا أحق من أعانهم وأطلق لأصحاب الحديث عشرين ألف درهم ، وللشعراء عشرين ألف درهم ، ولأصحاب الأدب عشرين ألف درهم ، وللفقهاء عشرين ألف درهم ، وللصوفية عشرين ألف درهم ، فذلك مائة ألف درهم »(٤) ، وكان الشريف المرتضى « يجرى على جميع تلاميذه »(٥) ٠ وروى القمى عند كلامه عن الصاحب ابن عباد ، أن « من فضائل مولانا ، أدام الله قدرته ، أنه يجمع كتبا كثيرة ، ودواوين تشتمل على أنواع العلوم وأصناف الأشعار وفنون الأخبار ، وأوقفها

---

(١) ارجع الى ص ١٦٩ ، ١٧٠ من الرسالة ٠

(٢) المقدسى - مرجع سابق - ص ٤١٣ ٠

(٣) عبد الله فياض - مرجع سابق - ص ٩٣ ٠

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - ج ٨ - ص ٥٧ ٠

(٥) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٢١٦ ٠

على أهل العلم والطلبة ليطالعوها ويتعلموها ويستنسخوها ، وكان الوزراء قبله يحفظون تلك الكتب فى خزائنهم ، كما يحفظون الذهب والفضة ، ويحرمون الطلبة وأهل العلم من قراءتها»(١) ، كما أنشأ أفراد الشعب مئات من دور الكتب ، وزودوها بما يعينها على أداء رسالتها(٢) .

هذا غير ما ساهم به الحكام ، من اقامة المساجد ودور الكتب ودور العلم ، وما أجروه من أرزاق على الطلاب والمعلمين وما أوقفوه من أوقاف لهذا الغرض ، فقد أمر الحاكم بأمر الله بحبس بعض أملاكه من دور وحوانيت ومخازن لينفق من ريعها على طلاب العلم(٣) ، كذلك أطلق العزيز بالله صلات وأرزاق للفقهاء وأمر لهم بشراء دار وبنائها(٤) ، كما أجرى الخليفة المقتدر العباسى على ابن دريد العالم وأجرى سيف الدولة على أبى نصر الفارابى رزقا يكفيه(٥) .

وحتى العلماء ساهموا فى الانفاق على التعليم بتسهيل حصول الطلاب على الكتب اللازمة لدراستهم فقد كان من عادتهم فى هذا العصر أن يوقفوا كتبهم على الجوامع(٦) ، كما « حبس البويهيون الوقوف ، فضلا عن دور العلم ودور الكتب، على البيمارستانات ... ومن الجدير بالذكر أن طلبة الطب يتعلمون الطب فى البيمارستان ، فذات مرة قال الطبيب أبو الحسن محمد بن غسان كنت أختلف الى البيمارستان لتعلم الطب »(٧) .

ورغم مساهمات الحكام فى نفقات التعليم الا أنها كانت ضئيلة بالقياس الى مساهمات الأفراد ، مما يجعل التعليم يتصف بالصفة الشعبية فى الغالب ، حيث يقوم تمويله الى حد كبير على تبرعات الأفراد ، وعلى ما يوقفونه من أموالهم للانفاق عليه .

---

(١) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٩ ـ نقلا عن « تاريخ قم بالفارسية » ، ص ٦ .

(٢) راجع فى ذلك : كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة فى العراق ـ بغداد ـ مطبعة المعارف ـ ١٩٤٨ ـ ص ١٠٥ .

(٣) خطاب على عطية ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) المقريزى : الخطط ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٧٣ .

(٥) آدم متز ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٦٣ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٦٢ .

(٧) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٨ .

ولقد كان نظام التعليم كما أسلفنا حرا يقوم على حرية الاختيار من المتعلمين فلم يكن هناك الزام من قبل الدولة بقدر ما كانت الرغبة فى التعليم نابعة من الأفراد أنفسهم ، فالتعليم كان مسئولية فردية ، بمعنى أن كل فرد مسئول عن تعليم نفسه ، وهو أيضا مسئولية جماعية ، فولى الأمر مسئول عن تعليم طفله حتى يبلغ رشده وهى مسئولية دينية « ولو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاونا لجهل وقبح ونقص حاله ووضع عن حال أهل القناعة والرضا »(١) ، يعلمه بنفسه أو يرسله الى الكتاب ، فاذا كبر الصبى انتقلت مسئولية تعليمه الى نفسه ، ولم يكن هناك سلطان للدولة على التعليم ومؤسساته ، فلم تضع السلطة « قواعد ... للانتظام فى الدراسة بل أساس ذلك رغبة الطالب نفسه »(٢) ، ولم تتدخل فى مناهج التعليم أو شئون المعلمين أو نظام المؤسسات التعليمية ، بل كان المعلمون من أنفسهم يقصدون المساجد ليعلموا الطلاب « دون انتظار من يحثهم على ذلك وظل الطلاب يلتفون حولهم ويأخذون عنهم من غير أن تتدخل الحكومة فى ذلك »(٣) . غير أن الدولة كانت تتدخل أحيانا حين تدعو الحاجة ـ بوصفها ممثلة للجماعة ـ لتحارب الدعاوى الدينية المنحرفة التى ظهرت فى ذلك العصر ، كما رأينا فى محاربة السلطة لدعوة الحلاج ، حين ادعى الألوهية ، والشلمغانى حين ادعى حلول روح الاله فيه ، وقد وقفت الدولة فى وجه المذاهب المتطرفة(٤) حفاظا على سلامة الجماعة الاسلامية وقوتها ، كما تدخلت أحيانا لفرض مذهب فقهى أو اتجاه سياسى كما فعل الفاطميون فى هذا القرن ، حين أنشأوا الجامع الأزهر ودار العلم بالقاهرة ، لنشر المذهب الفاطمى وتعيين دعاة لهذا الغرض ، والوقوف ضد المذهب السنى الذى كان منتشرا فى مصر آنذاك .

ومع ذلك فقد ظل دور الدولة فى مجال التربية محدودا بجانب الدور الذى يقوم به الأفراد ، فقد أقامت القاعدة مؤسسات التعليم المعروفة آنذاك « ولم تكن الدولة هى التى تعين الكتاتيب وتنفق عليها وتدبر أمر خطة التعليم فيها بل ظلت الكتاتيب ... نظاما حرا ، تعتمد على استقلال بعض المعلمين ، بافتتاح مكاتب للتعليم »(٥) وكان العلماء يفتحون منازلهم للطلاب ، وقد كانت هذه المنازل

---

(١) القابسى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ ب .

(٢) خطاب على عطية ـ مرجع سابق ـ ص ١٤١ .

(٣) أحمد شلبى ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٣ .

(٤) ارجع الى ص (٧٦ ـ ٧٨) من الرسالة .

(٥) أحمد فؤاد الأهوانى ـ مرجع سابق ، ص ١٠ ـ من المقدمة .

بمثابة « مؤسسات علمية متخصصة يحج اليها طلاب العلم المتخصصون فى فرع من فروع المعرفة من كل مكان »(١) ٠ وقد عرف القرن الرابع منازل كثيرة للعلماء ، فتحت أبوابها لاستقبال طلاب العلم كمنزل أبى سليمان المنطقى وابن سـينا ومحمد الرازى ، وابن سلمه ، وغيرهم ممن سنتناوله عند الحديث عن مؤسسات التعليم فى القرن الرابع ، كما أنشأ الأفراد دور العلم ودور الكتب فى كل مكان على امتداد رقعة الأمة الاسلامية فى هذا العصر ، وأوقفوا عليها الأوقاف ، ورصدوا لذلك الأموال ٠

وهكذا ساهمت القاعدة فى تحمل أعباء التعليم والقيام بما يجب نحوه ، كما ساهم الحكام فى ذلك غير أن اسهام القاعدة فى ذلك كان أشمل وأعم حيث تنافس الأفراد فى انشاء دور العلم ودور الكتب ، والانفاق على طلاب العلم ومعاهده ٠

ولم تكن ادارة التعليم والاشراف عليه من اختصاص الحكومة فلم يعرف العصر جهازا حكوميا خاصا بالاشراف على التعليم وتدبيره ووضع الخطط له أو اقتراح شروط الانتظام فى التعليم بل كان النظام كما أسلفنا نظاما حرا لا يخضع لقواعد أو نظم. الا انه رغم هذه الحرية كانت الدولة تتدخل حين تدعوها الحاجة الى ذلك وكان ذلك قليلا ونادرا ٠

غاية القول : أن السلطتين المركزية واللامركزية فى القرن الرابع استطاعتا أن تتعاونا للنهوض بأعباء التعليم ومسئولياته ، فجمعت التربية الاسلامية حينئذ بين مميزات كل من النظامين الاداريين المركزى واللامركزى ٠

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١١٣ ٠

الفصل الرابع

المؤسسات التعليمية فى القرن الرابع الهجرى

مقدمة :

عرف الاسلام المؤسسة التربوية ، منذ اللحظة الأولى لبدء نزول الوحى على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، « فكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم ، أول مؤسسة تربوية » فى الاسلام حيث كان الرسول المعلم « يجمع القلة القليلة التى آمنت به سرا فى هذه الدار يستخلص نفوسها ويعلمها آيات القرآن »(١) و « يشكلها أيديولوجيا بما يتفق وتعاليم الاسلام الحنيف »(٢) ٠

ولم تكن هذه المؤسسات قاصرة ـ فى الاسلام ـ على المدرسة وحدها ، بل تعدتها الى كل ما له تأثير على المتعلمين ، فشملت أمكنة متعددة كمنازل العلماء ودور الكتب ودور العلم فضلا عن المساجد ، وغيرها ٠

وكانت هذه المؤسسات التربوية فى الاسلام « نتاجا اقليميا من صميم حاجات المجتمع الاسلامى وتطوراته ، تنبض بروح الاسلام وتهتدى بتعاليمه وأغراضه ، ولم تكن فى جملتها مأخوذة عن الحضارات القديمة ، وانما كانت متصلة فى نموها وتطورها بالحياة الاسلامية العامة ، تنعكس فيها أهم أغراض واتجاهات تلك الحياة »(٣) ٠

كما لم تكن هـذه المؤسسـات التربوية جامدة بل كانت مرنة متطورة مستجيبة لحاجات الزمان والمكان ، فعندما انتقل المسلمون من مكة الى المدينة مهاجرين ، وضاقت المنازل عن استيعاب الأعداد الكثيرة المؤمنة ، التى أرادت أن

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١١٠ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١١١ ٠

(٣) اسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢ ٠

تتعلم الكثير عن دينها ، صار المسجد هو مؤسسة التعليم الأساسية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبعده ، ولم تقتصر وظيفة المسجد على العبادة بل كان من وظائفه التعليم أيضا ، ففيه كان الرسول يعلم أصحابه ، وكان أصحابه من بعده يفسرون القرآن للناس ، ويفتونهم فى المساجد . وحين تعقدت الدراسة فى المسجد، عندما فرضت العلوم الوافدة نفسها على التعليم، بعد حركة الترجمة الهائلة، بحيث صارت الدراسة فى المسجد ، تستدعى دراسة تمهد لها النشء ، « كانت الكتاتيب ـ مؤسسة التربية الثالثة فى الاسلام ـ ضرورة من ضرورات الحياة فى مجتمع قطع شوطا فى طريق الحضارة والمدنية »(١) ، وكانت هذه « الكتاتيب منذ أنشئت ... نظاما حرا يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم ، وكانت فى بعض العصور تعان من ذوى اليسار ، أو من الأوقاف التى يحبسها أغنياء المسلمين »(٢) . وكان الغرض الأساسى من الكتاب ـ كما سنرى ـ هو تعليم الصبيان القرآن والقراءة والكتابة وبعض النحو والعربية والحساب اعدادا لهم كى يلتحقوا بحلقات التعليم فى المساجد ، أو يخرجوا للحياة ، وقد تزودوا بأساسيات الثقافة الاسلامية .

ومع التقدم الحضارى الذى حققه الاسلام فى العصر العباسى بدأت مؤسسات أخرى تفرض نفسها على واقع العالم الاسلامى كدار الحكمة التى كان الهدف من انشائها أول الأمر ، الاضطلاع بحركة الترجمة الضخمة ، التى نشطت فى هذا العصر ثم اتسعت رسالتها بعد ذلك فصارت تشمل التعليم العالى أيضا الى جانب المسجد ، ولذلك اعتبرها هانز « أول جامعة اسلامية » (٣) ، وكانت دور الحكمة ودور الكتب ودور العلم أصلح للتدريس من المساجد فى القرن الرابع الهجرى حيث كانت الحركة الفكرية قد قطعت شوطا بعيدا ، وكانت المناظرات والجدل الدينى وما يتبعها من خلافات وشجار على أشدهما عند المسلمين ، لهذا أصبح التدريس فى المساجد ، من العوامل المضايقة لجموع المصلين .

ثم ظهرت مؤسسات للتعليم فرضتها ظروف العصر وما حققه المجتمع من تقدم علمى وازدهار ثقافى ، مثل الصالونات الأدبية فى قصور الخلفاء والوزراء ، وكانت تعقد بها حلقات منتظمة للعلم يحضرها العلماء المتخصصون فى فرع

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١١١ .

(٢) احمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ١٠ .

(٣) Hans, Nicholas: Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958, p. 101.

من فروع العلم وكانت بصورتها تلك أشبه بحلقات العلم المتخصصة التي تعقد في كلياتنا الجامعية الآن ، ومنازل العلماء التي كانت بمثابة « مؤسسات علمية متخصصة يحج اليها طلاب العلم المتخصصون في فرع من فروع المعرفة من كل مكان »(١) • ومن أهم هذه المنازل في القرن الرابع الهجري منزل ابن سينا ، ومنزل أبي سليمان المنطقي ، ومنزل حاتم الرازي وغيرها من المنازل التي تمتعت في هذا العصر ببعض مظاهر معاهد التعليم فقد كان لأصحاب هذه المنازل نشاط كبير في حقل التعليم ، كما يبدو من كثرة التلاميذ الذين تخرجوا عليهم ، ومن قيام حلقات الدرس في هذه المنازل وقيام العلماء أصحابها بالتدريس في مجالسها •

وحين احتاج المسلمون بتطور العصر الى موظفين رسميين يقومون بأعمال متعددة في هذا المجتمع المتطور ، صار نظام المدرسة ضرورة تفرض نفسها على الواقع الاسلامي ، وبانشاء نظام المدرسة ، بدأ نظام التربية الاسلامية يدخل مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره مرحلة أشرفت فيها الدولة على النظام التربوي بعد أن « أصبحت المدرسة منظمة رسمية من منظمات الدولة يتخرج فيها عمال الدولة وموظفوها »(٢) •

وسوف تتناول الدراسة مؤسسات التعليم في القرن الرابع الهجري وهي :

الكتاب ، المسجد ، حوانيت الوراقين ، منازل العلماء ، الصالونات الأدبية ، دور الكتب ودور العلم ، المدرسة •

* * *

أولا : الكتاب

الكتاب والمكتب يطلقان في الاصطلاح على الموضع الذي يتعلم فيه الصبيان ، ويبدو أن الكتاب قد ظهر بصورة مبكرة في العالم الاسلامي ، وذلك لأن متطلبات الدعوة الجديدة كانت تستلزم نشر التعليم ، بما فيه التعليم الأولي ، وكان الاسلام يتطلب حفظ القرآن أو بعض آياته ليستطيع المسلم أداء الصلاة وهي فرض في الاسلام ، وقد كانت نشأته بعد المسجد عندما امتدت فتوحات المسلمين شرقا

---

(١) عبد الغني عبود : في التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١١٣ •

(٢) بيوت الله مساجد ومعابد ـ الجزء الثاني ـ كتاب الشعب ـ رقم ٧٨ ـ مطابع الشعب ـ ١٩٦٠ م ، ص ١٩٢ •

وغربا فى خلافة عمر حين شعر المسلمون بالحاجة الى التوسع فى نشر الدين وتحفيظ أبناء المسلمين القرآن ، فقد ذكر ابن حزم قوله « ثم مات أبو بكر وولى عمر ، ففتحت بلاد فارس طولا وعرضا ، وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها ، ولم يبق بلد ، الا وبنيت فيه المساجد ، ونسخت فيه المصاحف ، وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان فى المكاتب شرقا وغربا »(١) .

أما قبل ذلك الزمان ، فكان المسلمون مشغولين بالفتح والجهاد ، « فلم يبلغنا أن أحدا منهم أقام معلمين ، يعلمون للناس أولادهم وصغارهم فى الكتاتيب ، ويجعلون لهم على ذلك نصيبا من بيت مال الله عز وجل »(٢) .

ولم يكد يظل الأمة الاسلامية عصر القرن الرابع الهجرى، حتى كانت الكتاتيب منتشرة فى كل مكان يؤمها صبيان المسلمين جميعا تميزها هذه الصبغة الديمقراطية التى ميزت التربية الاسلامية عموما ، والتى وفرت لكافة الصبيان على اختلاف طبقاتهم قسطا من التعليم ، ففى هذا العصر كان الاسلام قد استقر فى البلاد وانتشر فى أنحاء كثيرة ومع انتشاره انتشرت الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم والكتابة ، وفى ذلك يقول خدابخش « ان التعليم الأولى أو تعليم الكتاتيب نما نموا طبيعيا دون تدخل من جانب الحكومة ، وليست العصور المتأخرة هى التى تمتاز بنشر التعليم الأولى ، بل اننا نجد مثل تلك العناية بالتعليم من جانب الأفراد من تلقاء أنفسهم فى العصور الاسلامية المتقدمة »(٣) . بمعنى أن الكتاتيب كانت نظاما حرا يعتمد على استقلال المعلمين بفتح مكاتب للتعليم دون تدخل الحكومة ، وكان الكتاب « من مقومات الحياة الاسلامية نجده فى القرى الصغيرة النائية كما نجده فى المدن الكبيرة العامرة لأنه أصبح بسبب صلته بالدين من ضروريات الحياة الدنيا والآخرة ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نستنتج أن التعليم الأولى كان منتشرا الى حد كبير ، خصوصا فى عصور الاسلام الزاهية »(١) — والقرن الرابع كان من أزهى العصور الاسلامية .

---

(١) الأهوانى — مرجع سابق ، ص ٦٥ — نقلا عن ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل — القاهرة — طبعة عبد الرحمن خليفة — ١٣٤٧ هـ — جـ ١ — ص ٦٧ .

(٢) القابسى : مرجع سابق ، ص ٣٢ — أ ، ٣٢ — ب .

(3) Khuda-Bakhsh: Contribution at History of Islamic Civilization, Calcutta, 1930, Vol. II, pp. 262, 263.

(٤) أسماء حسن فهمى — مرجع سابق — ص ٢٥ .

وكانت الحياة فى الكتاتيب فطرية فى الغالب ، وأوقات الدراسة فيها كانت تحد بعلامات طبيعية فشروق الشمس كان بدء اليوم المدرسى صيفا وشتاء ، وأذان العصر نهايته ، فكان اليوم الدراسى يطول ويقصر ، تبعا لشروق الشمس وأذان العصر « انما دراسة الصبيان أحزابهم ، وعرضهم اياه على معلميهم فى عشى الأربعاء وغدو يوم الخميس ، الى وقت الكتابة والتخاير ، قبل انقلابهم نصف النهار ، ثم يعودون بعد صلاة الظهر للكتاب والخيار الى صلاة العصر ، ثم ينصرفون الى يوم السبت ، يبكرون فيه الى معلميهم »(١) ٠

ومن النص السابق ، نستنتج أن الأسبوع كان وحدة التعليم فى الكتاب ، حيث يبدأ بشروق شمس يوم السبت وينتهى عصر يوم الخميس ، وكان يوم الجمعة هو الراحة الأسبوعية لصبيان الكتاب ، « أما تخلية الصبيان يوم الخميس من العصر ، فهو أيضا يجرى حسب عرف الناس ، وان كان قد عرف من شأن المعلمين ٠٠٠ ثم ينصرفون الى يوم السبت ، يبكرون فيه الى معلميهم »(٢) ٠ ولقد عرفت الراحة أيضا خلال اليوم المدرسى ، حين ينصرف الصبيان الى منازلهم قبل نصف النهار لتناول الغذاء ، « ثم يعودون بعد صلاة الظهر للكتاب »(٣) ، كما عرفت الراحة أيضا فى المواسم والأعياد ، فللمعلم « أن يأذن لهم فى الأعياد »(٤) ، وكذلك البطالة من أجل ختم القرآن ، فقد كان الصبى يحصل على اجازة يوما حين يختم القرآن الكريم ، وعلى ذلك جرى العرف فى هذا العصر ، فقد سئل سحنون « أترى للمعلم فى اذنه للصبيان اليوم ونحوه ؟ قال : مازال ذلك من عمل الناس ، مثل اليوم وبعضه ، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك الا باذن آبائهم » « وانما الاذن فى الختم اليوم ونحوه »(٥) ٠ والعلة فى تقرير أوقات الراحة عند المربين من المسلمين ، توضحها نصيحة الانبابى للمعلم « أن لا يلجأ (الصبى) الى التعلم دائما ، والا كان متسببا فى موت قلبه ، وابطال ذكائه ، وتنغيص عيشه ، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا » (٦) ٠

أما جدول الدراسة فى كتاب القرن الرابع فيوضحه قول القابسى « انما دراسة الصبيان أحزابهم ، وعرضهم اياه على معلميهم ، فى عشى يوم الأربعاء وغدو يوم الخميس الى وقت الكتابة والتخاير قبل انقلابهم نصف النهار ثم يعودون بعد

---

(١) القابسى ـ مرجع سابق ، ص ٦٠ ـ ب ، ٦١ ـ أ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ ـ ب ، ٦١ ـ أ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١ ـ أ ٠

(٤) المرجع السابق ، ص ٦١ ـ أ ٠

(٥) المرجع السابق ، ص ٦١ ـ ب ٠

(٦) شمس الدين الانبابى ـ مرجع سابق ـ ص ٤ ٠

صلاة الظهر للكتاب والخيار الى صلاة العصر ثم ينصرفون الى يوم السبت يبكرون فيه الى معلميهم »(١) . ومعنى ذلك « أن يدرس الصبيان القرآن من أول النهار فى وقت مبكر حتى الضحى ثم يتعلمون الكتابة من الضحى الى الظهر ثم ينصرف الصبيان الى بيوتهم لتناول الغذاء ويعودون بعد صلاة الظهر وتدرس بقية العلوم كالنحو والشعر والعربية وأيام العرب والحساب ، من بعد الظهر الى آخر النهار »(٢) .

أما أثاث الكتاب « فكان يفرش بالحصر غالبا ، وكان يجلس عليها الصبيان متربعين حول معلمهم وكانت أدوات الدراسة لا تتجاوز المصحف الشريف وعدة من الألواح ، يكتب عليها الصبيان ، وكذلك عدد من الدوى والأقلام »(٣) .

ويبدو أن المساجد اتخذت أول الأمر أماكن لتعليم الصبيان ، ثم استقل المكتب بعد ذلك، بعيدا عن المسجد. وقد سئل مالك عن تعليم الصبيان فى المسجد « فقال لا أرى ذلك يجوز ، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة »(٤) ، ومنع الفقهاء معلمى الصبيان من تعليمهم فى المساجد « فلا يترك لمعلم الصبيان أن يجلس بهم فى المسجد »(٥) . وسبب المنع عدم تحفظ الصبيان من النجاسة فى هذا المكان المقدس ، وما يحدثه الأطفال من العبث ببنائه ، وكذلك تكون أصواتهم مصدر ازعاج وقلق للمصلين ، ولذلك أفتى الفقهاء فى هذا العصر بأن على المعلم استئجار مكان خاص بتعليم الصبيان ، فقالوا « انما على المعلم المكان اذا كان يعلم لعامة الناس »(٦) .

ولم يعن المسلمون بزخرفة الكتاب فى هذا العصر أو غيره « بل ظل على سذاجته وبساطته مدى العصور حتى أننا لا نرى فرقا بين كتاب الماضى وكتاب اليوم »(٧) .

واقتصرت الكتاتيب فى القرن الرابع على تعليم الذكور دون الاناث ، فلم أعثر على اشارة قوية تفيد وجود كتاب مختلط أو حتى كتاب خاص بالاناث

---

(١) القابسى — مرجع سابق ، ص ٦٠ — ب ، ٦١ — أ .
(٢) احمد فؤاد الأهوانى — مرجع سابق — ص ١٥٧ .
(٣) خطاب على عطية — مرجع سابق — ص ٧٢ .
(٤) القابسى — مرجع سابق — ٦٧ — ب .
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٧ — ب .
(٦) المرجع السابق ، ص ٦٧ — ب .
(٧) خطاب على عطية — مرجع سابق — ص ٧١ .

حيث كان يتم تعليم البنات فى بيوتهن ، على يد الوالد أو معلم خاص ، وقد رأى الفقهاء أن « من صلاحهم (الصبيان) ومن حسن النظر اليهم ألا يخلط بين الذكران والاناث »(١) • وقد قال سحنون « أكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطهن مع الغلمان ، لأن ذلك فساد لهن »(٢) • واذا علمنا أن بعض الصبيان فى القرن الرابع كان يمتد تعليمه بالكتاب حتى سن البلوغ أو مناهزة الاحتلام « وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام »(٣) ، أدركنا أن الدافع الذى دفع بالفقهاء الى تحريم اختلاط البنات بالصبيان فى الكتاب مرجعه الخشية على البنت وخوف الفساد ، ولا يعنى ذلك حرمان البنت من التعليم آنذاك ، فقد رأى فقهاء هذا العصر « تعليم الأنثى القرآن والعلوم ، فهو حسن ومن مصالحها »(٤) ، وقد شهد هذا العصر نساء ساهمن فى الحركة الفكرية والعلمية(٥) •

كما تجدر الاشارة الى أن الكتاتيب فى القرن الرابع كانت خاصة بصبيان المسلمين ، فقد ذكر القابسى جواب مالك ، حين سئل « فهل يعلم المسلم النصرانى ؟ فقال : لا » ، وقال « لا أرى أن يترك أحد من اليهود والنصارى ليعلم المسلمين القرآن » (٦) ، وذلك منطقى لأن القرآن الكريم كان أهم مواد المنهج ومحور الدراسة فى الكتاب، وعلى الرغم من اتصال المسلمين بغيرهم من الشعوب المتحضرة، « فقد احتفظ الكتاب طوال العصور بصفة اسلامية بحتة ••• وقد استمتع بمكانة كبيرة الأهمية فى الحياة الاسلامية ، لأن تعليم الصغار القرآن بصفة خاصة ، كان أمرا عظيم الخطر فى الاسلام »(٧)، « ومازال المسلمون وهم يرغبون فى تعليم أولادهم القرآن ، وعلى ذلك يربونهم ، وبه يبتدونهم وهم أطفال ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ولا يعلمون الا ما علمهم آباؤهم »(٨) •

---

(١) القابسى ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ أ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ ـ أ •

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ ـ أ •

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩ ـ ب •

(٥) ابن تغرى بردى ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١٥٢ ، حوادث سنة ٣٧٨ هـ •

(٦) القابسى ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ ـ ب •

(٧) أسماء حسن فهمى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣ •

(٨) القابسى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥ ـ أ •

ثانيا : المسجد

تعتبر المساجد من أقدم مؤسسات التعليم فى الاسلام ، أنشئت منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم وانتشرت بانتشار الاسلام وظل « المسجد منذ ظهوره فى فجر الدعوة الاسلامية ، يقوم بالدور الأساسى فى التربية الاسلامية »(١) ، و « فى التثقيف العلمى للمسلمين ، ودفع الحضارة الانسانية الى الرقى ، والتقدم بالعلم والتعليم »(٢) ، حيث كانت هذه المساجد « تقوم فى عصور الاسلام الأولى مقام المدارس والجامعات »(٣) • ومنذ عهد مبكر فى الاسلام واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم جلس شيوخ الصحابة ومن تبعهم فى المساجد يعلمون ويروون الحديث الى جانب القراء الذين يعلمون القرآن الكريم ، وقد اعتبرهم البعض أول من قام بالتعليم فى الاسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم (٤) •

وكانت الدراسة فى المساجد أول الأمر دينية ، وحين زاد احتكاك المسلمين بالحضارات الأخرى ، وتم الانفتاح العلمى على الثقافات الأجنبية ، اقتحمت العلوم الأجنبية المسجد ، لتفرض نفسها على الدراسة فيه ، جنبا الى جنب مع العلوم الدينية • وقد كان التعليم فى المساجد حرا « حرية مطلقة ، ليس هناك قواعد لحضور الطلاب أو لانصرافهم ، وليس الطالب مقيدا بالاستماع الى أستاذ معين أو دراسة علم معين ، وليس الشيخ مقيدا بمنهج ثابت ، فكان الطلاب •• يحضرون على الشيخ الذى يروقهم فى حلقته ، فاذا أحب طالب دروس شيخ لزمه ، وأخذ عنه ، حتى يتخرج على يديه ، ويجيزه للتدريس فيما بعد »(٥) •

وفى القرن الرابع الهجرى اشتهرت عدة مساجد بالتعليم منها :

جامع عمرو بن العاص : وكان هذا الجامع قلب الفسطاط الفكرى ومركزا من أهم مراكز التعليم فيه ، وقد بدأ التدريس فيه منذ جلس « عبد الله بن عمرو

---

(١) عبد الغنى عبود : التعليم مدى الحياة فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ١٠ •

(٢) محمود السعيد الطنطاوى : رسالة المسجد والامام ، صلة بين الدين والحياة ـ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ـ الكتاب رقم ١٤٣ من سلسلة كتب اسلامية ـ السنة الثالثة عشرة ـ ١٥ من صفر ١٣٩٣ هـ ـ ٢٠ مارس ١٩٧٢ م ـ ص ١٠ •

(٣) احمد أمين : ضحى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٥٢ •

(٤) عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام ـ بيروت ـ دار الاندلس ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٦٣ ـ ج ١ ـ ص ٢٤ •

(٥) احمد فؤاد الأهوانى ـ مرجع سابق ـ ص ١٥ •

ابن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب يعلم الناس فى مصر أحكام الدين الاسلامى »(١) . ولبثت ساحته بعد ذلك ندوة فكرية أدبية جامعة ، « وكانت حلقاته دورية منتظمة ، تعقد كل يوم تقريبا ... وفى أوائل القرن الرابع ، كانت حلقات الفسطاط العلمية والأدبية فى أوج ازدهارها ، واجتمع فى هذه الفترة من زعماء التفكير والأدب فى مصر ، عدة من الزعماء والأقطاب ، منهم أبو القاسم بن قديد الفقيه المحدث ، وتلميذه أبو عمر الكندى مؤرخ ولاة مصر وقضاتها وأبو جعفر النحاس المصرى الكاتب والشاعر وأبو بكر الحداد قاضى مصر وأبو القاسم بن طباطبا الحسنى الشاعر والحسن بن زولاق المؤرخ »(٢) ، ويرى المؤرخون « أنه فى سنة ٣٢٦ هـ كان للشافعيين فى جامع عمرو خمس عشرة حلقة وللمالكيين مثلها ولأصحاب أبى حنيفة ثلاث حلقات فقط »(٣) .

جامع ابن طولون : « وفيه عقدت حلقات ، لدراسة الفقه على المذاهب الأربعة ، وعلوم اللغة العربية ، وكان الطبيب عمر بن منصور البهادرى يتولى تدريس الطب فى هذا الجامع »(٤) ، كما درس فيه « الحديث والتفسير والقراءات والطب »(٥) .

جامع المنصور ببغداد : كان قبلة لأنظار الأساتذة والطلاب ، وهو « أقدم مسجد جامع ببغداد ، وأشهر مركز للتعليم فى المملكة الاسلامية »(٦) ، وفيه « جلس ابراهيم بن محمد بن نفطويه (المتوفى ٢٣٢٣ هـ - ٩٣٥ م) ، وكان من أكبر العلماء بمذهب داود الأصبهانى ، الىاسطوانة بجامع المنصور خمسين سنة ، لم يتغير محله منها »(٧) ، كما جلس فى مسجد البصرة اللغوى المشهور محمد بن أحمد المفجع (ت ٣٢٧ هـ) « يدرس للناس فيكتب الناس عنه ويقرءون الشعر »(٨) .

---

(١) محمود السعيد الطنطاوى - مرجع سابق - ص ٧٤ .

(٢) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى - القاهرة - الطبعة الاولى - مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عهد الاخشيديين - القاهرة - مطبعة جامعة فؤاد الاول - ١٩٥٠ - ص ٣٠٦ .

(٤) محمود السعيد الطنطاوى - مرجع سابق - ص ٧٤ .

(٥) احمد شلبى - مرجع سابق - ص ١١٢ .

(٦) آدم متز - مرجع سابق - ج ١ - ص ٢٥١ .

(٧) المرجع السابق - ج ١ - ص ٢٥١ .

(٨) كارل بروكلمان - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٢٣٦ .

الجامع الأزهر : يعتبر الجامع الأزهر من أشهر معاهد العلم فى الاسلام ، وهو خير ما خلفه الفاطميون للعالم الاسلامى ، وقد بدأ كغيره من المساجد لاقامة الشعائر ، ولم يلبث « أن أصبح جامعة ، يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كل صوب وحدب ، مختلف العلوم والفنون ، ففى سنة ٣٧٨ هـ ، أشار يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز ، بتحويل الأزهر الى جامعة ، تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية، وسرعان ما أصبح الأزهر مثابة علمية »(١) ، وقد عقدت فيه أول حلقة فى سنة ٣٦٥ هـ حينما جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان وقرأ مختصر أبيه فى فقه آل البيت وهو المسمى بكتاب « الاقتصار » فى جمع حافل من العلماء والكبراء وأثبت أسماء الحاضرين »(٢) · ثم توالت بعد ذلك حلقات العلم ، فجلس للتعليم الوزير يعقوب بن كلس وتحلق حوله الفقهاء يأخذون عنه الفقه الشيعى ويلازمونه فاذا كان يوم الجمعة حضروا وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى صلاة العصر لقراءة الفقه(٣) ·

ولم تقتصر الدراسة فى الجامع الأزهر على الفقه وعلوم الدين ، بل درس فيه الطب والمنطق والرياضيات حيث كان « ابن الهيثم يشتغل بالتصنيف والنسخ والافادة فى الجامع الأزهر ··· وهو ممن نبغ فى دراسة الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات »(٤) ـ هذا الى غيره من المساجد ، التى كانت منتشرة فى أرجاء الدولة الاسلامية تقوم بدورها فى التعليم ونشر الثقافة الاسلامية كالمسجد النبوى الشريف بالمدينة(٥) ، والمسجد الحرام بمكة(٦) ، والمسجد الأموى بدمشق (٧) ، والمسجد الجامع بقرطبة(٨) ، وغيرها من المساجد التى لم تغلق أبوابها أمام طلاب العلم ، فقد كان « الدخول لتلقى العلم فى الجامع أو المسجد كالدخول لأداء الصلاة ، أى لم يكن مقيدا بقيود ، فلكل فرد الحق فى الاستماع لأى درس من الدروس ، ما دامت لديه الرغبة فى العلم والقدرة على الفهم ، ولم تكن هناك شروط خاصة

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ص ٤١٤ ـ ٤١٥ ·

(٢) راجع المقريزى : الخطط ـ مرجع سابق ـ (الجامع الازهر) ـ ج ٢ ـ ص ٢٧٣ ·

(٣) المرجع السابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٧٣ ·

(٤) خطاب على عطية ـ مرجع سابق ـ ص ١١٥ ·

(٥) محمود السعيد الطنطاوى ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ·

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٩ ·

(٧) المرجع السابق ، ص ٧١ ·

(٨) المرجع السابق ، ص ٧٣ ·

بالسن أو الجنس أو المؤهلات »(١) ، وكانت المساجد دائما فى كل المدن الاسلامية « مراكز تربوية فاذا ما حل زائر فى مدينة ما قصد جامعها وهو واثق أنه سيجد فيه شيخا يعطى درسا »(٢) ٠

* * *

ثالثا : حوانيت الوراقين

الكتب كغيرها من السلع ، تباع وتشترى ، وفى القرن الرابع الهجرى كانت الكتب تباع فى حوانيت ، بكل بلد اسلامى ، فى أسواق عرفت بأسواق الوراقين . وكان القائم على بيعها يستخدم دلالا يروج بيعها وشراءها ، يقول ابن سينا : « واذ أنا فى يوم من الأيام حضرت وقت العصر فى الوراقين ، وبيد دلال مجلد ينادى عليه فعرضه على فرددته رد متبرم معتقدا ألا فائدة من هذا العلم فقال لى اشـتر منى هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنـه فاشتريته »(٣) ٠

وفى القرن الرابع عمل طائفة من العلماء بالوراقة ونسخ الكتب حيث كان العالم اذا قعد به الزمان ولم يجد مايفى بأمور عيشه يعمد الى الوراقة كيحيى ابن عدى الفيلسوف النصرانى (المتوفى ٣٦٤ هـ ـ ٩٧٤ م) ـ ذكر ابن النديم فى ترجمته « قال لى يوما فى الوراقين وقد عاتبته على كثرة نسخه فقال : من أى شىء تعجب فى هذا الوقت ؟ من صبرى قد نسخت بخطى نسختين من التفسير للطبرى وحملتها الى ملوك الأطراف ٠٠٠ وأنا أكتب فى اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»(٤) . وكذلك عمل بالوراقة السرى الرفاء ، الشاعر الأديب الموصلى (المتوفى ٣٦٢ هـ ـ ٩٧٢ م)(٥) ، وأبو حيان التوحيدى(٦) ، وأبو سعيد السيرافى(٧) ٠

---

(١) اسماء حسن فهمى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧ ٠

(٢) فيليب حتى وآخرون ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٥٠٠ ٠

(٣) ابن ابى اصيبعة ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٤ ٠

(٤) ابن النديم : الفهرست ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣٩٤ ٠

(٥) ابن خلكان : وفيات لاعيان ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٨٣ ٠

(٦) ابراهيم الكيلانى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥ ٠

(٧) زكريا ابراهيم ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ ٠

ولعل فى وجود أفاضل العلماء وأماثل الفقهاء فى طائفة الوراقين فى هذا العصر ما يلقى الضوء على عمق ما كان يدور فى حوانيت الوراقين من محاورات ومناظرات ومناقشات ، والذى يعنينا من هذه الحوانيت كونها منتدى للعلماء وملتقى لأفاضلهم يتذاكرون ويتناقشون فى مجالس علمية يحضرها طلاب العلم والمعرفة ٠

ذكر ياقوت انه كان « بالرها وراق يقال له سعد وكان فى دكانه مجلس كل أديب »(١) وعن هذا الدكان يذكر أبو بكر الصنوبرى (المتوفى ٤٣٣ هـ - ٤٩٥ م) ، أنه « كان (سعد الوراق) حسن الأدب ، يعمل شعرا رقيقا ، وما كنا نفارق دكانه أنا والمعوج الشامى الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر ، وكان لتاجر بالرها نصرانى من كبار تجارها اسمه ابن عيسى ٠٠٠ كان يجلس الينا ويكتب عنا أشعارنا »(٢) ٠

ومن النص السابق يبدو أن حوانيت الوراقين لم تقتصر على بيع الكتب والاتجار فيها وانما أسهمت فى حركة التعليم حيث كان العلماء يجلسون وحولهم الطلاب يكتبون عنهم « ولم يكن بائعو الكتب تجارا ينشدون الربح وانما كانوا فى أغلب الأحايين أدباء ، ذوى ثقافة ، يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة التى كانت تتيح لهم القراءة والاطلاع ، وتجذب لدكاكينهم العلماء والأدباء ، وعلى هذا فقد حفلت قائمة أسماء الوراقين بشخصيات لامعة »(٣) ٠ ومن أجل ذلك كانت وصية المهلب لبنيه « يا بنى ، اذا وقفتم فى الأسواق فلا تقفوا الا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب »(٤) ٠

وقد حفلت كتب الأدب والتراجم ، بعديد من المناقشات العلمية ، والمحاورات الأدبية والدينية ، وكثير من المناظرات بين العلماء الذين كانوا يجتمعون فى حوانيت الوراقين ، فعلى سبيل المثال :

ذكر ياقوت ، أنه كان من عادة أبى الفرج الأصفهانى وأبى نصر الزجاج ، أن يلتقيا كثيرا فى دكان فى سوق الوراقين ، وفى احدى جلساتهما كان أبو الحسن

---

(١) ياقوت الرومى - مرجع سابق - جـ ١٢ - ص ٢٣ ٠

(٢) ياقوت - مرجع سابق - جـ ١٢ - ص ٢٣ ، ٢٦ ٠

(٣) احمد شلبى - مرجع سابق - ص ٦٣ ، ٦٤ ٠

(٤) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية - مرجع سابق - ص ٣ ٠

على بن يوسف الشاعر جالسا عند أبى الفتح بن الخزاز الوراق وهو ينشد أبيات ابراهيم بن العباس الصولى التى يقول فيها :

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها فكانت قـذى عينيه حتى تجلت

فلما بلغ اليه ، استحسنه وكرره ، حدث أبو نصر الزجاج قال : قال لى أبو الفرج قم اليـه فقل له قد أسرفت فى استحســان هذا البيت ، وهو كذلك فأين موضع الصنعة فيه ؟ فقمت فقلت له ذلك فقال : قوله : « وكانت قذى عينيه » فعدت الى الاصفهانى وعرفته ذلك فقال : عد اليه فقل له أخطأت ، الصنعة فى قوله « من حيث يخفى مكانها »(١) ٠

وهكذا كانت حوانيت الوراقين مسرحا للمناقشات العلمية والأدبية ٠

على أن المهمة التعليمية قد تعدت حوانيت بيع الكتب الى غيرها من حوانيت البيع والشراء للعديد من السلع فيذكر السـبكى فى طبقاته أن الفقيه أبا بكر الصبغى « كان حانوته مجمع الحفاظ والمحدثين فى مربعة الكرمانيين على باب خان مكى ، وكنا نقرأ على أبى عبد الله بن يعقوب على باب حانوته »(٢) ، وقد كان الصبغى المذكور يبيع الصبغ فى دكان له وقد توفى سنة ٣٤٤ هـ ٠

وبذلك أسهمت حوانيت الوراقين وغيرها من الحوانيت فى ازدهار الحركة التعليمية فى القرن الرابع الهجرى ، وكانت قد فتحت فى الأصل لأعمال تجارية ، ثم اذا هى تصير مسرحا للثقافة والحوار العلمى عندما أمها المثقفون والأدباء والعلماء واتخذوا منها مكانا لاجتماعهم ٠

* * *

رابعا : منازل العلماء

أسهمت منازل العلماء بنصيب كبير فى الحركة التعليمية خلال القرن الرابع الهجرى فعلى الرغم من التعليم فى المساجد الا أن منازل العلماء كانت أماكن للدرس عند الضرورة ، فأقيمت فيها حلقات التعليم ، واستقبلت تلاميذ الأمة

---

(١) ياقوت الرومى : معجم الأدباء ـ مرجع سابق ـ ج ٥ ـ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ٠

(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٦٨ ٠

الاسلامية من جميع الأقطار ، وكانت « بمثابة مؤسسات علمية (يحج) اليها طلاب العلم المتخصصون فى فرع من فروع المعرفة من كل مكان »(١) ٠

وليس غريبا أن تكون منازل العلماء احدى مؤسسات التعليم فى القرن الرابع الهجرى ففى بدء ظهور الاسلام كان المنزل أول مؤسسة تربوية ، حيث اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من دار الأرقم بن أبى الأرقم مكانا يعلم فيه القلة المؤمنة تعاليم الدين الجديد كما « كان صلى الله عليه وسلم يجلس فى مكة ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويزكيهم »(٢) وكانت جموع المسلمين تتدفق على منزله تدفقا يكاد يكون متصلا ٠

ومن منازل العلماء التى أسهمت فى حركة التعليم فى القرن الرابع الهجرى : منزل الامام المحدث أبى محمد بن حاتم الرازى الحافظ ، روى ابن تغرى بردى عن أحمد بن عبد الله النيسابورى قوله « كنا عنده (الشيخ الرازى) وهو يقرأ علينا (الجرح والتعديل) الذى صنفه ، فدخل عليه يوسف بن الحسين الرازى ، فجلس وقال يا أبا محمد ما هذا ؟ فقال : الجرح والتعديل ، قال وما معناه ؟ قال : أظهر أحوال العلماء من كان ثقة ومن كان غير ثقة »(٣) ٠

وذكر أبو المحاسن عن الفقيه ابن سلمة (٣٣٧ هـ - ٤١٥ هـ) ، أنه « كان اماما فاضلا صدوقا ثقة كثير المعروف ، وداره مأوى لأهل العلم »(٤) ٠

كذلك كان منزل الشيخ الرئيس ابن سينا الذى كان « يصرف أعمال الدولة بالنهار ويجلس للتدريس والكتابة بالليل »(٥) ، ويحدثنا تلميذه الجوزجانى قائلا « كان يجتمع فى كل ليلة فى دار ابن سينا طلبة العلم وكنت أقرأ معه الشفاء ، وكان يقرىء غيرى من القانون نوبة ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير وقضينا على ذلك زمنا »(٩) ، كما جلس ابن سينا أيضا فى غير منزله ، ليعلم تلاميذه فذكر تلميذه الجوزجانى أيضا « أنه كان بجرجان رجل

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١٣ ٠

(٢) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٦٨ ٠

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة - مرجع سابق - ج ٣ - ص ٢٦٥ ، حوادث سنة ٣٢٧ هـ ٠

(٤) المرجع السابق - ج ٤ - ص ٢٦٠ ، حوادث سنة ٤١٥ هـ ٠

(٥) عباس محمود العقاد : الشيخ الرئيس ابن سينا - مرجع سابق - ص ١٥ ٠

(٦) ابن ابى أصيبعة - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٤ ٠

يقال له أبو محمد الشيرازى يحب هذه العلوم (علوم الحكمة) وقد اشترى للشيخ دارا فى جواره وأنزله بها ، وأنا أختلف اليه كل يوم ، أقرأ (المجسطى) وأستملى المنطق ، وأملى على المختصر الأوسط فى المنطق »(١) .

وتذكر المصادر بيتا من أعظم بيوت العلماء على الاطلاق وأكثرها اسهاما فى الحركة التعليمية والفكرية عموما هو منزل أبى سليمان المنطقى ، ففيه « كانت تعقد ندوات ثقافية وحلقات فكرية ، وكان يتردد عليه كثير من طلاب العلم ، وكان أبو حيان التوحيدى يشهد هذه الجلسات ويسجل معظم ما يدور فيها ويشترك مع غيره من الباحثين وطالبى المعرفة فى مناقشة أستاذهم والافادة منه »(٢) .

وممن حضر حلقة أبى سليمان فى منزله أبو محمد المقدسى ، وأبو الفتح النوشجانى وأبو زكريا الصيمرى ، وأبو بكر القومسى ، وأبو حيان التوحيدى(٣).

وقد وصف لنا المستشرق مايرهوف جماعة أبى سليمان العلمية بقوله : « فجماعات من العلماء تجتمع غالبا حول أبى سليمان السجستانى فى بيته ... مكونة من أناس مختلفى المشارب والنحل فكانت تجمع بين المسلمين المختلفى المذاهب والنصارى والصابئة والعلماء الذين رحلوا الى بغداد من الأندلس فى الغرب ومن بخارى فى الشرق ومن شيراز فى الجنوب ومن حدود الامبراطورية البيزنطية فى الشمال كى يحصلوا العلوم فى قلب الامبراطورية الاسلامية »(٤).

وفى مجلس أبى سليمان كانت تدور المناقشات والمحاورات حول مختلف الموضوعات « فتارة تكون فلسفية صرفة كالحديث حول العلة والمعلول ... بينما نجدها تتطرق فى أحيان أخرى لمواضيع نفسية وأخلاقية ، كتباين الأخلاق لدى الانسان ... وهناك موضوعات أخرى متفرقة يرد ذكرها فى المقابسات فى الحديث عن النثر والشعر وعلاقة النحو بالمنطق ، والفرق بين طريقة المتكلمين وطريقة الفلاسفة »(٥) .

---

(١) عبد الرحمن عميره : الفلسفة الاسلامية بين التقليد والابتكار — مطبعة عيسى البابى الحلبى — القاهرة — بدون تاريخ — ص ٣٣ .

(٢) زكريا ابراهيم — مرجع سابق — ص ٢١ .

(٣) أبو حيان التوحيدى : المقابسات — مرجع سابق — ص ١٢٠ .

(٤) ماكس مايرهوف : « من الاسكندرية الى بغداد » بحث مترجم فى كتاب « التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية » — ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى — القاهرة — مكتبة النهضة — ١٩٤٠ م — ص ٨٩ .

(٥) زكريا ابراهيم — مرجع سابق — ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

وفى احدى جلسات هذا المجمع العلمي يسأل أبو زكريا الصيمرى أبا سليمان المنطقي سؤالا ، حول نسبة العقل الى البارى : هل هو من قبيل الاختيار أم على سبيل الاضطرار ، ثم يتلقى من أستاذه اجابة عن ذلك(١) ، ويسأل التوحيدى أستاذه عن السبب فى أنّ التوحيد لم يصف فى الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الألفاظ ، كما صفا فى الفلسفة ، فيجيبه أستاذه بما يقنعه ، ويرد على استفساره (٢) ٠

ولم تهمل حلقة أبى سليمان الفنون وتذوق الانسان للجمال ، فأثيرت فى مجالسها مشكلة الادراك الجمالى وطبيعة الانفعال الذى يقترن بسماع النثر أو النظم ، والتفاضل الواقع بين البلغاء ، فى النظم والنثر ، ومرتبة كل واحد منهما (٣) ٠

وكانت هذه الحلقة فى بيت أبى سليمان ، تضم « الفلاسفة والأطباء والرياضيين والفلكيين والمؤرخين والشعراء والأدباء وأرباب الجدل ، وفدوا جميعا من أنحاء العالم الاسلامى شوقا للمعرفة وسعيا وراء العلم ، كانت المسائل ٠٠٠ تطرح للبحث ، فيجيب عنها شيخ الجماعة ، فيقيد الطلاب الأجوبة فى دفاترهم ، وكثيرا ما كان يتدخل الشيخ اذا اتسع النقاش ، سواء لابداء رأيه السديد ، أم هداية لطالب حائر ، حاد عن الطريق المعقول ، وتاه فى مهامه الفكر العويصة »(٤) ٠

وكان شيوخ الشـيعة يعلمون فى منازلهم « فقد كان محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ) المعروف بالمرزبانى صاحب أخبار ، وكان أشياخه يحضرون عنده فيسمعهم ويسمع منهم وكان عنده خمسون ما بين لحاف ودواج معدة لأهل العلم الذين يبيتون عنده »(٥) ٠ ومما تجدر الاشارة اليه أن التعليم فى منازل العلماء الامامية فى هذا العصر كان ذا أهمية كبيرة ، ذلك لأن تدريسهم كان يجرى فى بيوتهم فى الغالب خوفا من رقابة السلطان وتعرض شيوخ الامامية للرقابة(٦) ،

---

(١) أبو حيان التوحيدى : المقابسات — ص ١٤٩ ، ١٥٠ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٦١ ٠

(٤) ابراهيم الكيلانى — مرجع سابق — ص ٤٤ ، ٤٥ ٠

(٥) عبد الله فياض — مرجع سابق — ص ٧٦ ، نقلا عن ابن الجوزى : المنتظم — حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ — ج ٧ — ص ١٧٧ ٠

(٦) راجع منازل العلماء الامامية وما كان يدرس فيها فى :

عبد الله فياض — مرجع سابق — ص ٧٦ — ٧٩ ٠

ولم يكن العلماء الامامية « يستعملون أى جزء من أجزاء الدار للتعليم كيفما اتفق ، بل هناك موضع فى الدار نفسها يتخذ للصلاة والتدريس ويسمى هذا المحل مسجد »(١) .

وربما كان للأحوال الصعبة التى عاش فيها الامامية فى أكثر فترات حياتهم أثر فى قيامهم بالتعليم فى منازلهم لأن تعليمهم لتلاميذهم فى البيوت يجعلهم بمأمن من رقابة السلطان والمتعنتين من العلماء والعامة من أهل السنة .

وكان الحكام والوزراء يعطفون أدبيا وماديا على أهل هذه المجالس كما فعل الوزير ابن سعدان ، مع أبى سليمان المنطقى ، عندما سمع ذم البديهى له بأبيات من الشعر شنع فيها بعوره وبرصه فقال « قاتله الله فلقد أوجع وبالغ ولم يحفظ زمام العلم ولم يقض حق الفتوة »(٢) ، ويحدثنا أبو حيان أن هــذا الوزير كان يمد أبا سليمان بالمال مما جعل أبا حيان يقول : (أنك أنعشت روحه ، وكان خفت وبصرته وكان عشى وأنبت جناحه وكان قد حص بالرسم الذى وصل اليه »(٣) ، وكذلك فعل عضد الدولة مع أبى سليمان ، حتى اذا مات أسف عليه أبو سليمان وقال « لقد مضى الملك رضوان الله عليه ، ومن يخلفه فى مصلحتى ، ويجرى على عادته معى ؟ من يسأل عنى ويهتم بحالى ؟ هيهات فقد بالأمس من يطول تلفتنا اليه ويدوم تلهفنا عليه ، ان الزمان بمثله لبخيل »(٤) .

* * *

خامسا : الصالونات الأدبية

كان للصالونات الأدبيــة فى القرن الرابع الهجرى نصيب وافر فى نشر الثقافة الاسلامية واذكاء الحركة العلمية ، وهى لا تقل أهمية عن المؤسسات التربوية الأخرى ، وقد فرضتها ظروف الحياة فى القرن الرابع والتقدم العلمى والازدهار الثقافى الذى شهده هذا العصر فوقفت جنبا الى جنب مع المجالس العلمية المختلفة

---

(١) عبد الله فياض - مرجع سابق - ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) ابو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة - مرجع سابق - ج ١ - ص ٣١ من المقدمة للاستاذ احمد امين .

(٣) المرجع السابق - ج ١ - ص ٣٠ ، ٣١ .

(٤) المرجع السابق - ج ١ - ص ٣٠ .

التى كانت تعقد فى حوانيت الوراقين أو منازل العلماء أو مجالس المناظرات دالة بذلك على أن الرغبة فى البحوث العقلية فى شتى نواحى المعرفة لم تخب جذوتها ، وكان من نتاجها جميعا ثروة علمية وأدبية كبيرة خلفها القرن الرابع الهجرى .

وربما يعترض البعض على اعتبار الصالونات الأدبية مؤسسات تربوية ، غير أن صالونات القصور فى القرن الرابع : كصالون الوزير ابن العارض وصالون ابن العميد وصالون كافور وصالون سيف الدولة ، كانت تعقد بها حلقات منظمة للعلم يحضرها المتخصصون فى فرع من فروع المعرفة لا تقل بحال من الأحوال عن حلقات العلم المتخصصة التى كانت ولاتزال تعقد فى كلياتنا الجامعية الآن .

وقد اختلفت مجالس الصالونات فى طبيعتها عن المجالس العلمية الأخرى ، فظهرت فيها آثار التقاليد والحضارات الأجنبية ، التى اقتبسها العرب من الفرس والروم وغيرهم ، فاذا كانت مجالس العلماء فى المساجد وفى المنازل وفى حوانيت الوراقين تتميز بكل ألوان الحرية والمرونة حيث كان من حق الانسان أن ينضم لأية حلقة شاء وأن يتلقى العلم على أى شيخ أراد ، وأن ينتقل بكامل حريته من حلقة الى حلقة وأن يسأل أستاذه وأن يناقشه وأن يتبسط معه فى الحديث بغير كلفة أو قيد ، فقد كانت مجالس الصالونات فى القصور تختلف عن ذلك كله فليس لحاضرها « أن يذكر شيئا الا ما يسأل عنه ، أو يورد قولا أو اختيارا أو مطالعة ، الا ما استأذن فيه ، وسبيله أن يخفض صوته فى حديثه أو محاورته ، ولا يرفعه الا بقدر السماع الذى لا يحتاج معه الى استفهامه أو استعادته وأن يتجنب ايراد حكاية تستمحل أو لفظ يسترذل »(١) .

وفى القرن الرابع الهجرى ، كان الخلفاء والأمراء والوزراء يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم يجب أن تكون مركزا تشع منه الثقافة والعرفان ومثابة يلتقى فيها العلماء والأدباء « وكان الأمراء يفاخرون أمراء الأقطار الأخرى ، فى الثروة العلمية والأدبية ، كما يتفاخرون بعظمة الجند وعظمة المبانى »(٢) .

ولقد ضمت مجالس الصالونات طائفة من أكبر مفكرى هذا العصر من فقهاء ومفسرين ومحدثين ونحاة ومتكلمين وفلاسفة وأطباء ومهندسين .

وقد صورت لنا بعض كتب القرن الرابع ، محاضر اجتماعات هذه الطائفة الأرستقراطية من خلفاء وأمراء ووزراء ، وبينت حياة الأرستقراطيين أرستقراطية

---

(١) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ٧٤ .

(٢) احمد أمين : ظهر الاسلام — مرجع سابق — ج ١ — ص ٩٥ .

عقلية ، كيف يفكرون ويبحثون وفيم يفكرون(١) . ويحدثنا كتاب الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى عما كان يدور فى هذه المجالس وما كان يبحث فيها من موضوعات مختلفة لنواحى العلم المتعددة : من تفسير لآراء الفلاسفة والمتكلمين فى صلة الشريعة بالفلسفة ، وعن العلاقة القائمة بين الحس والعقل ودراسة العقل والجنون وتحديد معانى الطبيعة والعقل والنفس والروح الحق والباطل ، وتفاوت البشر فى العادات والأخلاق ، ونسبية المعرفة الانسانية ... الى غير ذلك من موضوعات فلسفية صرفة ، كما نجد فى كتاب الامتاع مسامرات متنوعة فى فنون شتى فنجد مفاضلة بين الحساب والبلاغة ومفاضلة أخرى بين النظم والنثر ، وأحاديث طويلة فى الحيوان وغرائبه ، وكثيرا من نوادر البخلاء والطفيليين وفكاهات ماجنة وغير ماجنة وكلاما فى النبات والمعادن ، وحكما عربية وغير عربية وأقوالا مختلفة فى الغناء والطرب ... الخ .

ومن أشهر صالونات القرن الرابع الهجرى :

- صالون الوزير بن العارض أبى عبد الله الحسن بن سنعدان (المتوفى ٣٧٥ هـ) وزير صمصام الدولة البويهى، وقد كان ابن العارض هذا واسع الاطلاع، له مشاركة جيدة فى كثير من فروع العلم ، من أدب وفلسفة وطبيعة والهيات وأخلاق ، يدل على ذلك حواره الذى يحكيه أبو حيان ... فهو يسأل أسئلة عميقة ، وينقد الاجابة عليها نقدا قيما(٢) .

وكان صالون الوزير ابن العارض « بمثابة حلقة علمية ممتازة ، يتردد عليها كبار العلماء والفلاسفة ، من أمثال ابن زرعة ، الفليسوف النصرانى ، ومسكويه (صاحب تهذيب الأخلاق وتجارب الأمم) وأبى عبيد الخطيب الكاتب وزيد بن رفاعة وأبى سعد بهرام بن أردشير ، وأبى حيان التوحيدى ، وأبى الوفاء المهندس ، وغيرهم » (٣) .

---

(١) راجع ابو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة - تحقيق ونشر احمد امين واحمد الزين - القاهرة - لجنة التاليف والترجمة والنشر (ثلاثة آجزاء) الجزء الاول - ١٩٣٩ مع مقدمة فى (٢٣٦ ص) ، والجزء الثانى ١٩٤٢ مع فهارس فى (٢٠٥ ص) والجزء الثالث ١٩٤٤ مع فهارس فى (٢٣٠ ص) .

(٢) احمد امين : مقدمة كتاب الامتاع والمؤانسة - مرجع سابق - جـ ١ ، ص ط .

(٣) زكريا ابراهيم - درجع سابق - ص ١١٣ .

وفى احدى جلسات هذا الصالون يسأل الوزير ابن العارض رواد صالونه عن معنى قول الله عز وجل « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » ويطول نقاش العلماء حول تفسير الآية ، كل يدلى برأيه(١) ٠

وفى جلسة أخرى يدور النقاش والحوار حول سؤال الوزير « أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب » ويكون الحديث مسهبا وطويلا يدل فى نهايته على قلة احتفال هذا المجمع العلمى بالفوارق العنصرية والخلافات الجنسية فلا فرق بين فارسى وعربى ولا موضع لتفضيل انسان على آخر لأصله أو نشأته أو وراثته(٢) ٠

كما اهتمت جلسات هذا الصالون بالفن ٠ صحيح أننا لا نجد فيما نقل الينا من موضوعات هذا المجلس نظرية فلسفية متكاملة فى تفسير الجمال ، أو تأويل الفن ، أو شرح عملية الابداع الفنى أو تحليل عملية التذوق الجمالى ، ولكن من المؤكد أننا نلقى فى ثنايا هذه المجالس أمثال هذه المواضيع ، وان كان جانب كبير منها قد انصرف الى فن البلاغة وفن الشعر وشتى فنون الكتابة ، فنرى مثلا أن موضوع احدى جلسات هذا المجمع العلمى كان قول الوزير ابن العارض « أحب أن أسمع كلاما فى مراتب النظم والنثر والى أى حد ينتهيان وعلى أى شكل يتفقان ، وأيهما أجمع للفائدة وأرجع بالعائدة وأدخل فى الصناعة وأولى بالبراعة ؟ »(٣) ٠ ويسمع الوزير من العلماء اجابات مطولة أتى العلماء فيها على كل ما قاله أرباب هذه الصناعة من البلغاء وأهل الكتابة ، الى غير ذلك من موضوعات فصلها كتاب الامتاع ، سبقت الاشارة اليها ٠

« وقد درج ابن العارض فى نهاية كل جلسة ، على طلب ملحة الوداع ، وهى عادة أبيات من الشعر أو حكمة أو عظة خلقية »(٤) ٠

وهناك صالون آخر لا يقل أهمية عن سابقه هو صالون الوزير ابن الفرات ، وقد روى لنا أبو حيان التوحيدى فى كتابة الامتاع ، المناظرة الرائعة التى دارت بين أبى سعيد الصيرافى ومتى بن يونس القنائى حول المفاضلة بين النحو العربى والمنطق اليونانى ، وتصور لنا هذه المناظرة قصة الصراع بين النحويين والمناطقة فى القرن الرابع ٠

---

(١) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة — مرجع سابق — ج ٢ — ص ١٩٠ ٠

(٢) أبو حيان التوحيدى : رسالة فى العلوم — ملحقة بكتاب فى الصداقة والصديق — نشره أحمد فارس الشدياق — مكتبة الجوانب بالقسطنطينية — ١٣٠١ هـ — ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ٠

(٣) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة — ج ٢ ص ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ٠

(٤) ابراهيم الكيلانى — مرجع سابق — ص ٣٨ ٠

فقد انعقد هذا المجلس وضم من العلماء « أبا سعيد السيرافى والخالدى وابن الأخشاد والكتبى وابن أبى بشر بن رباح وابن كعب وقدامة بن جعفر والزهدى وعلى بن عيسى الجراح وأبا فراس وابن عبد العزيز الهاشمى وابن العلوى وأبا بشر متى ورسوله ابن طفج الاخشيد والمرزبانى صاحب آل سامان » ، فقال الوزير ألا ينتدب منكم انسان لمناظرة متى فى حديث المنطق فانه يقول لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين ، الا بما حويناه من المنطق ثم تدور المناظرة الرائعة بين أبى سعيد السيرافى ومتى بن يونس(١) .

ومن هذه الصالونات : صالون ابن العميد ، فقد « كان كريما ، يغدق على الأدباء والشعراء ويقترح موضوع الأدب عليهم وينافس بينهم ويجزل العطاء لمن أحسن منهم ، فيجتمع بمجلسه بالرى « أبو الحسين بن فارس وأبو عبد الله الطبرى وأبو الحسن البديهى ... ويقصده المتنبى وابن نباته السعدى وغيرهما من الشعراء »(٢) .

وفى هذا الصالون كانت تدور مباحث للعديد من فروع العلم ، وقد عرض لنا الصاحب ابن عباد طرفا من ثقافة ابن العميد ، وما كان يدور فى مجلسه العلمى وصالونه الأدبى فى رسالته (الكشف عن مساوىء المتنبى)(٣) .

أما صالون الصاحب بن عباد فقد ساهم بايجابية فى دعم الحركة العلمية بما أنتج من اجتماع أماثل العلماء وما بحث من موضوعات لم تقتصر على الأدب والشعر وانما تعدتها الى عديد من العلوم والفنون (٤) .

وقد نافس صالون كافور الاخشيد بمصر هذه الصالونات جميعا « اذ كان لكافور بصر بالعربية والأدب والعلم — قال الذهبى : وكان كافور يدنى الشعراء ويجيزهم ، وكانت تقرأ عنده كل ليلة السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية ، وله ندماء »(٥) .

---

(١) راجع تفاصيل المناظرة عند :
أبى حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة — مرجع سابق — ج ١ — ص ١٠٨ — ١٢٨ .

(٢) احمد امين : ظهر الاسلام — مرجع سابق — ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) راجع : أبو سعيد محمد بن احمد العميد : الابانة عن سرقات المتنبى — تحقيق ابراهيم الدسوقى البساطى — الطبعة الثانية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٩ م — ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٤) أبو حيان التوحيدى : مثالب الوزيرين — تحقيق ونشر ابراهيم الكيلانى — دمشق دار الفكر العربى — ١٩٦١ — ص ١٥٠ — ١٥١ .

(٥) ابن تغرى بردى — مرجع سابق — ج ٤ — ص ١٦ .

كذلك كان صالون عضد الدولة البويهى وقد كان يحب العلم والعلماء ، قال عنه أبو عبد الله الأزدى « كان الملك عضد الدولة قتا خسرو بن بويه الديلمى يحب العلم والعلماء ، وكان مجلسه يحتوى على عدد عظيم فى كل فن ، وأكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم للمناظرة مجالس »(١) .

وضم صالون سيف الدولة الحمدانى طائفة رائعة من علماء القرن الرابع الهجرى وأدبائه ومفكريه ، الذين عرفوا تشجيعه للعلم والأدب ، « فقصدوه من كل جانب وبالغوا فى تحسين بضاعتهم وتجويد فنهم ، واحسان عرضهم فنالوا منه ما تمنوا ، وكان ذلك نعمة على الفنون والعلوم وثروة بقيت على الزمان »(٢) .

أما صالونات الفاطميين فقد عقدت فيها « مجالس علمية صاخبة من حين لآخر ، وقوام هذه المجالس أساتذة دار الحكمة ، الذين كانوا ينقسمون الى جماعات، تبعا لمواد دراستهم وتخصصهم ، فكان يجتمع هنا أساتذة المنطق والجدل ، وهناك الفقهاء والمحدثون ، وفى مكان علماء الرياضة ، ويشغل الأطباء مكانا رابعا وهكذا »(٣) .

* * *

سادسا : دور الكتب ، ودور العلم

لدور الكتب ودور العلم صلة وثيقة بالتربية الاسلامية ، فقد كانت نواة الجامعات الاسلامية الكبرى ، وكان لعناية المسلمين بها « أثر كبير فى تيسير الثقافة والتعليم ، وتشجيع الطلاب على الاستمرار فى الدراسة والبحث العلمى »(٤).

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى « ت ٤٠٣ هـ » : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج - ضبطه وقدم له وعلق عليه محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهادى أبو ريده - القاهرة - دار الفكر العربى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م - ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

وراجع احدى هذه المناظرات التى دارت فى صالون عضد الدولة فى الكتاب ، ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) احمد امين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - ج ١ - ص ١٧٩ .

(٣) احمد شلبى - مرجع سابق - ص ٩٤ .

(١) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - مرجع سابق - ص ٩٩ .

وقد انتشرت المكتبات فى القرن الرابع الهجرى انتشارا يدعو الى الاعجاب ، فكان فى كل جامع كبير مكتبة ، اذ كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع(١) ، « وكان لكل أمير مكتبة عظيمة يفتخر بها ويسعى فى تنميتها »(٢) ، وكان « الملوك يفاخرون بجمع الكتب ، حتى كان لكل ملك من ملوك الاسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد فى أواخر القرن الرابع ولع شديد بالكتب ، فكان الحاكم صاحب الأندلس يبعث رجالا الى جميع بلاد المشرق ، ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها ، وكان فهرس مكتبته يتألف من أربعة وأربعين كراسة ٠٠٠ أما فى مصر فكان للخليفة العزيز (المتوفى عام ٣٨٦هـ - ٩٩٦م) خزانة كتب كبيرة»(٣) فقد اختلف المؤرخون فى « التقدير الاحصائى لرصيد مكتبة العزيز بالله ، فمن قائل أنها كانت تقتنى مائتى ألف كتاب ، ومنهم من وصل برقم الرصيد الى مليون وستمائة ألف منها ستة الآف وخمسمائة كتاب فى النجوم والهندسة والفلسفة ، واثنا عشر ألفا من مصنفات العلوم الأخرى مترجمة ومؤلفة » (٤) ٠ وتنقل الأخبار عنها أنها « كانت دقيقة التنظيم والتنسيق لها فهارس وقوائم ٠٠٠ كما كانت المكتبة تقتنى مع ذخائر المخطوطات خرائط جغرافية وأجهزة علمية هندسية وفلكية »(٥) ٠

كما كان للوزراء مكتبة ضخمة حوت آلاف الكتب والمجلدات ، وقد كانت كتب أحدهم العلمية تحمل على أربعمائة جمل أو أكثر وتقع فهارسها فى عشر مجلدات(٦)ـ هذا غير مكتبات العلماء الذين فاق اهتمامهم بالكتب كل وصف ٠

كذلك انتشرت دور العلم ، وساهمت فى النهوض بالحركة التعليمية عند المسلمين فى القرن الرابع الهجرى ، وربما كان الدافع لانشائها والاستفادة منها فى التعليم بجانب غيرها من المؤسسات التى سبق الحديث عنها أن الحركة الفكرية فى القرن الرابع كانت قد قطعت شوطا بعيدا ، وأن المناظرات والجدل الدينى وما يتبعها من خلافات وشجار ، كانتا على أشدهما عند المسلمين فى هذا القرن ، بسبب

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ١ ص ٦٣ ٠

(٢) احمد أمين : ظهر الاسلام - جـ ٢ ص ٢١٩ ٠

(٣) آدم متز - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٤٣ ٠

(٤) بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن) : تراثنا بين ماض وحاضر - القاهرة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٠ - ص ٢١ ٠

(٥) المرجع السابق - ص ٢٤ ٠

(٦) آدم متز - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٤٦ ٠

الصراع المذهبي وهذه عوامل غير مرغوب فيها في المساجد لما تحدثه من مضايقات للمصلين ، كما أن منازل العلماء وان استخدمت أماكن للتعليم الا أن المنزل كماهو معلوم جعل للسكنى وللراحة لا للتدريس والتعليم ، الأمر الذى جعل دور الكتب ودور العلم ، من أفضل الأماكن للتعليم ، وما يتبعه فى هذا العصر من مناقشات ومجادلات ٠ وقد « كان فى تلك الدور حجر للاطلاع ، وحجر للنسخ ، وقاعات للمحاضرات وحلقات للدراسة » (١) ٠ وكانت دور العلم ودور الكتب موئلا للعلماء والباحثين يتناقشون ويبحثون مختلف المواضيع ٠

ويدل على استخدام هذه الدور مكانا للتعليم ما جاء فى وصف خزانة كتب على بن يحيى بن المنجم ، الذى بنى « خزانة كتب عظيمة فى ضيعته ، وسماها خزانة الحكمة ، وكان يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ، ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى ، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو اذ ذاك لا يحسن كبير شىء من النجوم فوصفت له الخزانة فمضى ورآها وهاله أمرها فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم »(٢) ٠ ويدل ذلك على أن دار الكتب هذه قد توفر لها بعض مستلزمات معهد التعليم ، فرودها كما يبدو كانوا يقيمون بها مدة قد لا تكون قصيرة ، ليتمكنوا من مطالعة ما توفر فيها من كتب أو ليتعلموا ما شاءوا من العلوم ، كما فعل أبو معشر حين أقام بها ، وتعلم علم النجوم ، وكان علمه به من قبل قليلا ٠

ومن أهم دور الكتب فى القرن الرابع الهجرى :

دار كتب عضد الدولة البويهى :

وقد وصفها المقدسى بقوله : « وبنى (عضد الدولة) بشيراز دارا لم أر فى شرق ولا فى غرب مثلها ٠٠٠ وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ، ولم يبق كتاب صنف الى وقته من أنواع العلوم كلها الا وجعله فيها ، وهى أزج طويل فى صفة كبيرة ، فيه خزائن من كل وجه ، وقد ألصق على جميع الحيطان الأزج ، والخزائن بيوت طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع

---

(١) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٨ ٠

(٢) آدم متز : مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٤٥ نقلا عن الارشاد لياقوت : ج ٥ ـ ص ٤٦٧ ٠

من الخشب المزوق ، عليها أبواب تنحدر من فوق ، والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات ، فيها أسامي الكتب »(١) ٠

دار كتب ابن سوار : كاتب عضد الدولة بمدينة رام هرمز والبصرة :

قال المقدسي : « رام هرمز قصبة كبيرة ٠٠٠ وبها دار كتب كالتي بالبصرة والداران جميعا اتخذهما ابن سوار وفيهما اجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ ، الا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبا ، وفي هذه أبدا شيخ يدرس عليه علم الكلام »(٢) ، وقد تميزت دار ابن سوار بوجود معلم مقيم بصورة مستمرة يدرس عليه التلاميذ علم الكلام ، كما تميزت باجراء النفقه على من لزم هذه الدار للتعليم حيث توفرت وسائل العيش والراحة ٠

خزانة الحكمة ببغداد :

وكانت أعظم خزائن الكتب في الاسلام على اختلاف عصوره ودوله ، لأنها حوت من الأسفار العتيقة كل جليل ونفيس ، ولم تكن كتبها الا نتاج ثقافات شرقية وغربية مختلفة العربية والفارسية والسريانية واليونانية وغيرها » (٣) ، ولم تكن مهمتها « تقتصر على الترجمة ، بل كانت تقوم بالتعليم والبحث العلمي أيضا »(٤) ، وكان بها طائفة « من أكابر العلماء في هذا العصر ، لاسيما من كان ذا حظ وافر من معرفة لغة أو لغات أجنبية، كاليونانية والفارسية والآرامية وغيرها ... وكان عملهم في خزانة الحكمة خزن الكتب واستنساخها أو نقلها من لغة الى أخرى هذا الى جانب افادة طلاب العلم وراغبي المعرفة الذين لم ينقطعوا عن هذه الخزانة وداوموا الاقبال عليها » (٥) ٠

وقد ظلت هذه الخزانة « مزارا للعلماء من أنحاء الدولة الاسلامية الكبرى ، ومقصدا لطلاب العلم والمعرفة لمدى قرون خمسة تقريبا ، وقد كان علماء العربية والاسلام خارج العراق يجعلون رحلتهم الى بغداد واجبا علميا ، فيحجون الى بيت

---

(١) المقدسي — مرجع سابق — ص ٤٤٩ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١٣ ٠

(٣) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق — بغداد — مطبعة دار المعارف — ١٩٤٨ م — ص ١٠٥ ٠

(٤) عبد الغني عبود : مذكرات في تاريخ التربية — مرجع سابق — ص ١٤٣ ٠

(٥) كوركيس عواد — مرجع سابق — ص ١١٠ ٠

الحكمة ويطلعون على ما فيه من نفائس المخطوطات فى زمن لم تكن المطبعة فيه قد عرفت لتيسر الاعلام عن هذه النفائس والتعريف بها ونشرها والافادة منها »(١) ، فقد حظيت خزانة الحكمة بهذه المنزلة ، لأنها « كانت أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى بل أول جامعة اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ اليها الطلاب فكانت بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها » (٢) .

مكتبة الزهراء بقرطبة :

كانت الأندلس فى القرن الرابع الهجرى منارا حضاريا أضاء للغرب الأوربى ظلمات عصوره الوسطى ، وزوده بعدد سخى من كنوز الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، وكانت من أهم المعابر التاريخية للحضارة ، من الشرق الى الغرب (٣) ، وكانت عاصمتها « قرطبة أعظم مدينة متحضرة فى أوروبا فى القرن العاشر (الرابع الهجرى) » (٤) وفى عهد المستنصر « تم تشييد مكتبة قرطبة الكبرى فى قصر الزهراء المشهور »(٥) وقد ساهمت هذه المكتبة مساهمة كبيرة فى حركة الترجمة فى القرن الرابع ، كما ساهمت من قبلها دار الحكمة ببغداد مع فرق واضح ، قضت به طبيعة الظروف فى الأندلس ، حيث كانت الترجمة فى مكتبة الزهراء تتم « بالنقل عن العربية الى لغات قديمة وبخاصة اللغتين الاسبانية واللاتينية » ، حيث كان الاتجاه الى نشر الثقافة العربية التى بلغت عز نضجها وأوج نهضتها »(٦) فى هذا العصر ، الذى كان الدور القيادى فيه للحضارة الاسلامية . والى قرطبة ومكتبتها «سعى طلاب العلم من أوروبا يدرسون فى معاهدها وينقلون من ذخائر خزائنها . ومن أشهر هؤلاء الطلاب (البابا سلسفتر الثانى) ، « الذى درس بالأندلس ونهل من منابع الفكر فيها ، ثم « عاد الى ايطاليا مزودا بأعلى ثقافة فى عصره ، فاعتلى كرسى البابوية ، فى أخريات القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) »(٧) .

---

(١) بنت الشاطىء - مرجع سابق - ص ٢١ .
(٢) أحمد شلبى - مرجع سابق - ص ١٨٤ .
(٣) بنت الشاطىء - مرجع سابق - ص ٢٥ .
(4) Firth, C.B.: History, Second Series, Book Three, Pioneers in Religion and Science, Ginn and Company Ltd., London, 1949, p. 68.
(٥) بنت الشاطىء - مرجع سابق - ص ٢٦ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

« وفى مكتبة الزهـراء ... ترجمت الى اللاتينيـة كتب الأدوية والطب والجراحة » كما ترجمت « فلسفة-الكندى والفارابى وقانون ابن سينا وعلم النجوم لجابر بن أفلح »(١) ، وغيرها من ذخائر الكتب مترجمة من العربية الى الاسبانية واللاتينية .

كما اشتهر من دور العلم فى القرن الرابع الهجرى :

دار العلم بالقاهرة :

كما ازدانت بغداد بدار الحكمة ، التى جذبت اليها العلماء والطلاب من مختلف الأقطار ، حرص الفاطميون على أن تزدان القاهرة بمكتبة تضارع بيت الحكمة عظمة وشهرة ، فأنشأ الحاكم بأمر الله دار العلم « فى العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ »(٢) وحمل اليها الكتب من خزائن القصور ، «ودخل سائر الناس اليها يقرءون وينسخون ، وأقيم لها خزان بوابون ، ورتب فيها قوم يدرسون للناس العلوم ، وكان فى هذه الدار ما يحتاج الناس اليه من الحبر والأقلام والمحابر والورق »(٣) وقد اعتمد لها الفاطميون ميزانية كبيرة للانفاق عليها والعناية بها ، وقد بلغت هذه النفقة « فى كل سنة ٢٥٧ دينارا من العين المغربى ، فمن ذلك : للورق ٩٠ دينارا ، للخازن ٤٨ دينارا ، للفراشين ١٥ دينارا ، للناظر فى الورق والحبر والأقلام ١٢ دينارا ، لمرمة الكتب ١٢ دينارا ، ثمن الماء ١٢ دينارا ، ثمن الحصر العبدانى ١٠ دنانير ثمن لبود للفرش فى الشتاء ٥ دنانير ، ثمن طنافس فى الشتاء ٥ دنانير ، لمرمة الستارة ١ دينار »(٤) . وكانت دار العلم « جامعة حقة ، تضم عدة حلقـات دينية وأدبية وعلمية ، جلس فيها القراء والفقهـاء وأصحاب النحو واللغة والمنجمون والأطباء والفلاسفة ، وكانت الى جانب ذلك تضم مكتبة عظيمة حوت الـكثير من الكتب فى سـائر العلوم والأدب من فقه ونحـو ولغة وكيمياء وطب »(٥). وفى القرن الرابع « هرع اليها طلاب الفلسفة والحكمة فى مصروغيرها من البلدان الاسلامية واجتذبت الكثير من محبى المناظرة والبحث الحر فى المذاهب على اختلافها ، وظلت مدة طويلة تخرج الأطباء والفلاسفة والفقهاء وعلماء اللغة »(٦).

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢) المقريزى : الخطط – مرجع سابق – ج ٢ – ص ٢٨٦ .

(٣) آدم متز – مرجع سابق – ج ١ – ص ٢٥٠ .

(٤) المرجع السابق – ج ١ ص ٥٢٠ .

(٥) خطاب على عطية – مرجع سابق – ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

دار علم سابور بن أردشير :

تولى سابور الوزارة لبهاء الدولة البويهى وابتاع « دارا بين السورين فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وحمل اليها كتب العلم من كل فن وسماها دار العلم وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد ، ووقف عليها الوقوف ، وبقيت سبعين سنة »(١) ، وكانت هذه الدار مركزا ثقافيا للبحث والدراسة والاطلاع والمناظرة والمحاورات والمجادلات يجتمع فيها الباحثون والمتناظرون والمحاضرون والعلماء والأدباء »(٢) ، كما كانت مؤسسة علمية ذات صلة بالتعليم ٠٠٠ ذات موارد مالية كبيرة لكثرة الأوقاف التى حبست عليها ، ومن المحتمل أن قسما من وارد الوقوف المذكورة يصرف لأغراض تعليمية لأن الأصل فى الوقوف أن يكون لأغراض دينية »(٣) ، والتعليم يدخل فى صميم هذه الأغراض ، ويذكر كوركيس عواد أن دار علم سابور كانت « موئلا للعلماء والباحثين يترددون اليها للدرس والمناظرة والمباحثة »(٤) ٠

دار علم أبى القاسم جعفر بن حمدان الموصلى (توفى ٣٢٣ هـ — ٩٣٥ م) :

وقد أسسها فى بلده « وجعل فيها خزائن كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب العلم ، لا يمنع أحدا من دخولها ، واذا جاءها قريب يطلب الأدب وكان معسرا ، أعطاه ورقا وورقا ، وكان ابن حمدان يجلس فيها ويجتمع اليه الناس ، فيملى عليهم من شعره وشعر غيره ، ثم يملى حكايات مستطابة ، وطرفا من الفقه وما يتعلق به »(٥) ٠

دار علم الشريف الرضى :

أنشأها الشريف الرضى ببغداد ، و « كانت موضعا لدراسة الطلاب وسكناهم فى الوقت نفسه »(٦) — فتح أبوابها « لطلبة العلم ، وعين لهم جميعا ما يحتاجون اليه »(٧) من الكتب ومن كل شىء ، حتى دهن السراج . ولما علم « بأن خازن دار العلم

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ — مرجع سابق — ج ٩ — حوادث سنة ٣٨١ هـ ٠

(٢) محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها — مرجع سابق — ص ١٠٢ ٠

(٣) عبد الله فياض — مرجع سابق — ص ٩٣ ٠

(٤) كوركيس عواد — مرجع سابق — ص ١٤١ ٠

(٥) آدم متز — مرجع سابق — ج ١ — ص ٢٤٨ نقلا عن الارشاد لياقوت — ج ٢ ص ٤٢٠ ٠

(٦) عبد الله فياض — مرجع سابق — ص ٩٣ ٠

(٧) آدم متز — مرجع سابق — ج ١ — ص ٢٤٩ ٠

كان غائبا، حين احتاج أحد الطلبة الى دهن لسراجه وليس معه مفتاح لخزانة الدهن، أمر بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ليستعمل كل طالب مفتاحة دون حاجة الى الخازن »(١). ويظهر من هذا أن دار علم الشريف الرضى كانت أشبه بالمدرسة حيث يدرس الطلبة ويسكنون ، وكانت نفقة الطلاب على صاحب الدار ٠

كما أنشأ أخوه الشريف المرتضى « مدرسة أسماها دار العلم ووقف قرية من قراه تصرف مواردها على قراطيس الفقهاء والطلبة »(٢) ٠

ومما سبق نستنتج :

١ ـ أن دار الكتب ودار العلم المذكورة أسهمت فى عملية التعليم بجانب المساجد ومنازل العلماء وحوانيت الورافين وصالونات القصور ٠

٢ ـ أن هذه الدور كانت أصلح للتعليم من المساجد، لوجود الكتب ووسائل المطالعة الأخرى ، وربما السكنى ، ولأن المساجد لم تعد فى القرن الرابع تصلح للتعليم ولأن التعليم أصبح مصحوبا دائما بجدل ومناقشات تكدر راحة المصلين فى المساجد ، كما كانت أصلح من منازل العلماء لما تمتعت به من امكانيات ، ولان المنازل جعلت للراحة والسكنى لا للتعليم ، وأن التعليم فيها كان أمرا طارئا اقتضته الظروف فى أغلب الأحيان ٠

٣ ـ أن هذه الدور توفر فى بعضها معلم يعلم الطلاب ، كما أجريت فيها النفقة على الطلاب من روادها بل ان بعض هذه الدور كان يقوم صاحبها بممارسة التعليم بنفسه ، كما كان فى بعضها محل للعيش والسكنى المجانى للطلبة الذين يأتون اليها من أماكن بعيدة ، كما كانت مفتحة الأبواب لكل من يرغب فى الدرس والتعليم ٠

* * *

سابعا : المدرسة

ذهب كثير من الباحثين فى تاريخ التربية الاسلامية الى أن المدرسة كمؤسسة تعليمية من مستحدثات القرن الخامس الهجرى ، واعتمدوا فى ذلك على ما ذكره

---

(١) محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ـ مرجع سابق ـ ص ١٨ ٠

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٨ ٠

المقريزى فى خططه من أن « المدارس مما حدث فى الاسلام ، ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين، وانما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة»(١) .

فقد ذهب الدكتور أحمد شلبى الى أن المدرسة من مستحدثات الوزير نظام الملك(٢) فى القرن الخامس الهجرى ، وذهب غيره من الباحثين الى أن كلمة (مدرسة) لم ترد فى المصادر التاريخية حتى نهاية القرن الرابع تقريبا(٣) ، ورأى الأستاذ خطاب على عطية ، أن المؤرخين المسلمين « أجمعوا تقريبا على أن أول من بنى مدرسة فى الاسلام نظام الملك الطوسى ، وزير ملك شاه السلجوقى فى أواسط القرن الخامس الهجرى »(٤) .

ولم يكن نظام الملك أول من أسس المدارس فى الاسلام ، فقد ذكر السبكى فى طبقاته «وشيخنا الذهبى زعم أنه(نظام الملك) أول من بنى المدارس ، وليس كذلك، فقدكانت المدرسة البيهقية بنيسابور، قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعيدية بنيسابور أيضا بناها الامير سبكتكين أخو السلطان محمود ...» (٥) ، غير أن السبب فى اشتهار نظام الملك وارتباط اسمه بالمدارس ، يعود الى أنه أول من بنى مدرسة كبرى فى بغداد سنة ٤٥٨ هـ — ١٠٦٥ م ، هى المدرسة النظامية ، كما أنشأ مدارس مماثلة لها فى أماكن أخرى فبنى « مدرسة ببلخ ومدرسة بنيسابور ومدرسة بهراة ومدرسة بأصبهان ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ومدرسة بآمل طبرستان ومدرسة بالموصل ، ويقال ان له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة »(٦) .

ويعد تنظيم المدارس من قبل نظام الملك ، بداية عصر جديد ، أشرفت فيه الخلافة على النظام التربوى، حيث أصبحت التربية من ذلك الحين من أعمال الحكومة ، وقد رأى السبكى « أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة ، فانه لم يتضح لى

---

(١) المقريزى : الخطط — مرجع سابق — ج ٢ — ص ٣٦٣ .

(٢) احمد شلبى — مرجع سابق — ص ٩٩ .

خطاب على عطيه — مرجع سابق — ص ١٦٧ .

(٣) محمد عبد الرحيم غنيمة — مرجع سابق — ص ٩٩ .

(٤) خطاب على عطية — مرجع سابق — ص ١٦٧ .

(٥) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى — مرجع سابق — ج ٣ — ص ١٣٧ .

(٦) احمد امين : ضحى الاسلام — مرجع سابق — ج ٢ — ص ١١٩ .

(للسبكى) هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أو لا ؟ والا ظهر أنه لم يكن لهم معلوم »[١] • واذا كان المقصود بالمعاليم هى أرزاق الطلبة ، فليس نظام الملك أول من قدرها ، بل سبقه الى ذلك الشريفان ، الراضى والمرتضى ، وربما سبق الجميع فى ذلك ابن سوار[٢] فقد كانوا جميعا يجرون على طلبة العلم بدور العلم التى أنشأها ، أرزاقا كما أسلفنا •

ويبدو لى أن المدرسة قد ظهرت فى القرن الرابع الهجرى ولم تكن من مستحدثات القرن الخامس الهجرى ، ويؤيد ذلك أن اسم المدرسة قد ورد فى القرن الرابع الهجرى :

١ ـ فقد قال المقدسى (المتوفى ٣٧٨ هـ) فى معرض كلامه على تجواله فى العالم الاسلامى « وأممت فى المساجد وذكرت فى الجوامع واختلفت الى المدارس »[٣] ، كما قال فى وصف مدينة الرى : « الرى بلد جليل ••• وبه مجالس ومدارس »[٤] ووصف مدينة ايرانشهر بقوله : « ايرانشهر هو مصر الجانب ، وقصبة نيسابور ••• بلد الأجلة والراسخين من الأئمة ••• أسواق فسيحة ، ومجالس أليفة ، ومدارس رشيقة » [٥] •

٢ ـ وقال السبكى فى طبقاته عن محمد بن عبد الله بن خمشاد (٣١٦ هـ ـ ٣٨٨ هـ) « كان الى أن خرج من دار الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته »[٦].

٣ ـ وقال بديع الزمان الهمذانى (توفى ٣٩٨ هـ) فى رسالته لابن أخته : « أنت ولدى مادمت والعلم شأنك ، والمدرسة مكانك والمحبرة حليفك والدفتر اليفك ، فان قصرت ولا أخالك ، فقيرى خالك والسلام » [٧] •

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٣٧ •

(٢) ارجع الى ص ٢٠٥ من الرسالة •

(٣) المقدسى ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤ •

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٠ •

(٥) المرجع السابق ، ص ٣١٤ ـ ٣١٦ •

(٦) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٦٧ •

(٧) بديع الزمان الهمذانى : الرسائل ـ الطبعة الرابعة ـ القاهرة ـ مطبعة هندية بالموسكى ـ ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٢٨ م ـ ص ١٥٢ •

٤ ـ وذهب آدم متز ، الى أن المدرسة من مستحدثات القرن الرابع فقال: « وكان تغير طريقة التعليم سببا فى ايجاد نوع جديد من المؤسسات العلمية ، ذلك أنه لما انتشرت طريقة التدريس نشأت المدارس ... فالقرن الرابع هو الذى أظهر هذه المعاهد الجديدة ، التى بقيت الى أيامنا » (١) .

٥ ـ والى مثل هذا الرأى ذهبت السيدة/أسماء فهمى فقالت: ان المدرسة نوع آخر من المعاهد العليا « ظهرت فى نهاية القرن الرابع الهجرى »(٢) .

ومما سبق ، يبدو أن المدرسة ، نشأت فى القرن الرابع الهجرى .

أما فيما يتعلق بمكان أول مدرسة ، فانه يصعب تحديد تاريخ ومكان معينين لنشوء أول مدرسة ، فان مشاهدة المقدسى فى تجواله لعدد من المدارس فى بلاد مختلفة ، يدل على أن المدرسة لم توجد فى مكان واحد ، وانما وجدت فى أماكن متعددة ، وأقطار مختلفة ، ويرى البعض أن السبب فى قول المؤرخين أن أول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام أهل نيسابور، هو أن ذلك « تقليد لما تعارف عليه جماعة من المؤرخين المسلمين ، وهو رغبتهم فى ذكر أول فرد أو جماعة قاموا بعمل ما فى الاسلام ، كأول شهيد وأول شهيدة فى الاسلام ... » (٣) . وقد انتقلت فكرة المدرسة من بغداد وخراسان الى الشام، حيث « أقيمت أول مدرسة فى دمشق فى عام ٤٩١ هـ ـ ١٠٩٧ م » ، « ومنها انتقلت فكرة بنائها الى مصر ، على يد صلاح الدين وذلك منذ عام ٥٦٧ هـ ١١٧١ م ثم ظهرت فى شمال أفريقيا بعد ذلك بما يقرب من قرن »(٤) ، ويرى جب وكرامر أن صلاح الدين الأيوبى يعتبر « أكبر مؤسس للمدارس بعد نظام الملك » ، « وذلك لأن نشاطه الأكبر كمؤسس للمدارس كان فى البلاد التى أصبحت بالغة الأهمية فى العالم الاسلامى ، وهى سوريا وفلسطين ومصر » (٥) . والى مثل هذا ذهبت السيدة / أسماء فهمى فى أن

---

(١) آدم متز ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٥٤.

(٢) اسماء حسن فهمى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢ .

(٣) عبد الله فياض ـ مرجع سابق ـ ص ٩٩ .

(٤) بيوت الله مساجد ومعابد ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٨ .

(5) GIBB, H.A.R. and KRAMERS, J.H.: Shorter Encyclopaedia of Islam, Leiden, E.J. Brill, 1953, p. 303.

« مصر لم يبن بها مدارس حتى انقراض الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية التى انتشرت فى عهدها المدارس »(١) .

ولم تختلف المدرسة عن الجامع أو المسجد « لا من ناحية البناء ولا من ناحية الوظيفة أو الغرض ، الا أنها كانت أكمل استعدادا للدراسة المتصلة ، ولسكنى الطلاب المنقطعين للعلم ، وقد استعملت المدارس لنفس أغراض الجامع فأقيمت فيها الصلاة كما أقيمت بالجامع ، كما استخدمت كمركز للقضاء والنظر فى المظالم » (٢) ، وكانت المدرسة فى أول نشأتها متصلة بالمسجد « حتى بنيت المدارس منفصلة عن المساجد فى القرن الخامس الهجرى » (٣) .

وبانشاء نظام المدرسة ، « بدأ نظام التربية الاسلامى يدخل مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره،كانت هى المرحلة الأخيرةمن تلك المراحل ، فقدأصبحت المدرسة منظمة رسمية من منظمات الدولة يتخرج فيها عمال الدولة وموظفوها ، وأصبحت الدراسة فيها دراسة رسمية تسير وفق لوائح وقوانين ، شبيهة بتلك التى نعرفها اليوم »(٤) .

على أن نظام المدرسة فى أول انشائه ، « لم يرق فى أعين بعض علماء المسلمين، اذ كانوا يفضلون عليه نظام التعليم الحر فى الجامع ، وتناولوه بالنقد ، ولما بلغهم بناء المدارس فى بغداد أقاموا مأتم العلم ، وقالوا : كان يشتغل به أرباب الهمم العالية والأنفس الزكية ، الذين يقصدون العلم لشرفه ولكماله ، فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم ، واذ صار عليه أجر ، تدانى اليه الأخساء وأرباب الكسل ، ومن هنا هجرت الحكمة » (٥) .

على أن المدرسة الاسلامية منذ انشائها ، كانت « جزءا من حركة المجتمع الاسلامى ومتصلة بنبض الحياة فى هذا المجتمع ، ومسئولية من مسئوليات (الجماعة) الاسلامية سواء كانت هذه الجماعة هى الدولة أو الرأى العام »(٦) .

---

(١) اسماء حسن فهمى - مرجع سابق - ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق - ص ٣٣ .

(٣) عز الدين عباس : « التعليم فى الاسلام » - مرجع سابق - ص ١٦ .

(٤) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١٥ .

(٥) اسماء حسن فهمى - مرجع سابق - ص ٣٦ .

(٦) عبد الغنى عبود : مذكرات فى تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ١٧٠ .

ملخص الفصل الرابع

عرف الاسلام المؤسسة التربوية منذ اللحظة الأولى لبدء نزول الوحى على قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم أول مؤسسة تربوية حيث جمع الرسول القلة المؤمنة به ، وعلمها آيات القرآن الكريم وتعاليم الدين الجديد .

وكانت المؤسسات التربوية فى الاسلام نتاجا اقليميا من صميم حاجات المجتمع الاسلامى وتطوراته ، ولم تكن هذه المؤسسات التربوية جامدة بل كانت مرنة متطورة مستجيبه لحاجات الزمان والمكان ، فحين ضاقت الدور بجموع المسلمين الذين وفدوا عليها ليتعلموا أصول دينهم ، صار المسجد مؤسسة التعليم الأساسية ، وحيث تعقدت الدراسة فى المسجد وقت أن فرضت العلوم الوافدة نفسها على التعليم ، وصارت الدراسة فى المساجد تستدعى دراسة تمهد لهاالنشء كانت الكتاتيب مؤسسة التربية الثالثة فى الاسلام ، ومع التقدم الحضارى الذى حققه الاسلام فى العصر العباسى بدأت مؤسسات تربوية أخرى تفرض على واقع العالم الاسلامى كدار الحكمة ودار العلم ودار الكتب ، ثم ظهرت مؤسسات فرضتها ظروف العصر فى القرن الرابع كصالونات القصور وكانت تعقد بها حلقات منتظمة للعلم يحضرها العلماء المتخصصون فى فرع من فروع العلم ، ثم منازل العلماء وكانت بمثابة مؤسسات علمية متخصصة يقصدها طلاب العلم المتخصصون فى فرع من فروع المعرفة من كل مكان ، وحين احتاج المسلمون بتطور العصر الى موظفين رسميين ليقوموا بأعمال متعددة فى هذا المجتمع المتطور صار نظام المدرسة ضرورة تفرض نفسها على الواقع الاسلامى ، وبانشاء نظام المدرسة ، بدأ نظام التربية الاسلامية يدخل مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره .

وكانت مؤسسات التعليم فى القرن الرابع الهجرى تشمل :

١ - الكتاب :

وكان مؤسسة التعليم الأولى فى هذا العصر ، وكانت الكتاتيب نظاما حرا يعتمد على استقلال المعلمين بفتح مكاتب للتعليم دون تدخل الحكومة ، وكان الكتاب من مقومات الحياة الاسلامية بسبب صلته بالدين ، والحياة فى الكتاتيب كانت فطرية فى الغالب ، وأوقات الدراسة فيها تحد بعلامات طبيعية ، فبدء الدراسة كان شروق الشمس ، وانتهاؤها أذان العصر ، وكان الأسبوع وحدة التعليم فى الكتاب حيث تبدأ الدراسة مع شروق شمس يوم السبت وتنتهى عصر الخميس ،

وكان يوم الجمعة هو يوم الراحة فى كتاب القرن الرابع ، كما عرفت الراحة أيضا خلال اليوم المدرسى ، حين ينصرف الصبيان الى منازلهم لتناول طعام الغداء ، وعرفت الراحة فى المواسم والأعياد ، وحين ختم التلاميذ للقرآن الكريم ، وكان القصد من هذه الراحة ــ كما بينه رجال التربية المسلمون ــ هو دفع السأم والملل عن نفوس الصبيان حتى لا يطلبوا الخلاص من التعليم ·

وكان جدول الدراسة اليومى يشمل دراسة الصبيان للقرآن من أول النهار حتى الضحى ، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى الى الظهر ، ثم ينصرفون للغذاء ، ثم يعودون بعد صلاة الظهر لدراسة بقية العلوم كالنحو والشعر وأيام العرب والحساب من بعد الظهر حتى آخر النهار ·

وكانت الكتاتيب تفرش بالحصر غالبا ، وأدوات الدراسة بها لا تتجاوز المصحف الشريف وعدة من الألواح وعددا من الدوى والأقلام ، وكره فقهاء هذا العصر تعليم الصبيان فى المساجد لعدم تحفظهم من النجاسه والعبث ببناء المسجد ومضايقة المصلين ، وكان على المعلم أن يستأجر حانوتا يعلم فيه صبيانه ·

وقد اقتصرت الكتاتيب فى القرن الرابع ، على تعليم الذكور دون الاناث ، ولا يعنى ذلك حرمان البنت من التعليم فقد أوجب رجال التربية المسلمون تعليمها وقد عرف القرن الرابع نساء ساهمن فى الحركة التعليمية ، ومنع الفقهاء فى هذا العصر قيام غير المسلمين من النصارى أو اليهود بتعليم أولاد المسلمين، وكان ذلك أمرا طبيعيا ، حيث كان القرآن هو محور الدراسة فى الكتاب وبقية المواد الأخرى ، من هجاء ونحو وكتابة وخط معينة على دراسته ·

٢ ــ المسجد :

كانت المساجد من أقدم مؤسسات التعليم فى الاسلام أنشئت منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم، وانتشرت بانتشار الاسلام، وكانت الدراسة فيها أول الأمر دينية ، وحين زاد احتكاك المسلمين بالحضارات الأخرى ، اقتحمت العلوم الأجنبية المسجد وفرضت نفسها على الدراسة فيه جنبا الى جنب مع العلوم الدينية وقد كان التعليم فى المساجد حرا حرية مطلقة ، لا تقيده القواعد أو النظم ·

وفى القرن الرابع اشتهرت عدة مساجد بالتعليم فيها ، منها :

جامع عمرو بن العاص : وقد كانت ساحته ندوة فكرية وأدبية جامعة ، وكانت حلقاته منتظمة تعقد كل يوم ، وفى القرن الرابع كانت هذه الحلقات فى أوج ازدهارها لاجتماع طائفة من أعظم علماء العصر فى مصر آنذاك ·

وجامع ابن طولون : وفيه عقدت حلقات الدراسة للفقة على مذاهبه الأربعة وعلوم اللغة ودرس فيه الطب والقراءات والحديث والتفسير .

وجامع المنصور ببغداد : وكان قبلة لأنظار الأساتذة والطلاب ، وهو أقدم مسجد جامع فى بغداد .

والجامع الأزهر : وكان من أشهر معاهد العلم فى الاسلام ، وهو خير ما خلفه الفاطميون للعالم الاسلامى ، وقد عقدت فيه أول حلقة تعليمية فى سنة ٣٦٥ هـ ثم توالت بعد ذلك حلقات العلم التى لا تنقطع من ساحته . ولم تقتصر الدراسة فيه على العلوم النقليــة ، بل شملت العلوم العقليــة ، من طب وفلســفة ومنطق ورياضيات وغيرها .

هذا الى غير ذلك من المساجد المنتشرة فى أنحاء الأمة الاسلامية ، كالمسجد الحرام بمكة ، والمسجد النبوى بالمدينة ، والمسجد الأموى بدمشق ، والمسجد الجامع بقرطبة وغيرها .

٣ - حوانيت الوراقــين :

لم تقتصر هذه الحوانيت على بيع الكتب والاتجار فيها ، وانما أسهمت فى حركة التعليم حيث جلس العلماء وحولهم الطلاب يكتبون عنهم ، ولم يكن بائعو الكتب تجارا ينشدون الربح ، وانما كانوا فى أغلب الأحايين أدباء ذوى ثقافة ، يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة التى كانت تتيح لهم القراءة والاطلاع ، وتجذب لدكاكينهم العلماء والأدباء ، وقد حفلت أسماء الوراقين فى القرن الرابع بشخصيات لامعة من أماثل الفقهاء ، وأفاضل العلماء . وقد تعدت المهمة التعليمية فى هذا العصر حوانيت بيع الكتب الى غيرها من حوانيت البيع والشراء للعديد من السلع الأخرى .

٤ - منازل العلماء :

أسهمت منازل العلماء فى هذا العصر بنصيب كبير فى الحركة التعليميه ، وكانت مؤسسات تعليمية متخصصة ، وعرف القرن الرابع من هذه المنازل الكثير : منها منزل الامام المحدث أبى محمد بن حاتم الرازى ، ومنزل الفقيه ابن سلمة ، ومنزل الشيخ الرئيس ابن سينا الذى كان يصرف أعماله نهارا ويجلس للتدرس فى بيته ليلا ، ومنزل الفليسوف أبى سليمان المنطقى ، وقد كان من أعظم هذه المنازل على الاطلاق ، حيث اجتمع فيه أناس مختلفو المشارب والنحل ، من مسلمين متعددى المذاهب ، ونصارى وصابئة وعلماء رحلوا الى بغداد من الأندلس فى الغرب ،

ومن بخارى فى الشرق ومن شيراز فى الجنوب ومن حدود الامبراطورية البيزنطية فى الشمال ، كى يحصلوا العلم والمعارف ، كما كانت تضم الفلاسفة والأطباء والرياضيين والفلكيين والمؤرخين والشعراء والأدباء وأرباب الجدل .

وكانت المسائل فى هذه المنازل تطرح للبحث فيجيب عنها شيخ الجماعة ويقيد الطلاب الأجوبة فى دفاترهم ، وقد كان شيوخ الشيعة وعلماء الامامية يعلمون فى منازلهم ، خوفا من رقابة السلطان ، وتعرضهم لسخط الحكام والمتزمتين من أهل السنة ، وكان الحكام والوزراء فى هذا العصر يعطفون على أهل هذه المجالس أدبيا وماديا .

٥ ــ الصالونات الأدبية :

وقد كان لها نصيب وافر فى نشر الثقافة الاسلامية ، فرضتها ظروف الحياة فى المجتمع الاسلامى المتقدم ثقافيا ، وكانت تعقد بهذه الصالونات حلقات منتظمة للعلم يحضرها المتخصصون من العلماء ، الذين زينوا بعلومهم قصور الخلفاء والوزراء ، فى هذا العصر .

وفى هذه الصالونات بحثت موضوعات مختلفة فى نواحى العلم المتعددة : من تفسير لآراء الفلاسفة والمتكلمين ، حول صلة الشريعة بالفلسفة ، وعن العلاقة القائمة بين الحس والعقل ، ودراسة العقل والجنون ، وتفاوت البشر فى العادات والأخلاق ، ونسبية المعرفة الانسانية ، والمفاضلة بين العلوم المختلفة ، والأحاديث عن الحيوان وغرائبه ، وعن البخلاء ونوادرهم ، وعن الغناء والطرب ... الخ .

ومن أشهر هذه الصالونات فى القرن الرابع :

صالون ابن العارض : وكان بمثابة حلقة علمية ممتازة يتردد عليها كبار الفلاسفة ، وصالون ابن الفرات، وفيه عقدت المناظرات بين العلماء ، كالمناظرة بين النحويين والمناطقة ، وصالون ابن العميد، وصالون الصاحب بن عباد ، وقد ساهم كل منهما بايجابية فى دعم الحركة العلمية فى هذا العصر ، وصالونات الاخشيد ، وصالون سيف الدولة الحمدانى ، بالاضافة الى صالونات الفاطميين بمصر التى عقدت فيها مجالس علمية صاخبة ، كان قوامها أساتذة دار الحكمة بالقاهرة .

٦ ــ دور الكتب ودور العلم :

انتشرت دور الكتب فى القرن الرابع ، انتشارا يدعو الى الاعجاب ، فتنافس الملوك والأمراء ، فى جمع الكتب ، وانشاء خزائنها العظيمة ، وكان فى كل جامع كبير مكتبة ، اذ جرت عادة الفقهاء فى هذا العصر، على أن يوزعوا كتبهم على الجوامع،

كما تنافس الوزراء فى جمع الكتب ، وقد فاق اهتمامهم بذلك كل وصف ـ هذا فضلا عن مكتبات العلماء التى حوت ذخائر المخطوطات ومئات المجلدات .

كذلك انتشرت دور العلم وساهمت فى النهوض بحركة التعليم ، وقد دعا الى انشائها والافادة منها فى التعليم بجانب غيرها من المؤسسات أن الحركة الفكرية فى القرن الرابع كانت قد قطعت شوطا بعيدا ، وأن المناظرات والجدل الدينى وما يتبعهما من خلافات وشجار كانتا على أشدهما عند المسلمين بسبب الصراع المذهبى ـ وهذه عوامل غير مرغوب فيها فى المساجد ، لما تحدثه من مضايقات للمصلين ، مما جعل دور العلم أصلح للتدريس ، وما يتبعه من مناقشات ومناظرات .

واشتهر من دور الكتب فى القرن الرابع :

دار كتب عضد الدولة البويهى وقد حوت الكثير من الكتب فى أنواع العلوم كلها ودار ابن سوار كاتب عضد الدولة وكان فيها اجراء على من قصدها ولزم القراءة والنسخ ، كما كان فيها معلم يدرس عليه الطلاب علم الكلام .

وخزانة الحكمة ببغداد وكانت من أعظم خزائن الكتب فى الاسلام على اختلاف عصوره ودوله ولم تقتصر مهمتها على الترجمة فقط بل قامت بالتعليم والبحث العلمى أيضا ، وكان بها طائفة من أكابر علماء العصر الذين أفادوا طلاب العلم حينئذ ، وقد ظلت دار الحكمة مزارا للعلماء ، ومقصدا للطلاب ، لمدى قرون خمسة تقريبا .

ومكتبة الزهراء بقرطبة : وفى القرن الرابع الهجرى كانت الأندلس منارا حضاريا ، أضاء للغرب الأوروبى ظلمات عصوره الوسطى ، وكانت قرطبة أعظم مدينة متحضرة فى أوروبا ، وقد قامت مكتبتها بحركة ترجمة عظيمة مع فرق واضح عن حركة الترجمة التى تمت فى دار الحكمة ببغداد قضت به طبيعة الظروف فى الأندلس وهو أن الترجمة فى مكتبة الزهراء ، تمت بالنقل من العربية الى اللغات القديمة ، وبخاصة اللاتينية والأسبانية ، وذلك لأن الدور القيادى للعالم ـ فى القرن الرابع الهجرى ـ كان للحضارة الاسلامية ، والى مكتبة الزهراء سعى طلاب العلم من أوروبا ينقلون من ذخائرها ويدرسون فيها .

كما اشتهر من دور العلم فى القرن الرابع :

دار العلم بالقاهرة ، التى دخل اليها الناس للقراءة والنسخ والتعلم ، وقد زودها الفاطميون بما يلزمها من حبر وأقلام وورق ، واعتمدوا لها ميزانية كبيرة للانفاق عليها ، وكانت جامعة تضم عدة حلقات دينية وأدبية وعلمية .

ودار علم سابور بن أردشير ، وقد بناها في سنة ٣٨١ هـ ، ووقف عليها الوقوف وكانت مركزا ثقافيا للبحث والدراسة والاطلاع ، ومؤئلا للعلماء والباحثين ، يترددون عليها للدرس والمناظرة .

ودار علم ابن حمدان الموصلي ، أسسها في الموصل ووقف كتبها على كل طالب للعلم وكان يجلس فيها لاملاء الشعر والفقه وغيرهما .

ودار علم الشريف الرضي وقد كانت موضعا لدراسة الطلاب وسكناهم في الوقت نفسه ، فتحها للطلاب ، وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه ، كما أنشأ أخوه الشريف المرتضى دارا للعلم ، ووقف قرية من قراه ، تصرف على قراطيس الفقهاء والطلبة .

٧ ــ المدرســـة :

وكانت من مستحدثات القرن الرابع الهجري على خلاف ما ذهب اليه كثير من الباحثين من أنها من نتاج القرن الخامس الهجري وان الوزير نظام الملك أول من بنى المدارس في الاسلام .

وقد دل على أن المدرسة من مستحدثات القرن الرابع الهجري ، ورود اسم المدرسة في هذا القرن ، فقد ذكرها المقدسي المتوفى (٣٧٨ هـ) في حديثه عن تجواله في العالم الاسلامي ، كما ذكرها السبكي ، في ترجمته لابن حمشاد (المتوفى ٣٨٨ هـ) ، وذكرها بديع الزمان الهمذاني (المتوفى ٣٩٨ هـ) ، في رسالته لابن أخته ، والى ذلك ذهب آدم متز في كتابه الحضـاة الاسـلامية في القرن الرابع الهجري ، وذهبت السيدة / أسماء فهمي ، في كتابها مبادىء التربية الاسلامية .

وبانشاء نظام المدرسة بدأ نظام التربية الاسلامية يدخل مرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره حيث أصبحت المدرسة منظمة رسمية من منظمات الدولة يتخرج فيها عمال الدولة وموظفوها .

الفصل الخامس

النتائج والمقترحات

مقـــدمة :

رأينا فى الفصل الأول من الرسالة ، أن الاسلام قد أتى بأيديولوجيا معينة ، وتصوراتللفرد والمجتمع(١)، وقد انعكستهذه الأيديولوجيا علىالتربية الاسلامية، « وبدون فهم هذه الأيديولوجيا ، لا يمكن فهم التربية الاسلامية ، فى أى عصر من عصور الاسلام ، فلا تدرس التربية الاسلامية من خلال مؤسسات التعليم ، ومناهج الدراسة ، وطرق التدريس ، وغيرها بمعزل عن الاطار النظرى للتربية الاسلامية كما نراه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة » (٢) ، اذ أن هــذه التربية الاسلامية ، « جهاز اجتماعى يعبر عن روح الفلسفة الاسلامية من جهة ، وهذا الجهاز هو الذى يحقق تلك الفلسفة من جهة أخرى » (٣) ٠

واذا كانت فلسفات التربية فى الغرب « تهتم بالفرد وتدور حوله ، وتتفاوت فيما بينها فى هذا الاهتمام بالفرد » ولكنها جميعا « رغم ما بينها من تفاوت يجمع بينها ميلها الى الفرد على حسابالجماعة » (٤) ـ وفلسفةالتربية فى الشرق « تهتم بالجماعة وتدور حولها ، وتعتبر الفرد مجرد حيوان اجتماعى » (٥) ، « فلا ارادة للفرد ولا اختيار ولا طموح » ، فهو « مجرد آلة حية تعمل فى الانتاج العام ، على وفق ما توجه اليه وتساق دون ارادة لها أو اختيار ، فانما الارادة والاختيار للسائق

---

(١) ارجع الى : الانسان فى الاسلام ـ المجتمع الاسلامى ـ ص (٣٩ ـ ٤٨) من الرسالة ٠

(٢) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤ ٠

(٣) احمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ٧ ٠

(٤) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣٥ ٠

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٣٥ ٠

وحده ، وهو الدولة (١) » ، وكل من هذه الفلسفات كان مقصودا بها أن تحقق للناس الأمن والطمأنينة والاستقرار ، وللمجتمع التقدم والازدهار ، الا أنها جميعا « قد أخفقت فى أن تهب لأهلها الاستقرار والطمأنينة » (٢) .

اذا كانت هذه الفلسفات كذلك ، فان الأيديولوجيا الاسلامية تختلف عنها ، فى قيامها أساسا على العقيدة فى الله ، ومنها تنبغ كل التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والحيوية والانسانية ، تلك التصورات التى تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والتربوية ، التى تؤثر فى كل مجال من مجالات النشاط الانسانى .

فالله سبحانه هو « جوهر العقيدة الاسلامية ومحورها الأساسى » (٣) . والانسان خليفة له فى الأرض ينبغى أن يسير على درب من استخلفه فيكون الله سبحانه المثل الأعلى فى حياته (٤) ، والكون ليس عدوا للحياة ولا عدوا للانسان ، بل هو صديق لا تختلف اتجاهاته عن اتجاهات الحياة والانسان (٥) ، والمجتمع الاسلامى مجتمع يقوم على أساس التكافل الاجتماعى ، ويأخذ بالعلم الصحيح ، وينفتح على كل الحضارات ، مقتبسا منها ما هو حق وخير (٦) ، والفرد فى هذا المجتمع « مسئول عن الجماعة يعمل ويوجه وينقد ويصحح منفردا وضمن فئة » ، « والجماعة مسئولة عن أعضائها وعملها على أن لا تطغى على ذات الفرد وتسلبه حريته وحقوقه بدعوى حمايته أو الوصاية عليه ، كما أن الفرد مسئول عن ذاته على ألا ينسى الجماعة فى غمرة حرصه واستمساكه بحقوقه ومصالحه القريبة .. وبهذا يصان الفرد ذاتا حرة قادرة نامية ، وتصان الجماعة قوية متماسكة متحركة للوصول الى أهدافها » (٧) .

---

(١) البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى بين النظرية والتطبيق - مكتبة وهبة - القاهرة - بدون تاريخ - ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٣) عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة - مرجع سابق - ص ١١٦ .

(٤) ارجع الى ص (٣٩) من الرسالة .

(٥) ارجع الى ص (٣٨) من الرسالة .

(٦) ارجع الى ص (٤٧) من الرسالة .

(٧) سيد أحمد عثمان : « المسئولية الاجتماعية فى الاسلام ، دراسة نفسية » - الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس - عالم الكتب - ١٩٧٣ م - ص ٦ .

وقـد انعكست هذه الأيديولوجيا الاسلامية على التربية فى القرن الرابع الهجرى ـ كما فى القرون الثلاثة قبله ـ فى فكرها ، ومناهجها ، ومؤسساتها ووسائلها وغاياتها ، فكان :

الفكرى التربوى الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى :

يعكس بصدق أيديولوجية الحياة فى المجتمع الاسلامى، المزدهر ثقافيا، وقدكان سريع الاستجابة لمتغيرات القرن الرابع الهجرى وتطوره ، فازاء لقاء الفكر الاسلامى الأصيل ، بالفكر الأجنبى الدخيل ، ظهرت مدارس فكرية متعددة ، عكست هذا اللقاء ، منحازة الى هذا الفكر أو ذاك ، أو عاكسة لونا من ألوان التزاوج بين الفكر الأصيل والفكر الدخيل ، فكانت مدرسة الفلاسفة بنزعتها العقلية والمدرسـة الصوفية بمسلكها الروحى ومدرسة الفقهاء بالتزامها بالنص والتعيين (١) ٠

وقد امتاز الفكر التربوى الاسلامى فى كل عصور الاسلام القوية بما فيها عصر القرن الرابع الهجرى بمميزات لخصها الدكتور عبد الغنى عبود(٢) فى الآتى :

١ ـ شموله واتساع نظرته :

فقد نظر الى الانسان موضوع التربية ككل أى ككيان متكامل له جسـد وعقل وشعور واحساس ، ولكل من ذلك حاجاته التى يجب أن تشبع ، وهـذا الكيان المتكامل جزء من كيان أكبر هو المجتمع ٠

٢ ـ عمقـه :

فقد كان يعتمد على مصادر متعددة يبنى بها نفسه ، فلم يحصر نفسه فى اطار واحد من المعرفة ، وانما انطلق فى كل مجال يبحث عن ذلك الحق وتلك الحقيقة اللذين وهب لهما نفسه ٠

٣ ـ أصـالته :

فقـد كان يبحث عن الحق والحقيقـة بدافع من الاسـلام وفى ظله وظل أيديولوجيته حلا لمشكلاته ومشكلات أبناء المجتمع الاسلامى ٠

---

(١) ارجع الى ص (٩٧ ـ ١٠٢) من الرسالة ٠

(٢) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٧ ٠

وكان هذا الفكر التربوى الاسلامي « فكرا وظيفيا ، بمعنى أنه يخدم مجتمعا معينا هو المجتمع الاسلامى فى درجة تطور معينة يمر بها ، وان كان هذا الفكر — رغم تغير ظروف الزمان والمكان — يشتق مادته الخام من مصدر واحد رئيسى هو القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهما (الاطار الأيديولوجى) للاسلام » (١) ٠

وبسبب ما تمتع به هذا الفكر التربوى الاسلامي من مرونة وسرعة استجابة لمتغيرات العصر وبسبب شموله وعمقه وأصالته ، سبقت التربية الاسلامية التربية الحديثة فى عديد من الأمور منها :

الزامية التعليم :

وقد نادى بها القابسى أحد أعلام التربية فى القرن الرابع الهجرى حيث رأى هذا الفقيه أن « تعليم جميع الصبيان ضرورى وواجب ، وأن هذا الوجوب هو الوجوب الشرعى ، على طريقة الفقهاء » (٢) ، ودليله فى ذلك أن معرفة العبادات واجبة بنص القرآن واجبة أيضا لضرورتها فى الصلاة ، وأن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة ، لأن حكم الولد فى الدين حكم أبيه ، فاذا لم يتيسر للوالد أن يعلم أبناءه بنفسه ، فعليه أن يرسله الى الكتاب ، لتلقى العلم بالأجر ، فاذا لم يكن الوالد قادرا على نفقة التعليم ، فأقرباؤه مكلفون بذلك ، فاذا عجز أهله عن نفقة التعليم ، فالمحسنون مرغبون فى ذلك ، ومعلم الكتاب يعلم الفقير احتسابا ، أو من بيت المال ، وفى ذلك يقول القابسى « وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها » (٣) ، « وهم لا بد اذا علموهم الصلاة ، أن يعلموهم من القرآن ما يقرؤونه فيها » (٤) ، « ولو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاونا بذلك، لجهل وقبح ونقص حاله، ووضع عن حال أهل القناعة والرضا » (٥)، « وأما ان كان للولد مال فلا يدعه أبوه أو وصيه — ان كان قد مات أبوه — وليدخل الكتاب ويؤاجر المعلم على تعليمه القرآن من ماله حسب ما يجب ، فان لم يكن لليتيم وصى نظر فى أمره حاكم المسلمين ، وسار فى تعليمه سيرة أبيه أو وصيه » (٦) ٠

---

(١) عبد الغنى عبود : مذكرات فى تاريخ التربية — مرجع سابق — ص ١٦٩ ٠

(٢) احمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام — مرجع سابق — ص ٨٧ ٠

(٣) القابسى — مرجع سابق ، ص ٢٧ — أ ٠

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ — ب ٠

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨ — ب ٠

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٩ — أ ٠

« وان لم يكن لليتيم مال فأمه أو أولياؤه الأقرب فالأقرب هم المرغبون فى القيام به فى تعليم القرآن ، فان تطوع غيرهم بحمل ذلك عنهم فله أجره ، وان لم يكن لليتيم من أهله من يعنى به فى ذلك ، فمن عنى به من المسلمين فله أجره ، وان احتسب فيه المعلم فعلمه لله عز وجل ، وصبر على ذلك فأجره ان شاء الله يضعف فى ذلك ، اذ هى صنعته التى يقوم منها معاشه »(١) .

تعليم البنت :

وقد أقر الفكر التربوى الاسلامى — فى القرن الرابع الهجرى كما فى غيره — مبدأ تعليم البنت ، واعترف بحقها فى ذلك ، وكان تعليمها أيضا واجبا دينيا ، أقره الاسلام ، وقام به الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل حين « حدد للنساء أوقاتا معينة لتعلم العلم بعد أن قالت له امرأة : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما ، نأتيك فيه ، تعلمنا ما علمك الله »(٢) ، ولذا قرر فقهاء القرن الرابع تعليمها فقالوا : « وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها » ، « وانما تعلم ما يرجى لها صلاحه ، ويؤمن عليها من فتنته »(٣) ، ودليلهم فى ذلك « أن الله عز وجل قد أخذ على المؤمنات فيما عليهن كما أخذ على المؤمنين فيما عليهم ، وذلك فى قوله جل وعز (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا .. الآية)(٤) ، فكيف لا يعلمن الخير وما يعين عليه ، ويصرف عنهن القائم عليهن ، ما يحذر عليهن منه ، اذ هو الراعى فيهن ، والمسئول عنهن »(٥) ، والاسلام كما هو معروف ، لم يقصر على الذكور دون الأناث .

كما سبقت التربية الاسلامية التربية الحديثة فى :

مراعاة ميول المتعلم :

واستعداداته الفطرية وقدراته الطبيعية عند ارشاده الى المهنة التى يختارها فى مستقبل حياته لخدمة نفسه وبلده ، وجعل هذه الميول أساسا لارشاده وتربيته(٦) ، كما أدركت التربية الاسلامية فى القرن الرابع العلاقة بين هذه الميول وحاجات المجتمع(٧) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩ — أ ، ٢٩ — ب .
(٢) عبد الفتاح جلال — مرجع سابق — ص ٢٢ .
(٣) القابسى — مرجع سابق ، ص ٢٩ — ب .
(٤) قرآن كريم : سورة الاحزاب — آية ٣٦ .
(٥) القابسى — مرجع سابق ، ص ٣٠ — أ .
(٦) ارجع الى ص (١٤٥) من الرسالة .
(٧) ارجع الى ص (٨٠ ، ٨١) من الرسالة .

تحقيق الاتجاه الديمقراطى فى التربية :

فالصبى يتلقى تعليمه فى الكتاب مع جماعة الرفاق أغنياء وفقراء على قدم المساواة والصبيان فى ذلك غنيهم وفقيرهم « يترافقون ويتعارضون الزيارة ويتكارمون ويتعارضون الحقوق » « وفى ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم »(١) وعلى هذا النحو يتقرر مبدأ أخلاقى تعمل التربية بكل سبلها على تحقيقه ، وهو المساواة ، « وعن طريق المساواة ينشأ الاخلاص والصداقة والتسامح ، ويبدأ الطفل فى فهم مدلول هذه الأمور بالممارسة »(٢) ، وكان الكتاب فى القرن الرابع الهجرى « معهدا يطرقه الغنى والفقير على السواء ، ولا ينظر اليه نظرة تحقير »(٣) .

أصالة الروح الاستقلالية فى التعليم وتوفير جو الحرية للمعلمين والمتعلمين :

فمؤسسات التعليم ليست تابعة لسلطة الدولة ، فلا تفرض عليها مناهج من أية جهة كانت ، والعلماء يقصدون المساجد للتعليم دون انتظار من يحثهم عليه ويلتف حولهم الطلاب يأخذون عنهم علومهم من غير تدخل الحكومة فقد كان هذا العمل غير داخل فى دائرة سلطانها .

كما تميزت التربية الاسلامية باستقلال المعلم وقيمته فى التعليم ، وشهرته التى كانت تفوق شهرة المكان الذى يدرس فيه ، وقد كان عماد الحركة التعليمية قائما على حريته فى تدريس ما يراه مناسبا وصالحا لتلاميذه ، دون تدخل من أية سلطة ، وفى القرن الرابع حيثما وجد المعلم وجد التعليم .

وتبدو حرية المتعلمين فى التربية الاسلامية فى عدم تقيدهم بمؤسسات تعليمية محددة فمن حق الطالب أن يتلقى العلم على شيخه فى أى مكان شاء فى المسجد أو فى منزل الشيخ ، أو فى سوق الوراقين أو غيرها ، وأيضا فى عدم فرض منهج معين يتحتم عليه دراسته ، فللطالب أن يتعلم ما شاء من العلوم ، على من شاء من المعلمين ، حتى اذا حصل علم الشيخ ، انتقل الى غيره من الشيوخ ، ممن يرغب فى الأخذ عنهم .

---

(١) ابن سينا : السياسة ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧٥ .

(٢) احمد زكى صالح : علم النفس التربوى ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٧ .

(٣) عبد العزيز عزت : ابن مسكويه وفلسفته الاخلاقية ـ مرجع سابق ـ ص ٥٨ .

كما انعكست هذه الايديولوجيا الاسلامية على :

طرق التعليم :

فتعددت تبعا لاختلاف درجات النمو ومراحل التعليم من حفظ واستظهار الى طريقة المناظرات والمحاضرات ، والسماع من الشيخ ، والقراءة عليه والتعلم بالمراسلة ، والرحلة فى طلب العلم[١] و « القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بهما العديد من طرق التعليم الصالحة لكل من الصغار والكبار ، والتى بها يمكن أن يتم تعليمهم »[٢] ، ومنهـــا اشراك المتعلم فى الموقف التعليمى ، والتكرار مع التلوين ، وضرب الأمثال وذكر القصص للعبرة ، والتجربة الشخصية ، والعبرة من خلال الأحداث الجارية ، وتقديم الترغيب على الترهيب ، والأسوة الحسنة ، ومراعاة خصائص الموقف التعليمى[٣] ٠

كما انعكست هذه الايديولوجيا الاسلامية على :

الغاية من التربية والتعليم فى الاسلام :

حيث كان الهدف « أن يصير الانســان ـ كل انســان ـ عابدا ، ذلك هو الهدف الكلى ، والذى يمكن أن يتفرع عنه العديد من الأهداف الجزئية »[٤] ٠ والعبادة فى الاسلام « شاملة لكل ما يقوم به الانسان من عمل أو فكر أو شعور وهى « منهج حياة يستغرق كل الحياة ويشتمل على كل ما يقوم به العبد من أقوال وأعمال أو أحاسيس أو أى جزء من سلوكه »[٥] ، وفى اطار هذا الهدف العظيم ، برزت أهداف دينية واقتصــادية واجتماعية وسياسية حيث أراد الاســلام من الانسان أن يتعلم ما ينفعه فى تحقيق الهدف الذى خلقه الله له ولذا اشتمل التعليم فى الاســلام « على الجوانب المعرفيــة والمهارات التى يحتاج اليها المرء فى حياته والاتجاهات اللازمة لصالح سلوكه »[٦] ٠

---

(١) ارجع الى ص (١٤٩ ـ ١٥٦) من الرسالة ٠

(٢) عبد الفتاح جلال ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٦ ـ ١٢٤ ٠

(٤) عبد الفتاح جلال ـ مرجع سابق ـ ص ٧٩ ٠

(٥) المرجع السابق ، ص ٨٢ ٠

(٦) المرجع السابق ، ص ١٩ ٠

خلاصة القول :

أن الفكر التربوى الاسلامى ، بل نظام التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، كان مناسبا للايديولوجيا الاسلامية ، متفقا وظروف المجتمع وتطوره ، مستجيبا لحاجات العصر ومتغيراته ٠

وبالنظر الى فلسفة التربية فى نظامنا التعليمى المعاصر نجد أن « فلسـفة التعليم اليوم لا تزال بعيدة عن الشخصية القومية العربيـة ، لأنها اما فلسـفة قديمة بالية، لا تتصل بالدين الاسلامى وان ادعت اتصالها به، واما فلسفة حديثة، غربية أو شرقية ـ لا تتصل بواقع الأمة العربية الحالية »(١) ، وعندما « تنفصل سياسة التعليم عن واقع الأمة على هذا النحو فان النتيجة تكون واحدة وهى فشل السياسة التعليمية ، وعجزها عن تحقيق أهدافها »(٢) ٠ ويكفى تدليلا على هذا الفشل أنه رغم الجهود الكبيرة التى تبذل للقضاء على الأمية فى العالم العربى ، فان عدد الأميين يزيد عاما بعد عام ، حيث « تشير الاحصائيات الدولية عن الأمية الى أن نسبة الأمية فى مجموع البلدان العربية ، وان كانت قد هبطت من ٧ر٨١٪ سنة ١٩٦٠ ، الى ٧٣٪ سنة ١٩٧٠ ، فان عدد الأميين قد ارتفع فى نفس المدة ، من ٤٣ مليون الى ٥٠ مليون »(٣) وهذا الذى نراه فى مجال محو الأمية ، نراه بصـورة أوضح فى نواحى التعليم الأخرى فى العالم العربى(٤) ، ومرجعه كله الى عدم ارتباط فلسـفة التعليم الحالية فى العالم العربى بأهـداف الأمة العربية وواقعها الذى تعيشه ، فعلى الرغم من أن الدستور فى بلادنا ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام الا أن الأصول الدينية فى التربية الحالية محدودة الأثر لا تتعدى آيات من القرآن الكريم تستظهر ، وبعض دروس الحديث والعبادات التى لم يتح لها أن تتحول الى سلوك عملى فى معاهد التعليم ، أو وسـائل الاعـلام ، أو فى المنزل أو الشارع ، الا فى حالات نادرة ، كما أن البرامج الدينية فى وسائل الاعلام قليلة، فتطالعنا الاحصـائيات بأن برامج الاذاعة والتليفزيون تشـمل « ٦٠٪ من وقت

---

(١) عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود ـ مرجع سابق ـ ص ٣١١ ٠

(٢) محمد فاضل الجمالى : آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية ـ الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ ـ ص ١٠٢ ٠

(٣) محمد احمد الغنام : « استراتيجية التربية فى العالم العربى » ـ التربية من أجل التنمية ـ المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ، المنعقد بدمشق فى ٣ آب ١٩٧٤ ـ الجمهورية العربية السورية ـ وزارة التربية ـ ص ٢٤ ٠

(٤) ارجع الى (السمات العامة للتعليم فى البلاد العربية) فى :

عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤٥ وما بعدها ٠

الارسال فى البرامج الترفيهية ، ١٥ر٦١٪ من وقت الارسال فى البرامج الاخبارية، ٨ر٣٢٪ من وقت الارسال فى البرامج الدينية ، ١٦ر٧٪ من وقت الارسال فى البرامج الثقافية »(١) ، وهكذا نرى أن مادتى العلم والايمان تستحوذان من وقت الارسال على أقل نسبة وأدنى حصة فيه ، بل ان الدين يأتى فى مؤخرة اهتمام الاذاعة والتليفزيون .

وكانت نتيجة بعد فلسفة التعليم عن الشخصية القومية العربية وعن واقع المجتمع العربى الاسلامى أن اتجه نظام التعليم الحالى الى التوسع الكمى دون أن يوجه لمقابلة الاحتياجات النوعية ، ولم ينظر الى مراحله المختلفة نظرة متكاملة ، واتجه الاستثمار والانفاق الى التعليم العام والنظرى على حساب التعليم الفنى والمهنى ، ولم يكن لاعداد العمال المهرة والمتوسطى المهارة مكان مناسب على السلم التعليمى ، ولم ينهض اعداد المعلمين على أسس واحدة تمكن من تحقيق الكفاية التربوية ، ولم تساير المناهج والكتب الدراسية واقع المجتمع ومشكلاته(٢) .

لذلك ، فاذا أردنا لأمتنا أن تنهض ، وأن تستعيد مجدها ، فلا بد أن يكون « للعرب فلسفة نابعة من واقع حياتهم ، ومن تراثهم الثقافى ، تنعكس على تربيتهم لأبنائهم ، فتخلق فلسفة تربوية عربية أصيلة » ، و « لن تكون للعرب هذه الفلسفة ، التى تخلق المجتمع العربى المنشود ، الا اذا كانت مشتقة من ثقافتهم ، معبرة عن أيديولوجيتهم ، قائمة على أساس من تراثهم العربى الاسلامى »(٣) .

وبين أيدينا القرآن الكريم والسنة النبوية وفيهما وحدهما النظرة الصحيحة للفرد والمجتمع ، وفى ظل هذا القرآن وتلك السنة تكونت الحضارة الاسلامية وازدهرت فى دولة الاسلام الكبرى ، التى استمرت قرابة ستة قرون « والقرآن الكريم والحديث الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم ، كتابان أساسيان فى علوم التربية ، يمكن أن يستخرج منهما المرء أصولا تربوية ، ويستنبط حقائق النفس البشرية ، ويصل الى عديد من المبادىء الأساسية فى طريق التعليم لكل من الصغار والكبار »(٤) .

---

(١) عماد عبد الحميد النجار : (فراغ ... والأسرة مسئولة اولا) - جريدة الاخبار - العدد ٧٨٨٣ - السنة السادسة والعشرون - الاربعاء ٨ من شوال ١٣٩٧ هـ - ٢١ من سبتمبر ١٩٧٧ م - ص ٥ .

(٢) ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى - مكتبة نهضة مصر - الطبعة الاولى - ١٩٧٣ - ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٣) عبد الغنى النورى ، وعبد الغنى عبود - مرجع سابق - ص ٣٣٣ .

(٤) عبد الفتاح جلال - مرجع سابق - ص ٧ .

فلا بد اذن من العودة الى « المنابع الأصيلة للاسلام ، ولفكره التربوى ، من خلال دراسة كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم »(١) .

فلا بد لنا من العودة الى تراثنا الاسلامى ، لتكون لنا منه فلسفة التربية ، التى تتلاءم وطبيعتنا وواقعنا ، وعلينا أن ننفتح على الشرق والغرب ، نأخذ منهما ما نشاء ، على ألا نأخذه كما هو ، بل نأخذه على نحو ما يناسبنا ويناسب تربتنا الوطنية ، ثم ننطلق وفق ظروفنا وثقافتنا ، الى المستقبل الذى اخترناه .

واذا كان الاسلام دينا شاملا ، يشمل الحياة كلها ، فهو « لا يفصل الدين عن الدولة ، ولا الدين عن العلم ، ولا العلم عن الأخلاق »(٢) ، فيجب أن تعالج فلسفة التربية « كجزء من فلسفة عامة للمجتمع العربى ، لا بمعزل عنها ، بحيث تكون التربية جزءا من حركة مجتمع ، يتحرك الى الأمام ، له أهداف معينة ، تحددها فلسفته العامة هذه ، وبذلك يكون لهذه الفلسفة التربوية وظيفة ، وتكون لها فى تربة الأرض العربية جذور ، توفر لها أسباب الحيـاة ، وتوفر للمجتمع العربى — فى الوقت ذاته — وسائل تحقيق أهدافه العامة »(٣) .

وبعد كل تجاربنا فى حقل التربية وتطلعاتنا المستمرة الى الشرق والغرب ، وفشـل هذه التجـارب حين نقلت الينا ثبت أن « تربيتنا لا تستطيع أن تغض الطرف عن تراثنا العربى الاسلامى ، بل ان من واجبها أن تحرص عليه وتفاخر به وتعمل على المحافظة على ما فيه من قيم مادية وروحية باقية على الدهر ، وعليها بعد ذلك أن تعمل النظر فى هذا التراث ، فتحتفظ بالصالح منه ، وتترك الطالح، غير آسفة ولا وجلة »(٤) .

ودراسة التربية الاسلامية ، والفكر التربوى الاسلامى ، وأعلام التربية فى الاسلام ، سوف تسهم فى اخصاب الفكر التربوى فى عالمنا المعاصر ، بعد أن جرينا وراء تربية بعيدة عن أنفسنا ، غربية كانت أم شرقية ، « أثبتت الأيام فشلها حين

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٢) محمد فاضل الجمالى : آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية — مرجع سابق — ص ١٣٥.

(٣) عبد الغنى النورى ، وعبد الغنى عبود — مرجع سابق — ص ٣٣٨ .

(٤) فاخر عاقل : « نحو اصلاح تربوى جذرى » — التربية من اجـل التنمية — المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ، المنعقد بدمشق فى ٣ — ٨ آب ١٩٧٤ م الجمهورية العربية السورية — وزارة التربية — ص ١٩١ .

نقلت الينا ، لا لشيء الا لأنها بعيدة أيديولوجيا عنا »(١) ، وسوف يجد الباحثون فى التربية الاسلامية ومفكريها « كثيرا من المعارف المتصلة بالأصول الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية للتربية عند هؤلاء ، كذلك يمكن للباحثين أن يجدوا العديد من مبادىء طرق التدريس العامة ، بل وأمثلة عملية على تطبيقها »(٢) .

وجدير بنا قبل دراسة التربية الاسلامية ، والفكر التربوى الاسلامى « دراسة الايديولوجيا الاسلامية دراسة عصرية نقف بها على تصور الاسلام للفرد والمجتمع حتى نترجم هذا التصور — فى مجال التربية — الى أسلوب عمل تلتزم به التربية الاسلامية فى عالمنا المعاصر ، الذى يفتقر الى شمول الاسلام وتكامله وانسانيته» (٣) .

واذا كان الفكر التربوى الاسلامى لا يبدو فى تكامله — بحيث يمكن الاستفادة به — الا فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وفى كتب الفقه والتصوف والفلسفة وعلم الكلام وكتب الأدب ، ومن ثم « فهو يحتاج للكشف عنه الى علم اسلامى موسوعى شامل »(٤) ، كمعرفة علوم القرآن والحديث ، وما يرتبط بذلك من معرفة المفسرين ومدارسهم ، وأهل الحديث ورجاله ، وعلم مصطلح الحديث ، بالاضافة الى معرفة بعلوم اللغة والفقه والكلام لذلك ينبغى اعداد فريق من الباحثين اعدادا علميا يمكنه من تناول تراثنا التربوى الاسلامى ومعالجته ، والتعامل معه والاستفادة منه ، على أن يحرص برنامج اعداد هذا الفريق من الباحثين على الجمع بين « الفكر الاسلامى الأصيل الى جانب الفكر التربوى الحديث ليتم اللقاح بين الفكر الأصيل والحديث »(٥) ، فلا يكفى الالمام بعلوم الدين واللغة فحسب ، بل لا بد من المام واسع بالفكر التربوى المعاصر ، ومعرفة بمفكريه(٦) .

ومن الممكن أن يتم اعداد هذا الفريق من الباحثين « تحت رعاية الجامعة العربية ، أو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، أو المؤتمر الاسلامى »(٧) .

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ١٣٦ .

(٢) عبد الفتاح جلال — مرجع سابق — ص ١٠ .

(٣) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — مرجع سابق — ص ١٣٦ .

(٤) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود — مرجع سابق — ص ٣٥٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٦) عبد الفتاح جلال — مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٧) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود — مرجع سابق — ص ٣٥٩ .

ومن الممكن أيضا انشاء معهد للحضارة الاسلامية يتفرغ لدراسة الحضارة والتراث الاسلامى ، وتحقيق ما حوته المكتبات من ذخائر هذا التراث ٠

واذا كان الواجب الوطنى والعلمى يفرض على كليات التربية كتابة تاريخ تربوى للعالم الاسلامى والعربى ، وذلك بحكم تخصصها فى هذا الميدان ، خاصة والعالم العربى يحتاج الآن الى كتابة هذا التاريخ ، للاستفادة من تجاربه وأفكاره التربوية ، فان الدراسات العليا مجال خصب لتحقيق ذلك بتوجيه انظار الطلاب الى أهمية دراسة التربية الاسلامية وضرورتها ، وحث الباحثين فى علوم التربية على ارتياد مجـال التربية الاسلامية ، فتستغل فى ذلك الرسـائل العلمية التى تسجل فى الجامعات العربية ، للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه ، فتتجه هذا الاتجاه « فتدرس الفكر التربوى الاسلامى والتربية الاسلامية وتدور حول الاسلام وتحديات العصر، بدلا من أن تدور بعيدا عن المشكلات الملحة للأمة العربية، فتخلق باحثين يدورون فى فراغ أو فى اطار غريب عنا لسنا اليوم فى حاجة اليه ، بقدر ما نحن فى حاجة الى أن نعرف أنفسنا وتراثنا وشخصيتنا القومية ومقومات حياتنا ، وتراثنا التربوى »(١) ٠

ولو نجحت الجامعات فى اعـداد الباحثين الـذين يعرفون كيف يتناولون تراثنا التربوى الاسلامى ، وكيف يعالجونه ويتعاملون معه ، ويستفيدون منه ، فسنكون ولا شك « قد فتحنا الباب عـلى مصراعية نحـو مستقبل نستطيع أن نتعامل فيه مع الافكار التربوية الأجنبية دون ما خوف من أن ننقلها كما هى - كما نفعل اليوم - الى نظم التعليم العربية ، لأنها فى هذه الحالة ، ستعرف طريقها الى التأقلم والتكيف ، وفق فلسفة عربية للتربية »(٢) ٠

وربما استدعى الاهتمام بدراسـة التربية الاسـلامية انشاء قسم بكلية التربية ، للتربية الاسلامية يضطلع بمهمة تحقيق التراث التربوى الاسلامى ، ودراسته والتعرف على مصادر التربية الاسلامية ومبادئها واتجاهاتها ومفكريها ٠

وربما استدعى ذلك دراسة تاريخ التربية الاسلامية ضمن مواد الدراسـة لطلبة السنوات المختلفة بكليات التربية ، لتكون هذه الدراسة دافعا لهم الى مزيد من البحث والدراسة مستقبلا ٠

---

(١) المرجع السابق - ص ٣٥٩ ٠

(٢) المرجع السابق - ص ٣٥٩ ٠

التيارات الفكرية فى المجتمع :

على الرغم من التفكك السياسى الذى أصاب الأمة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى كنت تجد رقيا فى الحياة العقلية ، حيث كان هذا القرن هو عصر الانفتاح العظيم ، على الثقافات والحضارات الأخرى ، وفيه تم نقل ميراث اليونان والفرس والهند من فلسفة وحكمة وعلوم (١) .

ونتيجة لهذا الانفتاح الثقافى والحضارى ، برزت على سطح المجتمع تيارات فكرية متباينة ، ظهرت كنتيجة لها دعاوى دينية منحرفة وحركات دينية متطرفة، دعت فى بعض الحالات الى تدخل الدولة ـ باسم الجماعة الاسلامية وحفاظا على وحدة المجتمع ـ للقضاء على هذه الدعاوى ، وانهاء هذه الفتن(٢) ، أو على الأقل الحد من ذلك الصراع الذى قام بين هذه الاتجاهات الفكرية المختلفة ، وبين المدارس الفكرية التى عكست هذه الاتجاهات بنزعاتها العقليـــة ، أو الروحيـــة ، أو السنية (٣) .

وكان ظهور هذه المدارس ، بما لها من أعلام ومناهج ومؤلفات وأتباع ، أدعى الى توازن الحياة الفكرية وثرائها فى القرن الرابع الهجرى ، وذلك بسبب تمسك هذه المدارس جميعا بالكتاب والسنة كأساس لهذه المنطلقات الفكرية .

والقرن الرابع الهجرى ، بما كان يموج فيه من تيارات فكرية متباينة ودعاوى متطرفة ، واتجاهات متعددة شبيه بعصرنا الذى نعيش فيه :

فالتغـــير الاجتماعى فى كل منهما كان سريعا ومتلاحقا ، والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى كان سـمة كل منهما ، وتعـدد الحركات الدينية وانتشـار مبادئهـا كان صفة تميز كلا منهما أيضـا ، والصراع بين المـذاهب والاتجاهات الفكرية المختلفة كان طابعا مميزا لكلا العصرين .

غير أن الاتجاهات الفكرية المتعددة رغم تباينها واختلافها ـ فى القرن الرابع الهجرى ـ ورغم تأثر بعضها تأثرا قويا بالفلسفة اليونانية وبالأفكار الاجنبية(٤)

---

(١) ارجع الى ص (٧١) من الرسالة .

(٢) ارجع الى ص (٧٦ ـ ٧٨) من الرسالة .

(٣) ارجع الى ص (٩٧ ـ ١٠٢) من الرسالة .

(٤) أحمد أمين : ظهر الاســلام ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ ـ جـ ٢ ـ ص ١٣١ .

الا أنها جميعا كانت تدور فى اطار من الأيديولوجيا الاسلامية ، كما حددها الكتاب والسنة ، فالفلسفة فى القرن الرابع ، كانت فلسفة اسلامية « رغم أنها اعتمدت بجانب القرآن والسنة على الفلسفة اليونانية ، وذلك لأنهـــا أخضعت الفلسفة اليونانية للكتاب والسنة ، ولم تخضع الكتاب والسنة للفلسفة اليونانية ، ومن هنا كانت أصالتها »(١) ٠

هذا بالاضافة الى استناد هذه الاتجاهات الفكرية الى الثقافة الجادة ذات الأصول العلمية الســليمة ، والى أن روح الاســلام كانت تظلل هذه الاتجاهات المتعددة ، فلا يوجد « تنافر أو تعارض بين مايقال فى المسجد ، وما يقال فى الشارع، وما يحدث فى ميدان القتال وما يحدث فى قصر من القصور أو دار من الدور ، فقد كانت روح الاسلام فى كل منها ، تصل القنوات بين هذه الأجهزة ، التى تبدو متباعدة » (٢) ٠

أما على صفحة مجتمعنا المعاصر ، فيبدو الصراع بين المذاهب الفكرية حادا وعنيفا ، وتبرز ظاهرة الرفض واضحة المعالم فى قطاع الشباب ، حيث الفراغ الفكرى والاستعداد لتقبل الأفكار المنحرفة ، هما السمة الواضحة لدى بعض هؤلاء الشباب ، ويضاعف الخطر وقوف الأجهزة المسئولة عن قطاع الشباب ، موقفا غير جدى الى حد ما فى مواجهة ذلك ، فلم تدرك ــ كما يبدو لى ــ حتى الآن أنه عندما يكون التغير الاجتماعى سريعا فان الحاجة تكون أشد للتخطيط لمواجهة متطلبات هذا التغير وما ينشأ عنه من اتجاهات فكرية بعيدة التأثير ، وان كان ثمة جهد يبذل فى هذا المجال ، فهو جهد عشوائى ، ما زال يؤمن بمنهج التجربة والخطأ ، رغم أن الخطأ فى تكوين عقول الشباب ثمنه فادح ٠

وربما عاد السبب فى بروز ظاهرة الرفض وفى هذا الفراغ الفكرى فى عقول شبابنا الى :

١ ــ أن ارتباط الشباب بالثقافة الجادة ضعيف حتى بالنسبة للشباب المتعلم ، باستثناء قلة منهم ، أدى بهم موقعهم الاجتماعى ، أو ظروف بيئتهم الخاصة، أو اجتهادهم الشخصى ، الى الاحاطة بتيارات الثقافة الجادة ٠ وربما عاد السبب فى ذلك أيضا الى أن نظامنا ما زال حتى الآن يصر على استظهار الطالب لمادة محددة وافراغها فى أوراق الامتحان دون اهتمام كبير بتنمية قدرات الابتكار

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ــ مرجع سابق ــ ص ١٢٨ ٠

(٢) عبد الغنى عبود : التعليم مدى الحياة فى الاسلام ــ مرجع سابق ــ ص ٦٧ ٠

والابداع للطالب ، ودون استثارة شوقه الى المعرفة والاهتمامات العلمية الجادة ٠ ويعزز هذا كله تسعيرة الشهادات ، وقبول الطلاب فى الجامعات على أســاس الدرجات وحدها ٠

٢ — أننا لم نتوصل حتى الآن الى ايجاد وسائل جديدة لتقييم الطلاب ، على أساس جهودهم فى البحث والمناقشة ، أو ادخال المكتبة فى الجدول الدراسى منذ المرحلة الابتدائية ، بالاضافة الى عدم اهتمام البيت المصرى ، بما فى ذلك الأوساط المتعلمة ، بتنمية الاتجاهات نحو القراءة والثقافة ، لدى أبناء الأسرة ٠

٣ — ما زال بعض الدعاة من رجال الدين يصورون للشــباب الواقع الاسلامى ، فى عهود ازدهاره ، بصورة تقرب من الفكر الأسطورى ، بحيث يعد الشباب عن حقائق الواقع والنتيجة أن الماضى يعرض على الشباب كله خيرا فى غير صورته الحقيقية ، بينما يقدم لهم الحاضر كله شرا فى غير حجمه الحقيقى ٠

وهذا يقتضى منــا :

١ — أن نهتم بتقديم الثقافة الجادة لشبابنا ، وهذا يتطلب بدوره اهتمام نظامنا التعليمى بتنمية قدرات الابتكار والابداع لدى الطلاب بكافة الوسائل الممكنة ، واستثارة أشواقهم الى المعرفة والاهتمامات العلمية الجادة ، واعادة النظر فى قبول أبنائنا فى الجامعات على أساس المجموع وحده ، بل لا بد أن يكون للميول وللقدرات مكانها الأول ، فى قبول الطــلاب بكليات الجامعــة المختلفة ، والاهتمام بالمكتبة ودورها الثقافى فى برامجنا التعليمية ، وتقييم الطلاب فى مراحل التعليم المختلفة على أساس جهودهم فى البحث والاطلاع والمناقشة المثمرة٠

٢ — اعادة النظر فيما تقدمه وسائل الاعلام من برامج ، فحتى الآن لم تحدد وسائل الاعلام لها اتجاها ، فهى تقدم البرامج الهادفة كما تقدم البرامج الهادمة ، حتى أصبحت هذه البرامج يناقض بعضها بعضا ، فلا بد أن تحدد وسائل الاعلام لنفسها ما تريد تحقيقه وكيف تحققه ٠

٣ — واذا كان لوسائل الاعلام دورها فى ملء الفراغ الفكرى فى عقول الشباب وتقديم الثقافة الجادة ، قضاء على ظاهرة الرفض فى هذا القطاع ، فان أجهزة التوجيه الدينى تحمل نصيبها من المسئولية ، وعلى المسجد أن يتحول الى مركز يجتذب الشباب ليقضوا فيه أطول وقت فى القراءة ، ودراســة العلوم الدينية والدينوية، والالتقاء بالموجه الدينى، الذى يجيب على تساؤلاتهم، ويرشدهم

فى سلوكهم ويوجه تفكيرهم ويساعدهم على تكوين علاقة سليمة مع المجتمع ومع الآخرين .

وقد حان الوقت لأن يشمل التطور المسجد وامامه ، حتى يتمكن المسجد من أداء رسالته الهامة ، وربما أعانه على ذلك اشتماله على مكتبة كاملة تفتح أبوابها طوال الوقت للجميع ، وعلى دار للطفل ، تقوم بتحفيظ الأطفال القرآن الكريم وتعليمهم مبادىء الاسلام وهم صغار ، وعلى دار للعلاج والاشراف الصحى على أهل الحى ، وعلى قاعة مناسبة يلتقى فيها أهل الحى فى أفراحهم وأحزانهم ، وعلى قاعة للندوات والمحاضرات التى يحضرها أهل الحى ، وعلى فصول لتقوية الطلبة .

فان ذلك ـ فيما أعتقد ـ سوف يربط الناس بالمسجد فى كل أمور حياتهم، ويتطلب ذلك ضرورة اعداد أئمة المساجد وتأهيلهم للقيام بدورهم كاملا ، بحيث يصبح هذا الامام معلما وموجها وباحثا اجتماعيا وأبا روحيا وقائدا لمجموعة من الشباب فى عمل ايجابى يترجم الأفكار الى أعمال .

البحث العلمى :

عرف القرن الرابع الهجرى تشجيع البحث العلمى ، فتسابق الخلفاء والحكام والأمراء الى استقطاب العلماء واكرامهم واغداق النفقة عليهم ، وتمكينهم من التفرغ للتصنيف والتأليف والبحث ، فقد « أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر حينما قدم بغداد فقيرا ، وكذلك أجرى سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ، على أبى نصر الفارابى الفيلسوف التركى (المتوفى ٣٢٩ هـ ـ ٩٥٠ م) ، أربعة دراهم كل يوم . فاقتصر عليها »(١) . وليتمكن العلماء من البحث « أفرد عضد الدولة فى داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة موضعا يقرب من مجلسة ، فكانوا يجتمعون فيه للمفاوضة ، آمنين من السفهاء ورعاع العامة »(٢) . وكان أمراء بنى بويه « يغدقون على العلماء اغداقا كبيرا »(٣) . كذلك كان الفاطميون، فقد « شجعوا العلم والأدب أكبر تشجيع »(٤).

---

(١) آدم متز ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٢) المرجع السابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٧ .

(٣) احمد امين : ظهر الاسلام ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٨ .

(٤) المرجع السابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٨ .

وكان وزيرهم يعقوب بن كلس يجتمع فى داره « قوم يكتبون القرآن وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب ، حتى الطب ، وكان يقيم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتابة »(١) .

وقد ألف بعض هؤلاء العلماء كتبا سميت بأسماء الحكام والوزراء تقديرا لرعايتهم وعنايتهم بهم فيحدثنا الخونسارى أن مسكويه ألف كتابا بالفارسية وعنوانه « نزهت نامه علائى » وقد « كتبه مسكويه باسم علاء الدولة الديلمى »(٢) كما ألف ابن فارس « كتابه المسمى بالصاحب نسبة الى الصاحب بن عباد »(٣) ، كما ألف الثعالبى كتابا فى فقه اللغة للأمير أبى الفضل الميكالى(٤) .

وهكذا ظهر فى القرن الرابع الهجرى من تفرغ للبحث العلمى ومنهم ابن الهيثم والفارابى وابن سينا وابن مسكويه وأبو حيان التوحيدى وغيرهم وكان من نتيجة ذلك ثروة علمية وأدبية كبيرة خلفها القرن الرابع تمثلت فى « كتب الخوارزمى وابن العميد والصاحب بن عباد ، ويتيمة الدهر للثعالبى ، والصناعتين وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، ورسالة الغفران للمعرى ، والامتاع والمؤانسة لأبى حيان ومحاضرات الأدباء للأصفهانى والخصائص لابن جنى والتهذيب للأزهرى ومقاييس اللغة لابن فارس والصحاح للجوهرى والفهرست لابن النديم وتجارب الأمم وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه وأمالى الشريف المرتضى والموازنة بين الطائيين للآمدى ، ونشوار المحاضرة للتنوخى ، والواضح فى اللغة لأبى بكر الزبيدى »(٥)، وغيرها من مؤلفات أعلام هذا القرن كالفارابى وابن سينا واخوان الصفاء وغيرهم .

وبالنظر الى البحث العلمى فى مجتمعنا المعاصر نجد أنه « لا زال يعانى مشكلات ثلاثا رئيسية هى : مشكلة مصادر الثروة البشرية ، ومشكلة تنظيم البحث العلمى ومشكلة تمويل هذا البحث »(٦) .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان — مرجع سابق — جـ ٢ — ص ٤٩٧ .

(٢) عبد العزيز عزت : مرجع سابق — ص ٨ — نقلا عن الخونسارى — روضات الجنات — جـ ١ — ص ٣٦ .

(٣) احمد امين : ظهر الاسلام — جـ ٢ — ص ١١٩ .

(٤) المرجع السابق — جـ ٢ — ص ١٢١ .

(٥) محمد عبد الغنى حسن — مرجع سابق — ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٦) عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى — مرجع سابق — ص ٩ .

أما عن مصادر الثروة البشرية « فان الدراسات المختلفة تلاحظ أوجه نقص خطيرة ، سواء فى اعدادها أو فى استغلالها والاستفادة بها »(١) ، وتزداد هذه المشكلة حدة فى بلادنا بسبب « عدم توافر الحوافز لرجال البحث مع وجود شعور بالغبن بالمقارنة بزملائهم فى الدول المتقدمة » مما « يجعلهم دائما يفكرون فى مشكلات الحياة .. وهذا بدوره يقلل من انتاجيتهم ، ويحد من تفكيرهم العلمى السليم ، ويعوقهم عن توجيه كل جهودهم ووقتهم للبحث العلمى »(٢) ، ويؤدى بهم « اما الى التكسب فى مجالات أخرى غير عملهم الرسمى ، أو الهجرة الى الخارج »(٣) . والواجب يقتضينا أن نستفيد من كفاءتهم ، وهذا لا يتحقق « الا اذا وفرنا لهم كأفراد حوافز البقاء » و « الا اذا وفرنا لهم امكانيات البحث المفيد وأدواته بسخاء وتوسع »(٤) .

أما عن مشكلة تنظيم البحث العلمى : « فلا يوجد تنظيم أو تنسيق بين وحدات البحث العلمى فى بلادنا نتيجة لعدم وجود تخطيط للبحث العلمى ومؤسساته ، كما لا يوجد الربط « بين هيئات البحث العلمى ومراكز الانتاج والخدمات »(٥) ، كما أن نظام البحث العلمى عندما « يتسم بعدم الاستقرار نتيجة التغيرات السريعة فى أجهزته وتنظيماته دون معايير وضوابط محددة واضحة ومعلنة »(٦) .

أما عن مشكلة تمويل البحث العلمى : فان بلادنا تنظر الى قطاع البحث العلمى « على أساس أنه قطاع يؤدى خدمات ، بينما هو فى الحقيقة قطاع انتاج » ، ونتيجة لهذه النظرة انخفض المخصص للانفاق على البحث العلمى فكان « ٥ر٪ من حجم الانفاق العام ، بينما الدول الكبرى تخصص ما يصل الى ٣٪ من دخلها القومى أو أكثر ، للبحث العلمى »(٧) ، كما أن ما يخصص من ميزانية للبحث العلمى ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) يوسف خلوصى : « حول تنظيم البحث العلمى فى الجمهورية العربية المتحدة » الادارة — مجلة علمية ربع سنوية يصدرها اتحاد جمعيات التنمية الادارية — العدد الثالث — يناير ١٩٦٩ — ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٤) احمد عبد الغفار : « وحدات صناعية أكبر وأقوى » — الادارة — مجلة ربع سنوية يصدرها اتحاد جمعيات التنمية الادارية — العدد الرابع — ابريل ١٩٦٩ — ص ١٥ .

(٥) عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى — مرجع سابق — ص ١٢ .

(٦) يوسف خلوصى — مرجع سابق — ص ٤٧ .

(٧) عبد الغنى عبود — المرجع الأسبق ، ص ١٤ .

« لا يراعى فى توزيعها على الجهات العاملة فى الحقل العلمى أولويات لمشروعات البحوث ·· بل ان التوزيع يتم على جميع هذه الجهات ، وقد يخص بعضها ما لا يفى باحتياجاتها العاجلة والهامة »(١) ·

ولمواجهة المشكلات الثلاث ـ ينبغى فى مواجهة مشكلات مصادر الثروة البشرية :

أن ننهض بنظم التعليم كمه وكيفه من حيث « رفع كفاية التعليم ، وتحسين مستوى الأداء فيه سواء أكان ذلك متصلا بالمعلم أو بالمنهج أو بالكتاب أو بطريقة التدريس أو بالمبنى »(٢) ، ومن حيث « الربط الوثيق بين الخطة التعليمية وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية »(٣) ، ومن حيث « العناية بالنواحى العلمية والتطبيقية والسلوكية » وأن « يكون أسلوب التعليم بحيث يشجع المتعلم على التعلم الذاتى »، وبحيث « يدرب التلاميذ على استخدام الأسلوب العلمى فى التفكير، وينمى لديهم القدرة على التجديد والابتكار »(٤) وعلى « اتباع الوسائل التى تحول العملية التعليمية من عملية تعليم (الطالب فيها سلبى) الى عملية تعلم (الطالب فيها ايجابى) »(٥) ·

وكل ذلك يستدعى « تزويد المدرسة بمكتبة مناسبة ، تضم المراجع المتصلة بالمنهج والكتب البسيطة فى المجالات الثقافية والمهنية والعلمية ومراجع لهيئات التدريس ، واستخدامها بطريقة تؤدى الى اذكاء روح البحث والدراسة »(٦) ، كما يستدعى نوعا جديدا من المدرسين يستمر تدريبهم « على أن يكون التدريب بالطريقة التطبيقية ، وليس بالطريقة التقليدية »(٧) ·

---

(١) يوسف خلوصى ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ ·

(٢) توصيات مؤتمر التعليم فى الدولة العصرية ، المنعقد بمبنى نقابة المهن التعليمية بالقاهرة (٢٠ ـ ٢٣ فبراير) ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ وزارة التربية والتعليم ـ مركز التوثيق التربوى ١٩٧١ ـ استنسل ـ ص ٣ ·

(٣) المرجع السابق ، ص ٤ ·

(٤) المرجع السابق ، ص ٨ ·

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣ ·

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤ ·

(٧) المرجع السابق ، ص ١٢ ·

وفى الوقت ذاته يجب « التوسع فى التعليم طولا وعرضا وعمقا » بحيث يحقق هذا التعليم هدفين : « الأول منفعة المتعلم نفسه ، والثانى منفعة الأمة » ، مع تحقيق « الموازنة بين حاجة الفرد ومنفعته ، وحاجة الأمة ومنفعتها » (١) .

كما يجب الاهتمام بالدراسات العليا وذلك « بانشاء جهاز خاص فى كل جامعة على مستوى عال يختص بشئون الدراسات العليا والبحوث ويتولى تخطيطها على أسس مرسومة وتنظيمها بكافة السبل والطرق التى تشجع البحث العلمى وتحقق التعاون فى هذا المجال بين الجامعات والهيئات العلمية الأخرى ، ومتابعتها داخل الجامعة للوفاء بحاجة البلاد من البحوث الأكاديمية وغيرها من البحوث التى يتطلبها مجتمعنا المتطور فى مجالات الصناعة والزراعة وغيرها »(٢) .

وفى مواجهة تنظيم البحث العلمى ينبغى :

١ — « أن توضع للبحث العلمى سياسة واضحة محددة وتقاليد ونظم مرعية وقوانين ثابتة تحقق فاعلية نظام البحث العلمى ، وتوفر للعاملين به الجو المناسب للعمل كما توفر للنظام نفسه عنصر الاستقرار » .

٢ — « ألا تحول هذه القوانين والتقاليد والنظم دون تطور النظام بعد ذلك على ألا يكون هذا التطور لونا من ألوان الهدم للقديم بل يكون لونا من ألوان النمو بحيث يحقق لنظام البحث العلمى عنصر الاستمرار » .

٣ — « أن يكون لكل مؤسسة بحث علمى قانونها ولوائحها الخاصة بها فى حدود هذا الاطار العام بما يتفق وظروف عملها » .

٤ — « ولتحقيق ما سبق لا بد أن يكون العاملون بالبحث العلمى أنفسهم هم الذين يضعون ما يتعلق بهم من قوانين ونظم ولوائح » .

٥ — « أن يرتبط البحث العلمى بمؤسسات المجتمع بحيث تكون له الكلمة العليا فى كل ما يتصل بها والا تحولت آراؤه الى مجرد توصيات كما يحدث حاليا »(٣) .

---

(١) عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى — مرجع سابق — ص ٢٨٤ — نقلا عن احمد نجيب الهلالى — تقرير عن اصلاح التعليم فى مصر — وزارة المعارف العمومية — الطبعة الاميرية — ١٩٥٠ — ص ٨ .

(٢) عبد الغنى عبود — المرجع السابق — ص ٢٩٠ .

(٣) عبد الغنى عبود — المرجع السابق — ص ٢٩١ .

وفى مواجهة تمويل البحث العلمى :

لا بد من توفير المال اللازم للبحث العلمى ، وما دام البحث العلمى يقوم على أساس ربطه بمؤسسات المجتمع للنهوض بها وللمساهمة فى حل مشكلات التنمية بالمجتمع ، فان « من المنطقى لذلك أن يشترك فى تمويل البحث العلمى كل الجهات المستفيدة به »(١) ، والتى يمكن حصرها فيما يلى :

١ — الدولـــة ·

٢ — المؤسسات والهيئات العامة ·

٣ — الوزارات ·

٤ — المؤسسات والشركات الخاصة ·

ومن الواجب « ألا يقل ما تدفعه الدولة للبحث العلمى عن ٣ ٪ من الميزانية العامة للدولة »(٢) كما يجب أن تخصص المؤسسات والهيئات العامة والوزارات ، نسبة معينة من ميزانيتها ورأس مالها بوصفها ستستفيد من البحث العلمى فى تطوير أجهزتها ·

كما ينبغى أن تساهم كل مؤسسات المجتمع فى تمويل البحث العلمى باعتبار أنها ستستفيد منه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ·

المكتبات :

انتشرت دور الكتب فى القرن الرابع الهجرى انتشارا يدعو الى الاعجاب ، فكان فى كل جامع كبير مكتبة ، اذ جرت العادة أن يوقف العـلماء كتبهم على المساجد(٣) ، وكان للعلماء فى منازلهم خزائن كتب ، وتنافس الملوك والحـكام والأمراء فى اقتناء الكتب حتى كان لكل أمير مكتبة يفتخر بها ويسعى فى تنميتها وكان « لكل ملك من ملوك الاسلام الكبار بمصر وقرطبة وبغداد فى أواخر القرن الرابع ولع شديد بالكتب »(٤) ، وكذلك كان الوزراء وحكام الأقاليم(٥) · ولقد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ·

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ·

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان — مرجع سابق — ج ١ — ص ٦٢ ·

(٤) آدم متز — مرجع سابق — ج ١ — ص ٢٤٣ ·

(٥) المرجع السابق — ص ٢٤٦ ·

زود الخلفاء المكتبات بما تحتاج اليه، من كتب وأقلام ومحابر وورق، ورصدوا لذلك من الأموال ما أعان هذه المكتبات على أداء رسالتها فى التثقيف والتعليم(١) . وقد أسهمت المكتبات بنصيب كبير فى اذكاء الحركة العلمية فى القرن الرابع وفى معاونة العلماء على الدراسة والبحث .

وبالنظر الى قطاع المكتبات فى عصرنا الحاضر وهو « أخطر قطاعات التجديد العلمى لمختلف قوى الشعب » نجد أنه « يكاد أن يكون على المستوى القومى مشلولا »(٢) ، فهناك عقبات تواجه العمل فى قطاع المكتبات ، فمكتباتنا « لا تزال فى أشد الحاجة الى تطوير يجعل المكتبات المنظمة على أسس علمية سليمة فى متناول فئات القراء وجماهيرهم ، بحيث تصبح المكتبة وسيلة فعالة فى التثقيف الذاتى ، وفى معاونة الدراسة والبحث داخلة فى العملية التعليمية ، وميسرة للباحث المعلومات عن آخر التطورات فى العلوم والتكنولوجيا ، ومتابعة لهذا التطور السريع »(٣) .

كما أن عدد المكتبات فى مصر لا يتناسب مع مجموع سكانها بحيث يتعذر عليها القيام بمهمتها ، فاذا كان الحد الأدنى للخدمة المكتبية يقتضى وجود « مكتبة عامة لكل مائة ألف من السكان » وعلى ذلك فيجب « أن يكون فى القاهرة أكثر من ثلاثين مكتبة عامة » ، فان « المكتبات العامة الحالية ، لا تتعدى ثلث هذا العدد . كذلك لا تزال أكثر المحافظات شبه محرومة من الخدمة المكتبية العامة »(٤) .

ولنهوض المكتبات بمسئولياتها وحمل رسالتها الخطيرة لا بد من وجود « وفرة هائلة رفيعة المستوى فى القدرات والامكانيات البشرية والعلمية والتكنولوجية »(٥) ، ولا بد من توفير المال اللازم لقطاع المكتبات ، لتزويد دار الكتب الأم ، والدور الفرعية ، بمستلزماتها من الكتب والتجهيزات الحديثة ، كما لا بد أن تتغير نظرتنا الى هذا القطاع ، فتكون نظرة جادة ، مدركة لأهميته ، وأثره فى تثقيف الجماهير ، كما ينبغى التوسع فى انشاء المكتبات العامة ، واعداد مبانيها اعدادا صالحا يسمح بعرض الدوريات المختلفة ، كما يسمح للمطالعين من مختلف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢) عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى - مرجع سابق - ص ١٨٦ .

(٣) السياسة الثقافية : بيان الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة امام لجنة الخدمات بمجلس الامة فى ١٦ يونيو ١٩٦٩ - مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ - ص ٦٣ .

(٤) السياسة الثقافية - مرجع سابق - ص ٦٣ .

(٥) عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى - مرجع سابق - ص ١٨٧ .

الأعمار والمستويات الثقافية بالاطلاع والقراءة ، ولا بد من تقديم برامج تدريبية مستمرة لأمناء المكتبات كي يتمكنوا من القيام بوظيفتهم هذه بصورة أفضل •

واذا كان القرن الرابع الهجري قد حرص على أن تكون بكل جامع كبير مكتبة •

فان ذلك يتطلب منــا تزويد المدرســة والكليــة ، بل وكل المؤسسات والمصانع بمكتبات مناسبة تضم المراجع والكتب المختلفة ، وضرورة العمل على استخدامها بطريقة تؤدى الى اذكاء روح البحث والمنافسة « فان للمكتبة فى أية مؤسسة تربوية دورين تستطيع أن تقوم بهما :

« الدور الأول : هو أن تحتوى على مجموعة من المراجع التى يرجع اليهــا الأساتذة وطلابهم للحصول على ما يريدون من معلومات •

والدور الثانى : هو أن تنمى فى المتعلمين حاســة القراءة وتحفزهم الى تكوين تطلعات علمية ، وتعلمهم كيف يصــلون الى ما ينشدون من حقــائق ومعلومات ، وكيف يكونون حقائق ومعلومات جديدة تزيد عن الحقائق والمعلومات الحالية ، وتتعداها ، وكيف يدعمون هذه الحقائق والمعلومات الجديدة »(١) •

مفهوم التربية فى القرن الرابع :

انعكست الأيديولوجيا الاسلامية كذلك على مفهوم التربية فى القرن الرابع الهجرى فلم يكن المقصود من التربية هو التربيه المدرسية وحدها ، وانما اتسع هذا المفهوم ليشمل التربية فى المدرسة وفى المنزل وفى المسجد وفى السوق وفى صالونات القصور ومع جماعة الرفاق ، وفى كل مكان يتم فيه احتكاك بين الفرد وغيره من الناس « فمن خلال هذا الاحتكاك يتم التفاعل ويتم التأثير والتأثر ويتم التشكيل الأيديولوجى »(٢) ، ويتم تكوين الميول والاتجاهات ، التى « تحدد أنواع السلوك التى يسلكها الفرد ، وأنواع العلاقات التى تربطه بالأشياء والأفكار، وموقفه من كل منها ، ومدى قبوله لها ، أو رفضه اياها »(٣) •

---

(١) عبد الغنى عبود : المكتبة كوسيلة تعليمية » ـ المقولة التاسعة من كتاب (فى التربية المعاصرة) ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ •

(٢) عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ـ مرجع سابق ـ ص ١٠ •

(٣) الدمرداش سرحان ، ومنير كامل : المنــاهج ـ الطبعة الثانية ـ دار الهنا للطباعة ١٩٦٩ م ـ ص ٣٤ •

وقد أدرك المسلمون فى القرن الرابع وفى غيره من عصور الاسلام القوية أن « الحياة كلها تربى الانسان وليس المعلم وحده هو المربى ، ولا فى المدرسة وحدها يتربى الانسان »(١) ، كما أدركوا أن التربية غير التعليم ، « وهى ليست وقفا على المدرسة، ولكنها أكبر من ذلك بكثير »(٢) . واذا كان كل من ديوى وكاندل قد أحسنا التعبير عن هذه الحقيقة بقولهما : ان التربية « هى الحيـاة وليست الاعداد للحياة »(٣) ، كما زادت مارجريت ريد هذه الحقيقة توضيحا ، حين قالت : « ان التربية بأوسع معانيها هى عملية الارتباط بالثقافة والتلاؤم معها » ، « من خلال الاتصال بمصادر الثقافة كالكتب والشخصيات والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والمواقع والأضرحة التاريخية وغيرها »(٤) ـ فان هذا المفهوم الواسع والشامل للتربية ، كان هو مفهوم التربية الاسلامية فى القرن الرابع ، فقد رأى المسلمون أن التربية جزء لا يتجزأ من الأيديولوجيا الاسلامية ، حيث بها « تتم عملية التشـكيل الأيديولوجى للأفراد والجماعات على السـواء » و « يتم تحقيق التماسك الثقافى بين أبناء المجتمع الواحد » (٥) .

وهذا التشكيل الأيديولوجى فى الاسلام عملية مستمرة مدى الحياة ، تبدأ مع الانسان طفلا، يتشرب قيم الاسلام ومبادئه من والديه ، فيقوم الوالدان بتربيته

---

(١) محمد فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة ، واهميتها للبلدان العربية » فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى يتجدد ـ دائرة التربية فى الجامعة الأميركية فى بيروت ـ مطابع دار الكشاف ـ بيروت ـ ١٩٥٦ ـ ص ٤٩ .

(٢) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود : مرجع سابق ـ ص ٤ .

(3) DEWEY, JOHN: Education To-day; G. P. Putman's Sons, New York, 1940, p. 6 &

DEWEY, JOHN: Democracv and Education, An Introduction to the Philosophy of Education; The Macmillan Company, New York, 1916, p. 7 &

KANDEL, I.L.: American Education in the Twentieth Century; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1957, p. 111.

(4) READ, MARGARET: Education and Social Change in Tropical Areas; Thomas Nelson and Sons Ltd., Edinburgh, 1956, p. 69.

(٥) عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ـ مرجع سابق ـ ص ١٠ .

وتعليم أولادهم القرآن « وعلى ذلك يربونهم وبه يبتدونهم وهم أطفال لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا » (١) ، كما أمر الآباء أن يعلموا أولادهم الصلاة ، اذا كانوا بنى سبع ويضربوهم عليها اذا كانوا بنى عشر وأن يعلموهم الوضوء والصلاة لأن ذلك من دينهم » (٢) ، كما أمروا أن يؤدبوهم بأدب الاسلام، وأن يكونوا قدوة حسنة لهم ، ثم ينمو الطفل ويحتك بأقاربه وجيرانه فتزداد دائرة احتكاكه وتعلمه ، ثم يذهب الى الكتاب فتتسع دائرة تعلمه حيث يتعلم القرآن والحدث والعبادات وأخبار الصالحين (٣) ، وتستمر هذه التنمية الأيديولوجية حيث تصقل تلك القيم والاتجاهات وتتبلور ، ثم تستمر التربية فى المسجد حين يحضر مجالس العلم وخطبة الجمعة والعيدين ومجالس الوعظ ، وحين يذهب الى السوق أو حوانيت الوراقين ومحال التجارة حيث كانت تعقد هناك فى هذا العصر مجالس للعلم وللمناظرات فقد كانت هذه المحال فى القرن الرابع مثابة ومنتديات علمية يحضرها العلماء ومن يريد السماع منهم (٤) ، كذلك كانت صالونات القصور والبيوت ، وخزائن الكتب ودور العلم التى انتشرت فى القرن الرابع بصورة تدعو الى الاعجاب ، وسمحت للجميع بالقراءة ٠

والمرء مطالب فى الاسلام بالعلم من مولده حتى نهاية عمره ، وآيات القرآن، والأحاديث النبوية، فى ذلك كثيرة، تحض على التعلم، وتحبب الى الانسان أن ينفق عمره متعلما ومعلما وأن يعمل بما تعلم وأن يطابق سلوكه ما تعلمه وأن يستزيد من العلم دون أن يشبع فان « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم ، وان العالم يستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض ، حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء عليهم السلام لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (٥) ٠ وقد أمر الانسان فى الاسلام بالاستزادة من العلم « وقل رب زدنى علما » (٦) ، ويقول بعضهم « أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر

---

(١) القابسى — مرجع سابق ، ص ٢٥ — أ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ — ب ٠

(٣) ارجع الى ص (١٣٥ ، ١٣٦) من الرسالة ٠

(٤) ارجع الى ص (١٩١ ، ١٩٢) من الرسالة ٠

(٥) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى : عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى — دار الطباعة المنيرية — بدون تاريخ (كتاب العلم) جـ ٢ — ص ٣٩ ٠

(٦) قرآن كريم : سورة طه — آية ١١٤ ٠

بطلب الزيادة فى شىء الا فى العلم، واستجابة لهذا الأمر، وادراكا لمعنى العلم الحقيقى، كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو بهذا الدعاء : « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كل حال » (١) . وقد كان الأمر بالقراءة هو مستهل الدعوة الاسلامية « وهو مستهل يدل على الشعار الذى رفعه الاسلام ، ليدل بعده على جوهر الأيديولوجيا الاسلامية ، وعلى المفتاح الذى لا يمكن بدونه فهم الشخصية الاسلامية ، وفهم التغير الجذرى الذى أحدثه الاسلام فى الذات الانسانية » (٢) . لذا كان على المسلم أن يقرأ وأن ينمى معارفه ، والقراءة « تستثير المسلم من أعماق كيانه لأنها تتصل بوجوده كمسلم » ولو ترك القراءة بمفهومها العام فى الاسلام لكان « مقصرا فى حق دينه ونفسه وكان غير جدير بذلك التكريم الذى كرمه به الله يوم خلقه » (٣) .

فمفهوم التربية فى الاسلام هو التربية الشاملة المستمرة فى كل مكان يحدث فيه الاحتكاك ، ومن ثم التعلم ، بين الانسان وغيره ، وفى كل هذه الأمكنة التى يحدث فيها التعلم كانت روح الاسلام تصل بينها جميعا فلا تعارض بين ما يقال وما يحدث فى مكان وما يقال ويحدث فى مكان آخر حيث « كانت روح الاسلام فى كل منها تصل القنوات » (٤) .

ولعل ذلك يدفعنا الى اعادة النظر فى الأجهزة التى تقوم بدور هام فى التربية ، وفى التشكيل الأيديولوجى للانسان ، فلا يمكن أن نتغافل التربية عندنا دور أجهزة الاعلام، من صحافة واذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وغيرها، فلا بد أن توجه جميعا لصالح الاسلام والمسلمين ، حيث أنها أجهزة تعليمية تؤثر فى عقول الأفراد وتشكيلهم ، كبارا وصغارا ، ولتكن مهمتها جميعا غرس القيم والمبادىء الاسلامية فى النفوس، وتنمية هذه القيم والمبادىء لتصير أصلا فى النفوس لا يتزعزع ، ولتعمل هذه الأجهزة متضامنة على أن تكون الأيديولوجيا الاسلامية أساسا تقوم عليه الحياة فى مجتمعنا ، تدخل هذه الأيديولوجيا الاسلامية فى برامج التعليم ، ابتداء من السنوات الأولى لهذا التعليم ، وحتى نهاية مراحله ، كما تستمر مدى الحياة من خلال برامج الاذاعة والتليفزيون وما تكتبه الصحف ،

---

(١) عبد الفتاح جلال - مرجع سابق - ص ٢٠ .

(٢) عبد الغنى عبود : « التعليم مدى الحياة فى الاسلام » - المقولة الثانية من كتاب (فى التربية المعاصرة) - مرجع سابق - ص ٥٤ .

(٣) عبد الغنى عبود : « التعليم مدى الحياة فى الاسلام » - المرجع السابق - ص ٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

وما يقدمه المسرح والسينما ، أى أن الأساس الأيديولوجى للاسلام ، ينبغى أن يقدم للأطفال منذ السنوات الأولى ، بما يتفق ومراحل نموهم ، ثم يستمر معهم ٠

وهذا يقتضى منا بالتالى أن نغير نظرتنا الى الجهـاز التعليمى فى تربيتنا المعاصرة ، فلا يكون هذا الجهاز قاصرا على المدرسة أو الكليه وحدهما ، وانما يشمل كل جهاز ثقافى ، وكل هيئة يمكن أن تؤثر قليلا أو كثيرا فى عقول الأفراد ، صغارا وكبارا ، حتى نربط بين الأيديولوجيا والتربية فى مجتمعنا الاسلامى الحديث ٠

كما يقتضى منا أن نعيد النظر فى نظم التعليم وطرقه التقليدية فنلجأ الى « استحداث بعض النظم التعليمية التى تتحلل من نظام الفصـول التقليدى ، كنظام التعليم بالمراسلة ، والتعليم بالراديو والتليفزيون » (١) . ومما يدعو الى الاعجاب والفخر ان التعليم بالمراسلة كان احدى وسائط التعليم فى القرن الرابع الهجرى (٢) ٠

الطفـــولة :

اهتمت التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى بالطفل منذ اللحظة الأولى لولادته ، أى منذ أن ينتقل الطفل من بيئة جسم أمه، الى بيئة العالم الخارجى، بل لقد اهتم الاسلام عموما بالناشئة حتى قبل ميلادهم ، وذلك بالحض على اختيار الزوجة الصالحة ، لتكون أما صالحة ، توفر البيئة الملائمة لتربية الطفل (٣) ٠

وتركز اهتمام التربية الاسلامية — فى القرن الرابع الهجرى — فى مرحلة سنى المهد بتحقيق غايات ، أهمها : أن يأكل وينام مستريحا (٤) ٠ ونكاد نجزم بأن ما قاله علماء النفس المحدثون عن هذه المرحلة من عمر الطفل كان له أساسه فى الفكر التربوى الاسلامى فى القرن الرابع ، ولقد تعدت هذه الرعاية الجانب الجسدى بالاطعام والنظافة والعناية بالنوم ، الى العناية بالجانب النفسى ، وتحقيق

---

(١) محاسن رضا احمد : « الجامعة المفتوحة ونظم التعليم فى البلاد العربية » — تعليم الجماهير — مجلة متخصصة تصدر عن الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار — المجلد الاول — العدد رقم ١ — سبتمبر ١٩٧٤ — ص ٦٦ ٠

(٢) ارجع الى ص (١٥٥) من الرسالة ٠

(٣) ارجع الى ص (١٠٥ ، ١٠٦) من الرسالة ٠

(٤) ارجع الى ص (١٠٦ ، ١٠٧) من الرسالة ٠

النمو الانفعالى السليم ، بالتدرج فى الفطام ، والتأكيد على دور الأم لتحقيق الصحة النفسية للوليد (١) ٠

وظروفنا الحاضرة تستدعى مزيدا من الرعاية للطفولة خاصة بعد أن تساوت المرأة بالرجل فى فرص التعليم والحيـــاة ، مما يجعل الأطفال ، بسبب عمل أمهاتهم ، فى حاجة الى عناية تعوضهم عن رعاية الأم ، فى هذه السنوات الأولى المبكرة ، ويتم ذلك :

بالتوسع فى انشاء دور الحضانة التى تقدم للطفل الرعاية اللازمة صحيا واجتماعيا ، وأن تزود هذه الدور بكل الامكانيات التى تساعدها على القيـــام بمهمتها ٠

واذا كان التوسع فى انشاء دور الحضانة أمرا تفرضه التغيرات الاقتصادية والاجتماعية فى مجتمعنا المعاصر فمما يدعم هذا الاتجاه « توجيه عناية خاصة لاعداد معلمى ومديرى هذه الدور ، وذلك باستحداث دراســـات على المستوى الجامعى لهذا الغرض » (٢)٠ واذا كان بكلية البنات الآن شعبة لتربية الطفل ، فان الحاجة تقتضى البدء فورا فى تعميم هذه الشعبة فى كليات التربية ٠

وينبغى أن تشرف وزارة الصحة واداراتها المختلفة بالبلاد على دور الحضانة كأن يخصص لكل عدد منها طبيب ، يتابع اشرافه الطبى على الأطفال بها ٠

وفى كل الأعمـــال التى تقوم بها المرأة فى مجتمعنا ، ينبغى الحرص على تواجدها لفترات طويلة من الوقت بجوار أطفالها خاصة فى مرحلتى سنى المهد والطفولة المبكرة تحقيقا لمطالب النمو الجسمى والعقلى والانفعـــالى والاجتمـــاعى للأطفـــال ٠

مراحل التعليم :

من دراسة نظام التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى أمكن التعرف على ثلاث مراحل لكل مرحلة منها فلسفتها التربوية الواضحة :

---

(١) ارجع الى ص (١٠٨) من الرسالة ٠

(٢) ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى ـ الطبعة الاولى ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٣ ـ ص ٢٤١ ٠

(أ) مرحلة الروضة :

لم يرد اسم (الروضـــة) فى تربية القرن الرابع ، ولم تعرف مؤسسة تربوية تحمل هذا الاسم ، غير أن الأسماء لا تعنينا فى كثير ، حيث لم تهمل التربية الاسلامية فى القرن الرابع هذه المرحلة، وبينت أهميتها وفصلت البرنامج التربوى الذى ينبغى اتباعه فيها ، فوجهت عنايتها الى النمـو الحسى حركى ، والنمو الأخلاقى .

ولم تقدم للصبى خلالها أية معلومات ، بل كانت العناية الخلقية ، وتهيئة الظروف لتعديل سلوك الطفل ، واطلاق اللعب له ، والنظافة والعناية الجسمية ، هى منهج التربية لهذه المرحلة (١) .

وبالنظر الى ظروف مجتمعنا الذى دفع بالمرأة الى مجال العمـل ، ينبغى التوسع فى انشاء رياض الأطفال ، التى تقبل أطفال الأمهات العاملات من سن الثالثة ، حتى يلتحق هؤلاء الأطفال بالمدرسة الابتدائية ، على أن تلحق هذه الرياض بكل المؤسسات والمصانع والمكاتب التى تعمل فيها المرأة .

ويجب أن تخضع هذه الرياض لاشراف وزارة التربية والتعليم واداراتها فى كل أنحاء البلاد ، وقد آن الأوان لضم رياض الأطفال الى النظام التعليمى ، واعتبارها جزءا من السلم التعليمى ، حتى لا تقتصر مهمتها على الرعاية الجسدية فحسب ، وانما تتعدى ذلك الى تنمية الاطفال خلقيا واجتماعيا وعقليا وجماليا ، بتدريبهم على العادات والاتجاهات الصحيحة من خلال برامج تربوية معدة اعدادا جيـــدا .

فواقع هذه الرياض يبين لنا أنها « لا تسير على أسس مدروسة فى رعاية الأطفال وتربيتهم ، ولا تتوفر فيها الظروف الكفيلة بحسن الأداء ، بل هى مجرد أماكن لتجميع أكبر عدد من الأطفال ، بقصد الكسب المادى لأصحابها ، دون أى اعتبار لصالح الطفل ، كما أن العاملات بهذه الحضانات غير مؤهلات ، وليس على هذه الدور اشراف فنى أو تربوى » (٢) .

---

(١) ارجع الى ص (١٣٢) من الرسالة .

(٢) نازلى صالح احمد : حول التعليم الابتدائى ونظمه (دراسات مقارنة) الطبعة الاولى — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٣ — ص ٨ .

ومن الممكن أن تشرف كلية التربية بالاقليم على بعض هذه الرياض ، وأن تجرى تجاربها فيها .

واذا كان بدار معلمات العباسية الآن شعبة لاعداد مربيات دور الحضانة فان ظروف مجتمعنا الآن تقتضى تعميم هذه الشعبة بكل دور المعلمات بالجمهورية لتخريج مدرسات دور الحضانة بعـــد اعدادهن اعدادا علميا وتربويا يؤهلهن للقيام بواجبهن فى رعاية الأطفال ، ومتابعة نموهم فى نواحيه المختلفة ، مع وضع الحوافز المادية والأدبية للاتى يلتحقن بهذه الأقسام ، وذلك لأهمية هذه المرحلة ، التى يبدأ فيها الطفل « فى اكتساب التوافق الصحيح مع البيئة الخارجية » ويشرع فى « تكوين العادات الانفعالية نحو الآخرين » (١) .

(ب) مرحلة التعليم الاولى :

وهى مرحلة بدأت فى تربية القرن الرابع الهجرى فى سن السادسة ، حتى يكون الصبى قادرا عقليا وبدنيا، على تلقى الدراسة (٢) ، وكانت مرحلة عامة، يتلقى فيها الصبيان أساسيات الثقافة الاسلامية من قرآن وعبادات ونحو وشعر وخط وحساب وتاريخ ، وذلك بقصد تهيئتهم للمرحلة التالية أو اعدادهم لحياة تلائم بيئة مجتمع القرن الرابع .

وكانت هذه المرحلة تنتهى فى حوالى الرابعة عشرة من عمر الصبى (٣) . أى أن مدة الدراسة فى هذه المرحلة كانت حوالى ثمانى سنوات .

وبالنظر الى المرحلة الأولى فى نظامنا التعليمى الحالى ، وهى تمثل « الحد الذى ترى الدولة تزويد كل المواطنين به لتحقيق العدل فى فرص التعليم « وتعتبر القاعدة الأساسية للنظام التعليمى ، التى تغذى المراحل التالية ، باعداد الطلاب الذين يقومون بأعباء التنميةوالانتاج »(٤) . نجد أن مدة الدراسة بها ست سنوات تبدأ من سن السادسة وتنتهى فى سن الثانية عشرة ، وهى مدة أصبحت غير كافية لتكوين المواطن الصالح القادر على المساهمة فى نهضة بلاده ، ولذلك أوصى المؤتمر الدولى للتعليم العام منذ عام ١٩٣٤ م بألا تقل سنوات التعليم الابتدائى

---

(١) احمد زكى صالح : علم النفس التربوى — مرجع سابق — ص ١٢٩ .

(٢) ارجع الى ص (١١٥) من الرسالة .

(٣) ارجع الى ص (١١٦) من الرسالة .

(٤) ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى — مرجع سابق — ص ٤٢٤ .

« عن سبع سنوات بأى حال من الأحوال » (١) ، كما أوصى بضرورة « مد سن انتهاء الدراسة الى سن ١٤ ، بل والى ما بعدها » (٢) ، واطالة مدة التعليم الالزامى ، التى « تولدت لدى كثير من الدول كنتيجة للتطور الاجتماعى والتقدم العلمى والخوف من البطالة وآثارها الاجتماعية الوبيلة والرغبة فى تنويع الفرص أمام الملزمين اذا خرجوا للحياة الاجتماعية » (٣) .

لذلك يجب أن يكون هدفنا هو الوصول بالمرحلة الالزامية الى نهاية المدرسة الاعدادية على الاقل فى وقتنا الحاضر فنضم المرحلة الاعدادية الى المرحلة الابتدائية على أن يكون من أهداف نظامنا التعليمى مستقبلا ضم المرحلة الثانوية الى مرحلة الالزام حين تتحمل امكانياتنا ذلك ، وبعد أن نتمكن أولا من استيعاب كل الملزمين فحتى الآن نجد أن « الالزام لم يتحقق ... فى المدرسة الابتدائية بوضعها الراهن وكان مقررا أن يتحقق الالزام فيها سنة ١٩٦٥ ، فى نهاية الخطة الخمسية الأولى ، ولكنه لم يتحقق بسبب عدم دقة الخطة فى تقديراتها » (٤) .

واذا كانت التربية الاسلامية قد حرصت على تقديم ثقافة المجتمع لأطفاله الصغار بقصد اعدادهم لمرحلة التعليم التالية ، أو لممارسة الحياة العملية ، فلا بد أن نحرص على أن تكون المرحلة الابتدائية الالزامية فى نظامنا التعليمى مرحلة عامة يقف فيها الطلاب على حقائق العلم مبسطة وسهلة لتكون تمهيدا للمرحلة التالية واعدادا لها فى عصر بلغ فيه التطور العلمى مداه .

واذا كانت التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لم تعرف الازدواج التعليمى فى هذه المرحلة ، فان ذلك يدفعنا الى سرعة القضاء على هذا الازدواج الذى يعانيه نظامنا التعليمى منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى اليوم متمثلا فى وجود تعليم دينى فى الأزهر وتعليم مدنى فى مدارس وزارة التربية والتعليم ، فليس هناك أساس يقوم عليه هذا الازدواج فان « رجل الدين يحتاج الى العلوم الحديثة كلها، والانسان أو المواطن يحتاج الى الدين، ولا غنى له عنه ، ثم انه على أى

---

(١) توصيات المؤتمر الدولى للتعليم العام من عام ١٩٣٤ - ١٩٥٩ - ترجمة السيد محمد العزاوى ، ومراجعة محمد خيرى حربى - مركز الوثائق التربوية للجمهورية العربية المتحدة (وزارة التربية والتعليم المركزية) - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - ١٩٦٠ ، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤ .

(٣) ابراهيم عصمت مطاوع - مرجع سابق - ص ١٩ .

(٤) عبد الغنى عبود : الايديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة - مرجع سابق - ص ٥٤٥ .

أساس يحكم على الطفل من سن السادسة أن يتجه الى التعليم الدينى أو التعليم المـدنى » (١) ٠

كما لم تعرف التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ما نعانيه الآن فى نظامنا التعليمى ، فى مرحلته الأولى ، من توسع كمى على حساب كيف التعليم ، الأمر الذى يدعونا الى اعادة النظر فى السياسة التعليمية العامة ، بحيث لا يكون التوسع فى التعليم على حساب المستوى العلمى ، وكيف هـذا التعليم ، تفاديا لزيادة الفاقد من التعليم الابتدائى ، المتمثل فى التسرب ، والارتداد الى الأمية ٠

(جـ) مرحلة التعليم العالى :

وهى مرحلة كانت تأتى فى القرن الرابع الهجرى بعد مرحلة الدراسة العامة وفيها يتم التخصص حسب الميول والاتجاهات والقدرات الخاصة ، وعلى ضـوء تلك الميول والقدرات كان الفتى يحدد نوع الدراسة أو نوع العمل المهنى الذى يتخصص فيه ، فليس كل صناعة يرومها الصبى ممكنة له مواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، لذلك ينبغى لمدبر الصبى اذا رام اختيار صناعة ، أن يزن أولا طبع الصبى ، ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعة بحسب ذلك (٢) ٠

وقد كان الاتجاه الى التخصص التربوى والمهنى فى القرن الرابع وفـاء لحاجات المجتمع المختلفـــة ، فى عصر ازدهرت فيـــه الأمة الاســـلامية ثقافيا واقتصاديا (٣) ٠

ولم يكن هذا التخصص العلمى ضيقا بل امتاز بالتوسع فى معرفة العديد من العلوم (٤) ، وكانت هناك مواد عامة مشتركة بين جميع المناهج فى هذه المرحلة كان على الطالب أن يدرسها قبل دراسة المواد المتخصصة ، وهذه المواد المشتركة العامة هى مواد الدين واللغة ، وهى تمثل قاعدة للدراسة الثقافية والأساسية ، اللازمة لميادين التخصص ٠

واذا كان التخصص فى القرن الرابع يتم حسب الميول والقدرات الخاصة ، فينبغى أن يكون ذلك هو معيار القبول بالجامعات فى نظامنا التعليمى المعاصر فان

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦٠ ٠

(٢) ارجع الى ص (١٤٥) من الرسالة ٠

(٣) ارجع الى ص (٨٠ ، ٨١) من الرسالة ٠

(٤) ارجع الى ص (١٤٣ ، ١٤٤) من الرسالة ٠

« مجموع درجات الطالب فى الشهادة الثانوية لا يكفى وحده كمعيار للالتحاق بالكليات المختلفة فى الجامعة ، وانما يجب دعمها بأدوات ومعايير أخرى كاختبارات المهارة والأداء واختبارات الشخصية ، واختبارات القدرات العـــامة والخاصة واختبارات الميول ، وغيرها » (١) .

واذا كان التخصص العــــلمى والمهنى يتم فى القرن الرابع وفاء لحاجات المجتمع بكل مؤسساته ، لتجد مشكلات مجتمعنا الحلول العلمية لها .

فالجامعات عندنا حتى الآن « لم تصل بالعمق والحجم الكافيين الى الصناعة وتكاد قنوات الاتصال بينهما تكون مفقودة ، باستثناء بعض المحاولات والمجهودات الفردية » ، « كما أن البحوث الجامعية فى أغلب الأحوال ، ليست لحل مشكلات المجتمع ، وتحقيق احتياجاته »(٢) .

وقد يتم هذا الانفتاح اذا تحولت الجامعات فى بلادنا الى « جامعات شعبية تقوم بدور أساسى فى التجديد العلمى المستمر لجماهير الشعب وخاصة قواه العاملة القيادية بما تقدمه من برامج تجديدية مستمرة توقفها فيها على أحدث ما وصل اليه العلم فى مجال تخصص كل كلية من كليات الجامعة » (٣) .

ويتم أيضا هذا الانفتاح بالتفكير الجدى « فى انشاء الجامعات الاقليمية ، بحيث تكون الجامعة مطبوعة بطابع الاقليم الذى توجد فيه ، وتكون رسالتها الأساسية ، هى النهوض بهذا الاقليم » (٤) .

وربما تحقق هذا الانفتاح أيضا اذا كانت الكليات الفنية تتبع الوزارات الفنية ، الموجودة ببلادنا ، فكلية الطب تتبع وزارة الصحة ، وكلية الزراعة تتبع وزارة الزراعة ... وهكذا حتى تتمكن هذه الكليات من الوفاء بحاجات هــذه الوزارات ضمن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تضطلع بها الدولة .

وقد يقتضى انفتاح الجامعـــة على المجتمع « انشاء بعض أقسام للكليـات الجامعية ، أو كليات بأكملها لتلحق بالمشروعات الصناعية الكبرى ، أو بالمصانع

---

(١) ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٠ .

(٢) يوسف خلوصى ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ .

(٣) عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

والمزارع الحكومية » وكذلك « ضرورة التفكير فى تقديم علوم جديدة تتمشى مع النهوض الاقتصادى والتطور العلمى الحديث ، فى جمهورية مصر العربية » (١) ٠

واذا كانت التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى قد عالجت التخصص الضيق فى التعليم العالى ، فاتسع التخصص لعديد من العلوم ، حيث كان الطبيب فى هذا العصر فيلسوفا وأديبا ، والنحوى متكلما وأديبا وعالما بالهندسة ٠٠ الخ فاننا ينبغى أن نتخلص من ذلك التخصص الضيق الذى تسير عليه كثير من كلياتنا الجامعية وعلينا أن ننظر « الى التخصص نفسه فى ضوء شموله وعلاقته بنواحى الحياة الأخرى ، كما يجب اعتبار الميل الخاص بكل فرد وسيلة رئيسية مساعدة على النظر الى الحياة فى علاقاتها المتنوعة ، حتى يمكن أن يربط كل جزء من أجزاء الحياة بأجزائها الأخرى ، لتكون كلا مترابطا » (٢) ٠

واذا كانت تربية القرن الرابع قد حرصت على تقديم قاعدة من الثقافة الأساسية قبل الدراسة التخصصية ، متمثلة فى مواد مشتركة بين جميع المناهج ، هى علوم الدين واللغة ، فان ذلك يقتضى منا « تطبيق اتجاه هام فى التعليم أخذت به معظم الدول المتقدمة على اختلاف فلسفاتها وهى مراعاة مقتضيات الثقافة العامة فى طالب الجامعة ، بمعنى أن يدرس طلاب الدراسات الانسانية بعض المقررات فى العلوم الطبيعية ، ويدرس طلاب العلوم الطبيعية بعض المقررات فى الفلسفة والعلوم ولهذا أثره الواضح فى نمو شخصية طالب الجامعة كانسان وكمواطن بجانب نموه كعالم متخصص » (٣) ، ويتم ذلك عن طريق « الأخذ بنظام المراحل فى التعليم الجامعى ، فتكون المرحلة الأولى قاعدة عريضة من الدراسة الثقافية والأساسية ، اللازمة لميادين التخصص ، يمكن أن يقف عندها بعض الطلاب فى ضوء حاجتهم وظروفهم ومقتضيات العمالة المطلوبة منهم ، ثم يلى ذلك مرحلة أو مراحل يأخذ فيها التخصص طريقه تدريجيا ، على أن يترك التخصص الدقيق للدراسات العليا فيما بعد الدرجة الجامعية الأولى ، وسيحقق هذا النظام فوائد اقتصادية ، كما سيحمى أعدادا كبيرة من الطلاب من احتمال الفشل ، ويساعد على الوفاء بمقتضيات السنوات المتدرجة من التخصص »(٤) ٠

---

(١) ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى — مرجع سابق — ص ٣٢٠ ٠

(٢) وليم كلباترك : المدنية المتغيرة والتربية — ترجمة عبد الحميد السيد ، ونجيب اسكندر ابراهيم ، ومحمد الهادى عفيفى — الطبعة الرابعة — مكتبة مصر — ١٩٥٨ م ص ٦٢ — ٦٣ ٠

(٣) المؤتمر النوعى للدراسات التربوية واعداد المعلمين — كلية التربية ، جامعة عين شمس — من ٣ — ٩ نوفمبر ١٩٦٧ — مشروع التقرير الختامى — مؤتمر تطوير التعليم العالى والجامعى — ص ٦ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٦ ٠

اعـــداد المعـــلم :

عنى المفكرون والفقهاء فى القرن الرابع الهجرى بالمعلم ، فكتبوا عنه وعن الصفات التى ينبغى أن تتوفر فيه ، وعن واجباته تجاه من يقـــوم بتعليمهم ، وفصلوا القول فى ذلك تفصيلا يدعو الى الاعجاب ، وكان مبعث هذا الاهتمام ادراكهم انه لولا المعلم « لضاع كثير من الصبيان ، ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هى الضرورة القائدة الى السقوط فى فقد القرآن من الصدور والداعية الى تثبيت أطفال المسلمين على الجهالة » (١) .

وانقسم المعلمون — فى القرن الرابع — الى ثلاثة أقسام : معلمو الكتاتيب والمؤدبون ، والمعلمون العلماء .

ولم يكن هناك نظام خاص لاعداد المعلمين اعدادا مهنيا ، وكان الاعداد العلمى للفرد تقع مسئوليته على الفرد ذاته ، وكان يتم اعداد الشيوخ للتدريس عن طريق الاتصال بين الطالب وشيخه .

ويبدو أن المجتمع — فى القرن الرابع — كان ينظر للغالبية العظمى من معلمى الكتاتيب نظرة لا تتسم بالتقدير والاحترام ، لقلة مستواهم العـــلمى ومركزهم الاجتماعى (٢) ، بخلاف نظرة المجتمع الى طبقة المعلمين العلماء (٣) .

وما زال معلمو المرحلة الأولى فى عصرنا الحاضر، أقل المعلمين ثقافة واعدادا ، فهم يعدون علميا ومهنيا فى دور المعلمين لمدة خمس سنوات بعد المرحلة الاعدادية وذلك الاعداد لا يتفق بحال من الأحوال مع ما يلقى على معلم المرحلة الأولى من مسئوليات أخطر بكثير من مسئوليات غيرهم من المعلمين .

واذا كانت المؤتمرات التى عقدت للبحث فى اعداد المعلمين وتدريبهم قد أوصت بضرورة الارتفاع بمستوى معلم المرحلة الأولى ، « واعداده فى اطار الجامعة بعد المرحلة الثانوية » (٤) فيجب أن توضع هذه التوصيات موضـــع التنفيذ

---

(١) القابسى — مرجع سابق — ص ٣٣ أ .

(٢) ارجع الى ص (١٥٨ ، ١٥٩) من الرسالة .

(٣) ارجع الى ص (١٦٤ ، ١٦٥) من الرسالة .

(٤) ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط لتعليم العالى — مرجع سابق — ص ٢٣٨ .

الفورى ، على أن تشترك وزارة التربية والتعليم « مع الجامعة فى وضع برامج اعداد معلمى المرحلة الأولى ، وتوجهها بما يجعلها وثيقة الصلة بمشكلات التعليم الابتدائى » (١) • وأحسب أن اعداد معلمى المرحلة الأولى فى اطار الجامعة سوف يقضى على قلة مرتبات هذه الفئة من المعلمين، بما يمكنها من مواجهة الأعباء الضخمة الملقاة على عاتقها ، ومما لا بد أن ينعكس على مستواها ودرجة انتاجها •

واذا كانت ثقافة معلمى المرحلة العالية فى القرن الرابع الهجرى جيدة فى الغالب (٢) ، فان ذلك يدفعنا الى اعادة النظر فى اعـــداد المعلمين للمرحلتين الاعدادية والثانوية ، فهم يعدون فى معاهد متنوعة بعضها فى اطار الجامعـــة والبعض الآخر دون ذلك ، مما أثر على كفاءة المعلم ومستواه العلمى • ولقد « أوصى مؤتمر اعداد وتدريب المعلم العربى بجامعة الدول العربية (القاهرة من ٨ ــ ١٧ يناير سنة ١٩٧٢) بأن يكون اعداد المعلم داخل اطار الجامعة أيا كانت المرحلة التى يعد لها باعتبار ذلك هدفا تسعى الدول العربية لتحقيقه فى أسرع وقت ممكن » (٣) ، لذا ينبغى الاسراع فى تنفيذ هذه التوصيات •

كما ينبغى أن تقوم الجامعة بصفة مستمرة ودائمة بتدريب المعلمين وتجديد ثقافتهم « وربطهم بالتطورات التى تحدث فى العلم والمهنة والمجتمع » • وللنهوض بهذه المسئولية « ينبغى أن تبادر كلية التربية بفتح أبوابها للراغبين فى حضور ما تقدمه من محاضرات ، ومقررات دراسية ، وتنظم ندوات ومؤتمرات وحلقات دراسية لبحث قضايا التعليم ومشكلاته • وتنشر الأبحاث والدراسات التى تفيد المعلمين علميا ومهنيا ، وترفع من كفايتهم ، مادة وطريقة » (٤) •

كما ينبغى أن تكون القراءة والبحث والاطلاع هى شروط الترقى للمعلمين لا الأقدمية وحدها تجديدا لثقافة المعلمين علميا ومهنيا •

* * *

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤١ •

(٢) ارجع الى ص (١١٦) من الرسالة •

(٣) محمد منير مرسى : التعليم العام فى البلاد العربية (دراسة مقارنة) ــ عالم الكتب ١٩٧٢ ــ ص ٧٤ •

(٤) ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى ــ مرجع سابق ــ ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ •

ملخص الفصل الخامس

خلف المسلمون لنا في القرن الرابع الهجرى تراثا تربويا عظيما ، وقد رأينا كثيرا من المبادىء التربوية الحديثة كانت موضع التنفيذ فى التربية الاسلامية آنذاك كالزامية التعليم واقرار حق البنت فى التعليم ومراعاة ميول المتعلم وجعلها أساسا لارشاده وتوفير جو الحرية للمعلمين والمتعلمين وديمقراطية التربية وتأصيل الروح الاستقلالية فى التعليم وتعدد طرق التدريس تبعا لاختلاف درجات النمو ومراحل التعليم والاهتمام بحاجات الفرد الجسدية والروحية والعقلية ، وكان هدف التربية الاسلامية فى النهاية هو ايجاد الفرد المسلم المتكامل النمو الذى يسهم بايجابية فى تطوير مجتمعه .

وقد ازدهرت الحضارة الاسلامية بسبب دقة نظام التربية التى كانت محققة لروح الاسلام حيث صحبته منذ بدء ظهوره .

واذا كنا قد جربنا فلسفة الشرق وفلسفة الغرب ، وثبت لنا فشل هذه التجارب لبعدها عن واقعنا ، فلا بد أن تكون لنا فلسفتنا النابعـة من تراثنا والمشتقة من التراث العربى والاسلامى والمعبرة عن أيديولوجيتنا ، وبين أيدينا القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وهما كتابان أساسيان فى علوم التربية يمكن للمرء أن يستخرج منهما أصولا تربوية متعددة ويصل الى عديد من المبادىء الأساسية فى طرق التعليم ، للكبار والصغار ، ويستنبط حقائق النفس البشرية ، وسوف تسهم دراسة التربية الاسلامية وأعلامها ، فى اخصاب الفكر التربوى المعاصر ، فى عالمنا الذى يفتقر الى شمول الاسلام وتكامله . ودراسة الفكر التربوى الاسلامى وتاريخ التربية الاسلامية ، يحتاج الى علم اسلامى موسوعى شامل ، كما يحتاج الى المام واسع بالفكر التربوى المعاصر لذا ينبغى اعداد فريق من الباحثين يجمع بين الالمام بالفكر الاسلامى الاصيل والفكر التربوى الحديث ، وقد يعد هذا الفريق تحت رعاية الجامعة العربية أو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية أو بمعهد ينشأ لدراسة الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى ، كما ينبغى أن تستغل الدراسات العليا فى دراسة التربية الاسلامية بدلا من البعد عن مشاكلنا الملحة فنحن فى حاجة الى معرفة أنفسنا وتراثنا ، وربما استدعى اهتمامنا بالتربية الاسلامية انشاء قسم بكلية التربية ، للتربية الاسلامية ، يضطلع بمهمة تحقيق التراث التربوى الاسلامى ونشره ودراسته وأيضا تدريس تاريخ التربيةالاسلامية لطلبة السنوات المختلفة بكلية التربية لتكون هذه الدراسة دافعا الى مزيد من الدراسة مستقبلا .

واذا كان عصرنا الذى نعيش فيه شبيها بعصر القرن الرابع حيث أن التغير الاجتماعى فى كل منهما كان سريعا ومتلاحقا ، والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ، وتعدد الحركات الدينية وانتشار مبادئها ، والصراع بين المذاهب والاتجاهات الفكرية ، كانت سمة لكلا العصرين ، فاننا ينبغى أن نستفيد من تجارب القرن الرابع فى تحقيق التوازن الفكرى فى المجتمع ، فان المدارس الفكرية التى ظهرت فيه ، رغم انها عكست اتجاهات فكرية متباينة ، الا أنها جميعا كانت تدور فى اطار الأيديولوجية الاسلامية ، مستندة الى الكتاب والسنة ، والى ثقافات جادة ذات أصول علمية سليمة • وهذا يدفعنا الى تقديم الثقافة الجادة لشبابنا ، والاهتمام فى نظامنا التعليمى بتنمية قدرات الابتكار والابداع ، واثارة أشواق الطلاب الى المعرفة ، والى الاتجاهات العلمية الجادة ، والاهتمام بالمكتبة ، وتقييم الطلاب على أساس الجهد فى البحث والاطلاع ، كما يدفعنا الى اعادة النظر فيما تقدمه وسائل الاعلام من برامج ، وضرورة العمل على تطوير المسجد وامامه ، ليربط الناس بالمسجد فى كل أمور حياتهم •

واذا كان القرن الرابع قد اهتم بالبحث العلمى وشجعه وكان من نتيجة ذلك ثروة علمية وأدبية كبيرة خلفها هذا القرن فان الحاجة الآن ملحة الى تغيير نظرتنا الى قطاع البحث العلمى فننظر اليه على أنه قطاع انتاج لا قطاع خدمات وأن نعمل على ازالة ما يعترض طريقه من عقبات تتصل بمصادر الثروة البشرية أو تنظيم هذا البحث أو تمويله •

واذا كان للمكتبات فى القرن الرابع دور عظيم فى اذكاء الحركة العلمية والقيام بدورها فى العملية التعليمية كمؤسسة تعليمية هامة ، فان قطاع المكتبات الآن هو أخطر قطاعات التجديد العلمى ، وهو يعانى من مشكلات عديدة ، فى متابعة التطور السريع فى العلوم والتكنولوجيا •

ولم يكن المقصود بالتربية فى القرن الرابع هو التربية المدرسية وحدها وانما اتسع هذا المفهوم ليشمل التربية بمعناها الواسع وكانت هذه التربية تمتد مدى الحياة ، والحاجة الآن تستدعى أن نحرص على التكامل بين التربية فى المدرسة والتربية خارجها ، فلا نتغافل دور الأجهزة التى تقوم فى عصرنا الحديث بدور هام فى التربية ، فتعمل هذه الأجهزة جميعا على خلق الانسان المسلم الصالح آخذة بعين الاعتبار جميع أبعاد نموه •

ولقد فاق الاهتمام بالطفولة فى القرن الرابع كل وصف ، والطفولة فى عصرنا الحاضر فى أشد الحاجة الى مزيد من الرعاية بالتوسع فى انشاء دور

الحضانة واعداد مربيات هذه الدور فى اطار الجامعة كما ينبغى التوسع فى انشاء دور الحضانة وضمها الى السلم التعليمى الآن حتى لا تقتصر مهمتها على الرعاية الجسدية ، بل تتعداها الى تنمية الأطفال خلقيا واجتماعيا وعقليا وجماليا ٠

كما ينبغى أن تهدف تربيتنا الى ضم المدرسة الاعدادية الى المدرسة الابتدائية، كمرحلة الزامية فى وقتنا الحاضر على أن تضم المدرسة الثانوية الى مرحلة الالزام حين تتحمل امكانياتنا ذلك ، وضرورة القضاء على الازدواج التعليمى فى المرحلة الأولى ، المتمثل فى تعليم دينى أزهرى ، وتعليم مدنى فى مدارس وزارة التربية ، حيث لا أساس يقوم عليه هذا الازدواج ٠

ولقد كان التخصص فى المرحلة العالية فى التربية الاسلامية فى القرن الرابع ، يتم حسب ميول الأفراد وقدراتهم ، وكان هذا التخصص وفاء لحاجات المجتمع المختلفة كما أنه لم يكن ضيقا بل امتاز بالتوسع فى عديد من العلوم ، لذا ينبغى أن يكون معيار القبول فى جامعاتنا ليس مجموع الدرجات وحده بل يدعم ذلك بمعايير أخرى تتصل بالمهارات والأداء والقدرات والميول والشخصية وغيرها ، كما ينبغى أن تنفتح الجامعات على المجتمع بكل مؤسساته فتقوم بدور أساسى فى التجديد العلمى للقطاعات المختلفة ، وعلينا أن نفكر جديا فى انشاء الجامعات الاقليمية التى تحمل طابع الاقليم وتنهض به وأن تتبع الكليات الفنية الوزارات الفنية الموجودة ببلادنا وأن تنشأ أقسام أو كليات بأكملها لتلحق بالمزارع والمصانع والمشروعات الصناعية ، وتقديم علوم جديدة تتمشى مع النهضة الاقتصادية والتطور العلمى الحديث ، كما ينبغى العمل على التخلص من التخصص الضيق فى كلياتنا ومراعاة مقتضيات الثقافة العامة فى طالب الجامعة ٠

واذا كانت التربية الاسلامية فى القرن الرابع قد اهتمت بالمعلم تقديرا لدوره فى تقديم ثقافة المجتمع لأطفاله الصغار على نحو يمكنهم من أن يكونوا حملة لهذه الثقافة ومساهمين فى تطوير مجتمعهم ، فأننا أحوج ما نكون الى الاهتمام بالمعلم وسرعة تنفيذ كل التوصيات المتعلقة به فيعد فى اطار الجامعة لكل مراحل التعليم بالاشتراك بين وزارة التربية والجامعة والاهتمام برفع كفايته ومستواه العلمى ، وقيام الجامعات بدورها فى تدريب المعلمين وتجديد ثقافتهم وربطهم بالتطورات التى تحدث فى المهنة ، وعلى كليات التربية أن تبادر بفتح أبوابها للراغبين فى حضور ما تقدمه من محاضرات ومقررات دراسية ، كما ينبغى أن تكون القراءة والاطلاع والبحث هى شروط الترقى للمعلمين لا أقدمية المعلم وحدها ٠

مراجع الرسـالة

أولا : المراجع العربية

١ ـ ابراهيم الكيلانى : أبو حيان التوحيدى ـ كتاب رقم (٢١) من سـلسلة (نوابغ الفكر العربى) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف (بدون تاريخ) .

٢ ـ ابراهيم عبد المجيد اللبان : الفلسفة والمجتمع ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة ـ ١٩٥٤ م .

٣ ـ ابراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٧٣ م .

٤ ـ ابراهيم عصمت مطاوع ، وعبد الغنى عبود : فى التربية المعاصرة ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ م .

٥ ـ ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد) : عيون الآنباء فى طبقات الأطباء ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الوهبية ـ ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢ م .

٦ ـ ابن الأثير (أبو الحسن أحمد بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الأزهرية المصرية ـ ١٣٠١ هـ .

٧ ـ ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ـ القاهرة ـ مطبعة بولاق ـ ١٣١٩ هـ .

٨ ـ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ـ مكتبة القدس ـ ١٩٢٥ م .

٩ ـ ابن القيم الجوزية : زاد المعاد ـ القاهرة ـ الطبعه الثانية ـ مكتبة الأزهر (بدون تاريخ) .

١٠ ـ ابن النديم (محمد بن اسحق) : الفهرست ـ نشر وتعليق جوسـتاف فلوجل ـ ليبزج ، ف ، و ، فوجل ـ ١٨٧٢ م .

١١ ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (بدون تاريخ) .

١٢ ـ ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ، أو وظيفة الحكومة الاسلامية ـ القاهرة ـ مطبعة المؤيد ـ ١٣١٨ هـ .

١٣ ـ ابن خلدون : المقدمة ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مطبعة مصطفى محمد (بدون تاريخ) .

١٤ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، وأنباء الزمان ـ القاهرة ـ دار الطباعة الميرية المصرية ـ ١٢٧٠ هـ .

١٥ ـ ابن سينا : كتـاب السياسـة ـ نشره لويس معلوف ـ مجلة المشرق ـ ١٩٠٦ م .

١٦ ـ ابن سينا : القانون ـ القاهرة ـ مطبعة بولاق ـ ١٢٩٤ هـ .

١٧ ـ ابن سينا : دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية ـ بهامش منافع الأغذية ودفع مضارها ، لأبى بكر الرازى ـ القاهرة ـ المطبعة الخيرية ـ ١٣٠٥ هـ .

١٨ ـ ابن طباطبا (محمد بن على) : الفخرى فى الآداب السلطانية ـ راجعه ونقحه محمد عوض ابراهيم وعلى الجارم ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٢٣ م .

١٩ ـ ابن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ـ القاهرة ـ دار الكتب العربية ـ ١٩٢٥ م .

٢٠ ـ ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) : تجارب الأمم ـ أشرف على تصحيحه هـ . ف . آندروز ـ مطبعة مصر ـ شركة التمدن الصناعيـة (بدون تاريخ) .

٢١ ـ ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ـ القاهرة ـ المطبعة الخيرية ـ ١٣٢٢ هـ .

٢٢ـ أبو الفتوح رضوان : « أمجادنا التاريخية ومكانتها فى مناهجنا المدرسية » **الرائد** ـ مجلة المعلمين ـ عدد ممتاز عن مؤتمر المعلمين العرب ـ الاسكندرية ـ ١٩٥٦ م .

٢٣ ـ أبو الفتوح رضوان وآخرون : المدرس فى المدرسة والمجتمع ـ القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٠ م ٠

٢٤ ـ أبو بكر العربى : أحكام القرآن ـ القاهرة ـ مطبعة السعادة ـ ١٣٣١ هـ ٠

٢٥ ـ أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ـ الجزء الثانى ـ تحقيق ونشر أحمد أمين وأحمد الزيدى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٢ م ٠

٢٦ ـ أبو حيان التوحيدى : الاشارات الالهية ـ تحقيق ونشر عبد الرحمن بدوى ـ القاهرة ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ الجزء الثانى ـ ١٩٥٠ م ٠

٢٧ ـ أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر ـ تحقيق ونشر أحمد أمين والسيد أحمد صقر ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٥٣ م ٠

٢٨ ـ أبو حيان التوحيدى : المقابسات ـ تحقيق ونشر حسن السندوبى ـ القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ ١٩٢٩ م ٠

٢٩ ـ أبو حيان التوحيدى وأبو على بن مسكويه : الهوامل والشوامل ـ تحقيق ونشر أحمد أمين والسيد أحمد صقر ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٥١ م ٠

٣٠ ـ أبو حيان التوحيدى : رسالة فى العلوم ـ ملحقة بكتاب فى الصداقة والصديق ـ نشره أحمد فارس الشدياق ـ مكتبة الجوائب بالقسطنطينية ـ ١٣٠١ هـ ٠

٣١ ـ أبو حيان التوحيدى : مثالب الوزيرين ـ تحقيق ونشر أبراهيم الكيلانى ـ دمشق ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٦١ م ٠

٣٢ ـ أبو سعيد محمد بن أحمد العميد : الابانة عن سرقات المتنبى ـ تحقيق ابراهيم الدسوقى البساطى ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ م ٠

٣٣ ـ أحمد أمين : ضحى الاسلام ـ الجزء الثالث ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٣٦ م ٠

٣٤ ـ أحمد أمين : ظهر الاسلام ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ ٠

٣٥ ـ أحمد جمال العمرى : أبو بكر الصولى ، العالم الأديب النديم ـ كتاب رقم ١٠١ من سلسلة (أعلام العرب) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٣ م .

٣٦ ـ أحمد حسن الباقورى :« الدين أصل فى الفطرة الانسانية » ـ **منار الاسلام** ـ تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف فى دولة الإمارات العربية ـ العدد الأول ـ محرم ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

٣٧ ـ أحمد سويلم العمرى : بحوث فى المجتمع العربى (دراسات سياسية) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٠ م .

٣٨ ـ أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٦ م .

٣٩ ـ أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى ـ الطبعة التاسعة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ م .

٤٠ ـ أحمد عبد الغفار : « وحدات صناعية أكبر وأقوى » ـ **الادارة** ـ مجلة ربع سنوية ، يصدرها اتحاد جمعيات التنمية الادارية ـ العدد الرابع ـ ابريل ـ ١٩٦٩ م .

٤١ ـ أحمد عبد العليم البردونى : مختارات من عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى ـ راجعه اسماعيل مرزوق ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ مكتبة نهضة مصر ـ ومطبعتها ـ ١٩٦٠ م .

٤٢ ـ أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطريق ـ نقله عن الفرنسية عثمان أمين ـ دار الشروق ـ ١٩٧٥ م .

٤٣ ـ أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام (دراسات فى التربية) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٥ م .

٤٤ ـ آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

٤٥ ـ أسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الاسلامية ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٧ م .

٤٦ ــ الأشعرى (أبو الحسن على بن اسماعيل) : اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ــ القاهرة ــ مطبعة مصر ــ ١٩٥٥ م ٠

٤٧ ــ الأشعرى : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ــ استانبول ــ مطبعة الدولة ــ ١٩٢٩ م ٠

٤٨ ــ البـاقلانى (أبو بـكر محمد بن الطيب) : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ــ ضبطه وقدم له وعلق عليه محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهـادى أبو ريده ــ القـاهرة ــ دار الفـكر العربى ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م ٠

٤٩ ــ البغدادى : الفرق بين الفرق ــ القاهرة ــ مطبعة الهلال ــ ١٩٢٤ م ٠

٥٠ ــ البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى بين النظرية والتطبيق ــ مكتبة وهبه (بدون تاريخ) ٠

٥١ ــ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان والتبيين ــ الجـزء الأول ــ تحقيق ونشر عبد السلام محمد هارون ــ الطبعة الأولى ــ مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م ٠

٥٢ ــ الجاحظ : كتاب الحيوان ــ تحقيق عبد السلام محمد هارون ــ القاهرة ــ مطبعة مصطفى الحلبى ــ ١٩٤٣ م ٠

٥٣ ــ الخوارزمى (جمال الدين أبو بكر محمد بن العباس) : مفيد العلوم ومبيد الهموم ــ الطبعة الأولى ــ المطبعة العلمية ــ ١٣١٠ هـ ٠

٥٤ ــ ألدو مييلى : العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ــ نقله الى العربية عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى ــ قام بمراجعته على الأصل الفرنسى حسين فوزى ــ جامعة الدول العربية ــ الادارة الثقافية ــ الطبعة الأولى ــ دار القلم ــ ١٩٦٢ م ٠

٥٥ ــ الذهبى (شمس الدين بن أحمد التركمان) : تاريخ الاســلام وطبقــات المشاهير والاعلام المعروف بتاريخ الاسلام للذهبى ــ مخطوط بدار الكتب المصرية ــ رقم ٣٩٢ تاريخ ٠

٥٦ ــ الرازى : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ــ القاهرة ــ المطبعة الحسينية ــ ١٣٢٣ هـ ٠

٥٧ - السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى - الطبعة الأولى - المطبعة الحسينية (بدون تاريخ) .

٥٨ - السياسة الثقافية - بيان الدكتور ثروت عكاشه أمام لجنة الخدمات بمجلس الأمة - يونيو ١٩٦٩ - مطبعة دار الكتب - ١٩٦٩ م.

٥٩ - السيد أبو النجا : « القراءة مبدأ حسابى » - **لماذا نقرأ** - لطائفة من المفكرين - دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) .

٦٠ - السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين) : الاتقان فى علوم القرآن - مطبعة حجازى - الطبعة الثالثة - ١٩٤١ م .

٦١ - السيوطى : الاحتفال بالأطفال - مخطوط ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية - برقم ٢٣٢٧٣ ب .

٦٢ - السيوطى : تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة - الطبعة الثالثة - المكتبة التجارية - ١٩٦٤ م .

٦٣ - الشهرستانى : الملل والنحل - أمين الخانجى - ١٣٢١ هـ .

٦٤ - الغزالى : التبر المسبوك ، فى نصيحة الملوك - القاهرة - مطبعة المؤيد - ١٣١٧ هـ .

٦٥ - الغزالى : ميزان العمل - كتب المقدمة وترجم للمؤلف محمد مصطفى أبو العلا - مطبعة الجندى بمصر (بدون تاريخ) .

٦٦ - الفارابى : احصاء العلوم - تحقيق ونشر عثمان أمين - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٤٨ م .

٦٧ - القابسى : المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين - نشرها أحمد فؤاد الأهوانى - ملحقة بكتاب (التربية فى الاسلام - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - ١٩٧٥ م) .

٦٨ - أ. ك. أوتاواى : التربية والمجتمع - ترجمة وهيب سمعان وآخرين - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٠ م .

٦٩ - القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى فى صناعة الانشا - المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م.

٧٠ - الماوردى : الأحكام السلطانية - القاهرة - مطبعة الوطن - ١٢٩٨ هـ .

٧١ - المحاسبى (أبو عبد الله الحارث بن أسد) : الرعاية لحقوق الله - تحقيق عبد القادر أحمد عطا - الطبعة الثالثة - دار الكتب الحديثة - مطبعة السعادة - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

٧٢ - المسعودى (أبو الحسن على) : مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد : طبعة كتاب التحرير - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٧٣ - المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعى المقدسى المعروف بالبشارى) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - نشره دى غويه - ليدن - مطبعة بريل - الطبعة الثانية - ١٩٥٦ م .

٧٤ - المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - مصر - مطبعة بولاق - ١٢٩٧ هـ - ١٨٦٢ م .

٧٥ - المقريزى (تقى الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - دار الطباعة المصرية ببولاق - ١٢٧٠هـ .

٧٦ - المؤتمر النوعى للدراسات التربوية واعداد المعلمين - كلية التربية ، جامعة عين شمس ، من ٣ - ٩ نوفمبر ١٩٦٧ - مشروع التقرير الختامى - مؤتمر تطوير التعليم العالى والجامعى (استنسل) .

٧٧ - بدر الدين أبو محمد بن أحمد العينى : عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى - دار الطباعة المنيرية (بدون تاريخ) .

٧٨ - بديع الزمان الهمذانى : الرسائل - الطبعة الرابعة - مطبعة هندية بالموسكى - ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

٧٩ - بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن) : تراثنا بين ماض وحاضر - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٠ م .

٨٠ - بهى الدين زيان : الغزالى ولمحات عن الحياة الفكرية الاسلامية - الكتاب العاشر من سلسلة (قادة الفكر فى الشرق والغرب) - مكتبة نهضة مصر بالفجالة - ١٩٥٨ م .

٨١ - بيوت الله مساجد ومعابد - الجزء الثانى - كتاب الشعب رقم ٨٧ - مطابع الشعب - ١٩٦٠ م .

٨٢ - توصيات المؤتمر الدولى للتعليم العام من عام ١٩٣٤ - ١٩٥٩ - ترجمة السيد محمد العزاوى ومراجعة محمد خيرى حربى - مركز الوثائق التربوية للجمهورية العربية المتحدة (وزارة التربية والتعليم المركزية) - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - ١٩٦٠ م ٠

٨٣ - توصيات مؤتمر التعليم فى الدولة العصرية ، المنعقد بمبنى نقابة المهن التعليمية بالقاهرة (٢٠ - ٢٣ فبراير ١٩٧١) - الجمهورية العربية المتحدة - وزارة التربية والنعليم - مركز التوثيق التربوى - ١٩٧١ م ٠

٨٤ - توفيق الطويل : أسس الفلسفة - الطبعة السادسة - دار النهضة العربية - ١٩٧٦ م ٠

٨٥ - جبور عبد النور : اخوان الصفاء - الكتاب رقم ٧ من سلسلة (نوابغ الفكر العربى) - الطبعة السادسة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٠ م ٠

٨٦ - جورج سارطون : الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط - ترجمة عمر فروخ - بيروت - منشورات مكتبة المعارف - ١٩٥٢ م ٠

٨٧ - جورج زيدان : التمدن الاسلامى - القاهرة - دار الهلال - ١٩٠٦ م ٠

٨٨ - جوستاف جرونباوم : حضارة الاسلام - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وعبد الحميد العبادى - كتاب رقم ٢ من مجموعة (الالف كتاب) القاهرة - مكتبة نهضة مصر - ١٩٥٦ م ٠

٨٩ - جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام - ترجمة محمد يوسف موسى - القاهرة - دار الكتب الحديثة - ١٣٧٨ هـ ٠

٩٠ - خاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - استانبول - تركيا - وكالة المعارف الجليلة - ١٩٤٣ م ٠

٩١ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - الجزء الثالث - الطبعة السابعة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٥ م ٠

٩٢ - حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى (بدون تاريخ) ٠

٩٣ - خالد محمد خالد : أبناء الرسول فى كربلاء - الطبعة الأولى - دار ومطابع الشعب - يونية - ١٩٦٨ م ٠

٩٤ ـ خطاب علي عطية : التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٤٧ م ٠

٩٥ ـ خليل طوطح : التربية عند العرب ـ المطبعة التجارية بالقدس ـ ١٩٣٥ م

٩٦ ـ دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ـ ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٣٨ م ٠

٩٧ ـ دي لاسي أوليري : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ـ ترجمة وهيب كامل ـ الكتاب رقم ٣٩٥ من مجموعة (الالف كتاب) ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ م ٠

٩٨ ـ ربا بورت : مبادىء الفلسفة ـ ترجمة أحمد أمين ـ الطبعة الرابعة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٣٨ م ٠

٩٩ ـ رسائل اخوان الصفاء ـ القاهرة ـ المطبعة العربية ـ ١٩٦١ م ٠

١٠٠ ـ روزنتال : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ـ ترجمة أنيس فريحة ـ بيروت ـ دار الثقافة ـ ١٩٦١ م ٠

١٠١ ـ زكريا ابراهيم : أبو حيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ـ الكتاب رقم ٣٥ من سلسلة (أعلام العرب) ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ـ مطبعة مصر (بدون تاريخ) ٠

١٠٢ ـ زكريا أحمد البري : أحكام الأولاد في الاسلام ـ القاهرة ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ ١٣٨٤ هـ ٠

١٠٣ ـ سعيد زايد : الفارابي ـ كتاب رقم ٣١ من سلسلة (نوابغ الفكر العربي) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٠ م ٠

١٠٤ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ـ الطبعة الأولى ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٣ م ٠

١٠٥ ـ سيد أحمد عثمان : «المسئولية الاجتماعية في الاسلام ، دراسة نفسية» ـ **الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس** ـ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٣ م ٠

١٠٦ ـ سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الاسلام ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٧٤ م ٠

١٠٧ ـ سيد قطب : هذا الدين ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .

١٠٨ ـ سيدة اسماعيل كاشف : مصر في عهد الاخشيديين ـ القاهرة ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ ١٩٥٠ م .

١٠٩ ـ سيدة كاشف زكي : « آذربيجان الاشتراكية فى العصر الاسلامى » ـ مجلة **الكاتب** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ مارس ١٩٤٦ م .

١١٠ ـ شمس الدين الانبابى : رسالة فى رياضة الأطفال وتعليمهم وتأديبهم ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٣٢ تعليم .

١١١ ـ صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية (دراسات فى التربية) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ م .

١١٢ ـ صحيح البخارى لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة ـ دار ومطابع الشعب (بدون تاريخ) .

١١٣ ـ طه الراوى : بغداد مدينة السلام ـ الكتاب رقم ٢٧ من سلسلة (اقرأ) ـ دار المعارف بمصر ـ فبراير ١٩٤٥ م .

١١٤ ـ طه حسين : ذكرى أبى العلاء ـ القاهرة ـ مطبعة المعاهد ـ ١٩٢٢ م .

١١٥ ـ طه حسين : فى الأدب الجاهلى ـ الطبعة الحادية عشرة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٥ م .

١١٦ ـ عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية ـ مصر ـ دار الهلال (بدون تاريخ) .

١١٧ ـ عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن ـ القاهرة ـ دار الاسلام ـ ١٩٧٣ م .

١١٨ ـ عباس محمود العقاد : الشيخ الرئيس ابن سينا ـ الكتاب رقم ٦ من سلسلة (اقرأ) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ يونية ١٩٦٧ م .
١٩٦٧ م .

١١٩ ـ عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ـ القاهرة ـ دار الاسلام ـ ١٩٧٣ م .

١٢٠ ـ عباس محمود العقاد : الله ـ القاهرة ـ مطابع الأهرام التجارية ـ ١٩٧٢ م .

١٢١ ـ عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة البيان العربى ـ ١٩٦٦ م .

١٢٢ ـ عبد الحليم محمود : « حب الله وتوحيده » ـ **منار الاسلام** ، تصدرها وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف فى دولة الامارات العربية المتحدة ـ العدد الأول ـ محرم ١٣٩٦ هـ ـ يناير ١٩٧٦ م .

١٢٣ ـ عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ، دراسات لكبار المستشرقين ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٦ م .

١٢٤ ـ عبد الرحمن عميرة : الفلسفة الاسلامية بين التقليد والابتكار ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى (بدون تاريخ) .

١٢٥ ـ عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ، دراسة التاريخ السياسى والادارى والمالى ـ بغداد ـ منشورات دار المعلمين العالية ـ ١٩٤٥ م .

١٢٦ ـ عبد العزيز عزت : ابن مسكويه ، فلسفته الأخلاقية ومصادرها ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ مطبعة مصطفى الحلبى ـ ١٩٤٦ م .

١٢٧ ـ عبد الغنى النورى وعبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦ م .

١٢٨ ـ عبد الغنى عبود : الاسلام والكون ـ الكتاب الثالث من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ م .

١٢٩ ـ عبد الغنى عبود : « الاسلام وتحدى العصر ، التربية المستمرة فى الاسلام » ـ **تعليم الجماهير** ـ مجلة متخصصة تصدر عن الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار ـ السنة الثالثة ـ العدد ٥ ـ يناير ـ ١٩٧٦ م .

١٣٠ ـ عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام » ـ **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس** ـ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ـ القاهرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ ١٩٧٦ م .

١٣١ ـ عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦ م .

١٣٢ ـ عبد الغنى عبود : « التربية ومحو الأيديولوجية » ـ **تعليم الجماهير** ـ مجلة متخصصة تصدر عن الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار ـ السنة الثالثة ـ العدد السادس ـ مايو ١٩٧٦ م .

١٣٣ ـ عبد الغنى عبود : « التعليم مدى الحياة فى الاسلام » ـ المقولة الثانية من كتاب : **فى التربية المعاصرة** ـ تأليف ابراهيم عصمت مطاوع وعبد الغنى عبود ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ م .

١٣٤ ـ عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ـ الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٦ م .

١٣٥ ـ عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر ـ الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧م.

١٣٦ ـ عبد الغنى عبود : « المكتبة كوسيلة تعليمية » ـ المقولة التاسعة من كتاب **فى التربية المعاصرة** ـ تأليف ابراهيم عصمت مطاوع وعبد الغنى عبود ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ م .

١٣٧ ـ عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمى فى الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ـ رسالة مقدمة الى كلية التربية ، جامعة عين شمس ، للحصول على درجة دكتور فلسفة فى التربية ـ استنسل ـ ١٩٧٢ م .

١٣٨ ـ عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ ١٩٧٧ م .

١٣٩ ـ عبد الغنى عبود : مذكرات فى تاريخ التربية ـ الاتحاد الاشتراكى العربى ـ المؤسسة الثقافية العمالية ـ كتاب رقم ٤٥ من (السلسلة العمالية) ـ ١٩٧٦ م .

١٤٠ ـ عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام ـ المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى ـ سرس الليان ـ المنوفية ـ جمهورية مصر العربية ـ ١٩٧٧ .

١٤١ ـ عبد اللطيف الطيباوى : محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ ١٩٦٣ م .

١٤٢ - عبد الله حسين : التعليم العربى والجامعى - مطبعة التوفيق بمصر (بدون تاريخ) .

١٤٣ - عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى - مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٧٢ م .

١٤٤ - عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى - القاهرة - مكتبة وهبه - ١٩٦٤ م .

١٤٥ - عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس - كتاب رقم ٥٥ من (المكتبة الثقافية) - دار القلم بالقاهرة - ٥١ فبراير ١٩٦٢ م .

١٤٦ - عز الدين عباس : « التعليم فى الاسلام » - **الرائد** - مجلة المعلمين - السنة السابعة - العدد الخامس - مارس ١٩٦٢ م .

١٤٧ - على سامى النشار : مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسططاليسى - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .

١٤٨ - على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - دار المعارف بمصر - ١٩٦٢ م .

١٤٩ - عماد عبد الحميد النجار : « فراغ والأسرة مسئولة أولا » - جريدة **الأخبار** - العدد ٧٨٨٣ - السنة السادسة والعشرون - الأربعاء - ٨ من شوال ١٣٩٧ هـ - ٢١ من ديسمبر ١٩٧٧ م .

١٥٠ - عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون - بيروت - المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ١٩٦٢ .

١٥١ - عمر فروخ : عبقرية العرب فى العلم والفلسفة - بيروت - منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها - ١٩٥٢ م .

١٥٢ - فاخر عاقل : « نحو اصلاح تربوى جذرى » - **التربية من أجل التنمية** - المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ، المنعقد بدمشق فى ٣ - ٨ آب - الجمهورية العربية السورية - وزارة التربية (بدون تاريخ) .

١٥٣ - فيليب حتى وادوارد جورجى وجبرائيل جبور : تاريخ العرب - بيروت - دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع - ١٩٥٠ م .

١٥٤ ـ قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ـ مكتبة مصر ـ ١٩٦٠ م ٠

١٥٥ ـ قرآن كريم ٠

١٥٦ ـ كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ـ ترجمة عبد الحليم النجار ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٤ م ٠

١٥٧ ـ كامل مصطفى الشيبينى : الصلة بين التصوف والتشيع ـ بغداد ـ مطبعة الزهراء ـ ١٣٨٣ هـ ٠

١٥٨ ـ كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة فى العراق ـ بغداد ـ مطبعة دار المعارف ـ ١٩٤٨ ٠

١٥٩ ـ لانسلوت هوجبن : العلم للمواطن ـ ترجمة عطيه عبد السلام عاشور وسيد رمضان هدارة ـ مراجعة محمد مرسى أحمد ـ كتاب رقم ١٠١ من مجموعة (الألف كتاب) ـ دار الفكر العربى (بدون تاريخ) ٠

١٦٠ ـ ماكس ماير هوف : « من الاسكندرية الى بغداد » ـ بحث مترجم فى كتاب **التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية** ـ ترجمة عبد الرحمن بدوى ـ الطبعة الثالثة ـ دار النهضة العربية بالقاهرة ـ ١٩٦٥ م ٠

١٦١ ـ محاسن رضا أحمد : « الجامعة المفتوحة ونظم التعليم فى البلاد العربية » ـ **تعليم الجماهير** ـ مجلة متخصصة تصدر عن الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار ـ المجلد الأول ـ السنة الأولى ـ العدد رقم ١ ـ سبتمبر ١٩٧٤ م ٠

١٦٢ ـ محمد أحمد الغنام : « استراتيجية التربية فى العالم العربى » ـ **التربية من أجل التنمية** ـ المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ، المنعقد بدمشق فى ٣/٨ آب ـ الجمهورية العربية السورية ـ وزارة التربية (بدون تاريخ) ٠

١٦٣ ـ محمد الدسوقى : الاجتهاد فى الفقه الاسلامى ـ كتاب رقم ١٤٧ من سلسلة (دراسات فى الاسلام) ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف ـ ١٥ من جمادى الآخر ١٣٩٣ هـ ـ ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ م ٠

١٦٤ ـ محمد جمال الدين الفندى : الله والكون ـ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٦ م ٠

١٦٥ ـ محمد سعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٥٧ م ٠

١٦٦ ـ محمد شديد : منهج القرآن فى التربية ـ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز (بدون تاريخ) ٠

١٦٧ ـ محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦١ م ٠

١٦٨ ـ محمد عبد الرحيم غنيمه : الجامعات الاسلامية الكبرى ـ تطوان ـ دار الطباعة المغربية ـ ١٩٥٣ م ٠

١٦٩ ـ محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ـ كتاب رقم ٤١ من سلسلة (نوابغ الفكر العربى) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٠ م ٠

١٧٠ ـ محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م ٠

١٧١ ـ محمد عطيه الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى ـ ١٩٦٩ م ٠

١٧٢ ـ محمد عطيه الابراشى : التربية فى الاسلام ـ كتاب رقم ٢ من (دراسات فى الاسلام) ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف ـ ١٥ من رمضان ١٣٨٠ هـ ـ ٢ من مارس ١٩٦١ م ٠

١٧٣ ـ محمد غلاب : المعرفة عند مفكرى المسلمين ـ القاهرة ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٦ م ٠

١٧٤ ـ محمد فاضل الجمالى : آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية ـ الدار التونسية للنشر ـ ١٩٦٨ م ٠

١٧٥ ـ محمد فاضل الجمالى : « فلسفة عربية متجددة وأهميتها للبلدان العربية » ـ فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى يتجدد ـ دائرة التربية فى الجامعة الأميركية فى بيروت ـ مطابع دار الكشاف ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م ٠

١٧٦ ـ محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى ـ الدار التونسية للنشر ـ ١٩٧٢ م ٠

١٧٧ ـ محمد فوزى العنتيل : التربية عنـــد العرب ، مظاهرها واتجاهاتها ـ القاهرة ـ مكتبة مصر ـ ١٩٦٦ م ٠

١٧٨ ـ محمد قطب : الانسان بين المادية والاسلام ـ دار احياء الكتب العربية ـ الطبعة الثالثة ـ١٩٦٨ م ٠

١٧٩ ـ محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ دار الشروق (بدون تاريخ) ٠

١٨٠ ـ محمد متولى الشعراوى : القضاء والقدر ، معجزات الرسول ، اعجـاز القرآن ، مكانة المرأة فى الاسلام ـ اعداد أحمد فراج ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٧٥ م ٠

١٨١ ـ محمد منير مرسى : التعليم العام فى البلاد العربية (دراسة مقارنة) ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٢ م ٠

١٨٢ ـ محمود السعيد الطنطاوى : رســالة المسجد والامام صـلة بين الدين والحياة ـ كتاب رقم ١٤٣ من سلسلة (كتب اسلامية) ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ السنة الثالثة عشرة ـ ١٥ صفر ١٣٩٣ هـ ـ ٢٠ مارس ١٩٧٢ م ٠

١٨٢ ـ مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام ـ دار ومطابع الشعب ـ ١٩٦٢ م.

١٨٤ ـ مصطفى محمود : الماركسية والاسلام ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٥ م.

١٨٥ ـ مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ـ الطبعة الثانيـة ـ منشورات العصر الحديث ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٣ م ٠

١٨٦ ـ موسى محمد على : الاسلام دين الانسانية ـ كتاب رقم ١٩٥ من (دراسات فى الاسلام) ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف ـ ١٥ من جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ٠

١٨٧ ـ نازلى صالح أحمد : حول التعليم الابتدائى ونظمه (دراسات مقارنة) ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٧٣ م ٠

١٨٨ ـ وائل عثمان : حزب الله فى مواجهة حزب الشيطان ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٩٧٥ م ٠

١٨٩ ـ وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر الاسلام ومقتضياته ـ ترجمة ظفر الدين خان ـ الطبعة الأولى ـ المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٩٧٣ م ٠

١٩٠ ـ وليم كلباترك : المدنية المتغيرة والتربية ـ ترجمة عبد الحميد السيد ونجيب اسكندر ابراهيم ومحمد الهادى عفيفى ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة مصر ـ ١٩٥٨ م ٠

١٩١ ـ ياقوت الرومى : معجم الأدباء ـ مطبوعات دار المأمون ـ أحمد رفاعى ـ راجعته وزارة المعارف العمومية (بدون تاريخ) ٠

١٩٢ ـ يوسف القرضاوى : الايمان والحياة ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة وهبه ـ ١٩٧٣ م ٠

١٩٣ ـ يوسف خلوصى : « حول تنظيم البحث العلمى فى الجمهورية العربية المتحدة » ـ **الادارة** ـ مجلة علمية ربع سنوية ، يصدرها اتحاد جمعيات التنمية الادارية ـ العدد الثالث ـ يناير ١٩٦٩ م ٠

* * *

ثانيا : المراجع الافرنجية

1 — Ahmed Foad El Ahwany: Islamic Philosophy. Cairo, Anglo-Egyption Bookshop, 1957.

2 — Dewey, John: Democracy and Education, An Introduction to the Philosophy of Education; The Macmillan Company, New York, 1916.

3 — Dewey, John: Education To-day; G. P. Putman's Sons, New-York,1940.

4 — Kandel, I.L.: American Education it the Tewntieth Century; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1957.

5 — Hans, Nicholas: Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958.

6 — Dodge, Rayard: Muslim Education in Medieval Times, The Middle East Institute, Washinghton, D.C. 1962.

7 — Khuda-Bakhsh: Contribution to History of Islamic Civilization, Calcutta, 1930.

8 — Massignan, Louis: La Passion, D'Al Hosayn Ibn Mansour Al Hallag, 2 vols (Paris, 1922).

9 — Max, Mayrhof: «Eince and udicine» in the legocy of Islam, London, Oxford University Press, Iaed, 1968.

10 — O'leary, Delacy: Arabic Thaught and Its Place in History; London zed. 1957.

11 — Radwan, Abu Al-Futouh Ahmad: Old and New Forces in Egyptian Education, Proposals For the Reconstruction of the Program of Egyptian Education, in the Light of Recent Cultural Trends; Bureau of Publications, Teachres College, Columbia University, New York, 1951.

12 — Read, Margaret:Education and Social Change in Tropical Areas; Thomas Nelson and Sons Ltd., Edinburgh, 1956.

13 — Tritton, A.S.: Materials of Muslim Education in the Middle Ages, London, 1957

الفهرس

الموضـوع	الصفحة

الفصـل الثالث

نظام التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصـــل الرابـــع

المؤسسات التعليمية فى القرن الرابع الهجرى

الفصـــل الخامس

النتائج والمقترحات

طبـــاعة
الشركة المتحدة للنشر والتوزيع
٤ شـارع طلعت حرب (القـاهرة)
« سـليمان سـابقا » ـ ت : ٥٣٨١٥

رقم الايداع
١٩٧٨ / ٣٠٩٣

هـــذا الـكتاب

خلف المسلمون لنا فى القرن الرابع الهجرى تراثاً تربوياً عظيماً ، وقد رأينا كثيراً من المبادىء التربوية الحديثة ، كانت موضع التنفيذ فى التربية الإسلامية آنذاك ، كالإلزامية التعليم ، وإقرار حق البنت فى التعليم ، ومراعاة ميول المتعلم ، وجعلها أساساً لإرشاده ، وتوفير جو الحرية للمعلمين والمتعلمين ، وديمقراطية التربية ، وتأهيـــل الروح الاستقلالية فى التعلم ، وتعدد طرق التدريس ، تبعاً لاختلاف درجات النمو ومراحل التعليم ، والاهتمام بحاجات الفرد الجسدية والروحية والعقلية ، وكان هدف التربية الإسلامية فى النهاية ، هو إيجاد الفرد المسلم المتكامل النمو ، الذى يسهم بإيجابية فى تطوير مجتمعه .

وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية بسبب دقـة نظام التربية ، التى كانت محققة لروح الإسلام ، حيث صحبته منذ بدء ظهوره .

وإذا كان عصرنا الذى نعيش فيه شبيهاً بعصر القرن الرابع ، حيث أن التغير الاجتماعى فى كل منهما كان سريعاً ومتلاحقاً ، والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ، وتعدد الحركات الدينية وانتشار مبادئها ، والصراع بين المذاهب والاتجاهات الفكرية ، كانت سمة لكلا العصرين ، فإننا ينبغى أن نستفيد من تجارب القرن الرابع فى تحقيق التوازن الفكرى فى المجتمع .

الـكتاب التالى فى المـكتبة :

فلسفة التربية الإسلامية ، كما يحددها القرآن الكريم

تأليف : عـلى خليـل

يصدر فى مطلع العـام القـادم بإذن الله